

الأقباط .. من هم

اليوم

راية المستضعفين في الأرض

اليوم / العدد الثاني و الثمانون / ديسمبر ١٩٩٦ م / رجب ١٤١٧ هـ / الثمن جنيهاً مصرياً



مؤتمر القاهرة
الاقتصادي ..
وأوهام الرخاء

الخصخصة والمستثمر الأجنبي يا عمال مصر اتحدوا

الحزب الواحد في قالب تعددي

الشيخ مايكل جاكسون في الخليج والعنف في إسرائيل

إسرائيلي

يحكم مجلس

الأمن الروسي

لطيفة الزيات والنضال الصوفي



في هذا العدد

رئيس التحرير:

حسين عبد الرازق

المشارك:

أحمد عز العرب

المستشارون:

أبراهيم بدراوي

أحمد نبيل الهلالي

د. خليل حنين خليل

د. رفعت السعيد

صلاح عيسى

عادل غنيم

عبد الغفار شكر

عبد الفتى أبو الغيث

محمد ولقاء حجازي

محمود أمين العالم

شارك في التأسيس:

د. فؤاد مرسى

اليسار: منير ديمقراطي، صمد ح

حزب التجمع الوطني التقدمي

الرجوى في اليوم الأول من كل

شهر

AL YASSAR I KARIM EL
DAWLA ST TALAAT
HARB SQ
CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات لمدة سنة واحدة

عصر: ٩ جنيهات للأفراد و ١٠ جنيهات

للهيئات

الوطن العربي: ٥ دولار

أمريكا أو ما يعادلها

العالم: ١٠ دولار أمريكي أو

ما يعادلها

يرسل القيمة بشيك مصرفي أو حوالة

برقية إلى إدارة المجلة

للادارة والتحرير: ١ شارع كرم

الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة

٥٧٤٩١٢ - ٥٧٤٩١١

٥٧٤٩٢٨ - فاكس: ٥٧٤٩٢٨

FAX: 3786298

٤. ** ليسار در .. وأعوام الرخاء .. حسين عبد الرازق ٥
- موقفنا .. هوامش على دفتر الحياة .. عبد العظيم أنيس ٨
- ذكريات مع أحمد بهاء الدين .. وداعا .. أحمد الحميسى ١٣
- دراسة .. سمير مرقص ١٤
- الأقطاب .. من هم؟ .. مصر ٢٢
- د. "جنزورى .. عفوا .. عربان نصيف ٢٥
- عشرون عاما من التعددية السياسية المقيدة .. عماليات ٣٢
- يا عمال مصر .. اتحدوا .. محمد جمال إمام ٣٥
- هجوم .. كرامة الوطن في الخارج تبدأ من الداخل .. د. أحمد محمد صالح ٣٩
- إسلام لا كهانة .. خليل عبد الكريم ٤٠
- جارودى والإسلاميون .. حنا عميرة ٤٤
- العرب .. رسالة القدس : اعتراف دولي بقيام الدولة الفلسطينية .. نظير مجلى ٤٦
- رسالة حيفا : العنف في المجتمع الإسرائيلي .. نساء ٤٧
- عام بعد بكن .. جيهان أبو زيد ٥٠
- كتابخانة .. صلاح عيسى ٥٢
- العالم .. رسالة واشنطن : نتائج الانتخابات الأمريكية .. سمير كرم ٥٧
- رسالة باريس : سيمير الأسود الذي لم يقع .. نجلاء العمرى ٥٩
- رسالة موسكو : إسرائيلي يحكم مجلس الأمن الروسى .. أحمد الحميسى ٦٢
- رسالة ألمانيا : مؤتمر النقابات .. نبيل بقروب ٦٤
- حقول الألغام الباكستانية .. نبيل زكى ٦٨
- فكر .. رؤية جديدة لتاريخ وآليات التطور العلمى والسياسى .. لطيف فرج ٧٠
- الديمقراطية الاقتصادية أولا .. الديمقراطية الاجتماعية .. د. عصام الزعيم ٧٤
- التبعية المعاصرة .. د. خليل حسن خليل ٧٦
- أرشيف اليسار .. فخرى لبيب .. مدرس وجيولوجى وأشياء أخرى .. د. رفعت السعيد ٧٩
- فخرى لبيب .. رحيق السنين .. ناصر ٥٦ .. انتعالية حزينة غاضبة .. د. سمير حنا صادق ٨١
- ناصر ٥٦ .. بين × شمال .. أمينة النقاش ٨٣
- فن .. ناصر على الشاشة بطل تراجيدى .. أحمد يوسف ٨٧
- رحلة في مجاهل موت عابر .. عبلة الروينى ٨٩
- فن تشكلى .. طبقة الزيات .. النضال الصوفى .. مایسة زكى ٩٦
- التجربة المصرية .. ودعوة للعالمية .. فاطمة اسماعيل ٩٨
- مناظرات .. المجازة حارة .. والميت لا مؤاخاة .. صلاح عيسى

اليسار دُر

بسم الله ماشاء الله .. إنتاجنا
من القوانين الجديدة زاد
ويمكن نهدمه للبلاد به



ع. ه. ح.

وحيدا ويبدو أن الشكرى التى طرحها رئيس التحرير فى العدد الماضى حديثا له دلالة هامة ستتمكن علينا بالضرورة خلال الأعداد القادمة.

لقد ولدت هذه الجماعة فى العام الماضى من شخصيات عامة تنتمى لأجيال مختلفة ومدارس متنوعة ، يجمعها إصرارها على أن تستأنف " اليسار " الصدور بعد قرار توقفها القسرى بعد عدد أول أكتوبر ١٩٩٥ . وبفضلكم استأنفت " اليسار " الصدور فى أول يناير ١٩٩٦ .

وقد دار حوار مسئول بين أراء مختلفة فى هذا الاجتماع ، تناول التحرير والسياسة والفكر والأخراج والأوضاع المالية والتوزيع . واختار المجتمعون الصديقين د. خليل حسن خليل و د. عادل غنيم . لينضما إلى مجلس مستشارى المجلة ثلثين للجماعة ،

لشكلا إضافة نوعية انعكست بوضوح فى أول اجتماع لمجلس المستشارين منذ أسبوعين . واتفق الاجتماع على ضرورة المحافظة على الشخصية الحالية للمجلة ، مع إعطاء اهتمام أكبر للقضايا النظرية والفكر وفتح حوار واسع ومخطط حول الموضوعات الهامة التى تواجه الفكر الاشتراكى فى هذه المرحلة .

وقرر أعضاء الجماعة البدء فى حملة التبرعات السنوية التى اتفق عليها فى العام الماضى وأدت إلى انتظام صدور اليسار دون مشاكل خلال عام كامل . وبهذه المناسبة نوجه اليسار نداء إلى كل الأصدقاء بفتح ماتمهدوا به سنويا خلال هذا الشهر (ديسمبر ١٩٩٦) .

نعمه للعدد الحالي الذى صدر فى ظروف صعبة . فأعضاء هيئة التحرير - باستثناء الزميله أمية الفقاوى - لم يساهموا فى تخطيط هذا العدد أو الكتابة فيه . وتحمل رئيس التحرير المسئولية

اليسار

مؤتمر القاهرة الاقتصادي .. وأوهام الرخاء

وشعرب المنطقة كلها لاتسمع لها بالمشاركة في عملية تريف الواقع وتلونه من خلال عقد المؤتمر الاقتصادي .. ويتحتم إلغاء أو تأجيل هذا المؤتمر . كما كتب رئيس تحرير الأهرام يوم ١٣ سبتمبر ١٩٩٦ ، محتاج من الحكم إلى البحث عن حجج وإنجازات تبرر هذا التراجع المشين.

وقد نوافق أن الحكومة المصرية حاولت - في حدود قدراتها وفهمها - تصحيح الدور الإسرائيلي ، عن طريق تغيير تركيب المنصة في الجلسة الافتتاحية وقصرها على " مصر " الدولة المضيفة ورئيس المنتدى الاقتصادي العالمي (الجهة المنظمة والداعية للمؤتمر) وبالتالي إبعاد إسرائيل عن التواجد في المنصة كما كان الحال في مؤتمري الدار البيضاء وعمان ، وعدم وجود كلمة لإسرائيل في الجلسة الافتتاحية .. وبالإعلان عشية المؤتمر عن القبض على جاسوس إسرائيلي ، وبالتأكيد على رجال الأعمال المصريين بعدم إبرام أي صفقات مع الإسرائيليين خلال المؤتمر.

وهو أمر يحد لها ، ويؤكد أن حركة الشارع المصري - رغم محدوديتها - وأن معارضة الأحزاب السياسية الوطنية للطبيع والشرق أوسطية - قادرة على الضغط على سلطة اتخاذ القرار ، وهو أمر إيجابي رغم محدوديته حتى الآن.

ولكن المايكنك تيوله أو السكرت عنه هو

وأنتا أوفكتنا أن نصيح " أسفا " وليس مجرد غر أسيري (باعتبار ماضور لهم أن النمر الأسبوية هي الأمل والنموذج) ، وبدأ كثيرون يستعملون في فك الأحزمة من على البطون ويخططون لكيفية الاستمتاع بنهر الم الزاحف من المؤتمر ومن " الوادي الجديد في الجنوب " .. و.. و..

وفي ظل هذا المناخ فأى محاولة للمناقشة الموضوعية الهادئة المبنية على الحقائق والأرقام تبدو أمرا صعبا . فمن يتصدى لها سيسبو كالوم أو الغرban ، أو من يقذف " بكرسى في الكلوب " .

وبالطبع فلستا من هواة وأد الأمل أو تحطيم الأحلام . ولكننا لاتستطيع أن نشارك في عملية خداع للرأى العام ، أو نصت على بيع اليوم للناس .

قد نفهم أن جزءا من هذه الحملة ناتج عن إحساس الحكم بمدى معارضة الرأى العام للتطبيع ومايسمى بالشرق أوسطية الذى عقد مؤتمر القاهرة كخطوة في سبيلها ، وإدراكه أن حملة أحزاب المعارضة ضد المؤتمر والتي كثفت اضطراب الحكم أمام الضغوط والتهديدات الأمريكية للتراجع وعقد المؤتمر في موعده بعد إعلان الرئيس وأركان الحكم عزمهما على تأجيل المؤتمر إلى الربيع القادم ، " ف مصفاية مصر إزاء شعبها والشعوب العربية بل

يلاحظ كثير من الساسة والمراقبين والمواطنين أن هناك نفخة جديدة سادت التصريحات الحكومية والإعلام الرسمى منذ تولي د. كمال الجنزورى رئاسة الوزارة . وجوهر هذه النفخة هو الإغراق في الأمل والأحلام الوردية والتشير بالرخاء القادم على بعد خطوات قليلة ، والاقتراب في الوعود وبأرقام فلكية.

ولم ينج " المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا " الذى استضافته مصر في الفترة من ١٢ إلى ١٤ نوفمبر الماضى ، من هذا المنهج . فإذا بالتصريحات الرسمية وعناوين الصحف والتعليقات تعزف كلها على نفخة التجاح الباهر ، وحكمة الرئيس ونجاح سياسته ، وصواب قرار عقد المؤتمر في موعده ، وأن هناك " إجماع " في مؤتمر القاهرة الاقتصادي على وجود فرص هائلة للاستثمار والنمو في مصر .. وأن " مصر اقترنت من مستوى الدول الصناعية في الإصلاح المالى " وأنه قد تم " تهميش إسرائيل إقليميا وترويج مصر عالميا " و " مصر تحصد المشروعات وخيبة أمل للإسرائيليين " و " توقيع ٩ عقود لمشروعات استثمارية مصرية كبيرة " و " اتفاقات بـ ١٠ مليارات دولار " . ومن المؤكد أن هذه الصورة الوردية أفتعت عددينا من المواطنين أن الرخاء على الأبواب ،

الصورة غير الحقيقية التي حاولت الحكومة والإعلام أن تخدع الرأي العام بها. لقد ركزت الحكومة على ثلاثة موضوعات اعتبرتها جوهر هذا النجاح.

*** الأول ..** وضع إطار جديد للتعاون الإقليمي ليس محوره إسرائيل ، وإنما يقوم على ركائز ثلاث .. التعاون العربي العربي ، التعاون بين دول جنوب البحر المتوسط وأوروبا ، وأسس مؤتمر برشلونة ، في التعاون مع الدول الأفريقية حيث تمت دعوة (١٥) من رجال الأعمال من أفريقيا.

*** الثاني ..** تمهيد إسرائيل إقليميا ، فقد كانت في مؤتمر القاهرة مجرد دولة من الدول المشاركة ولم تحظ بالوضع المتميز الذي قنعت به في مؤتمر الدار البيضاء وعمان .

*** الثالث ..** وهو ما حظي بأهمية خاصة حكومية وإعلامية ، حول " تدفق الاستثمارات الأجنبية على مصر " في إشارة إلى ٣ مشروعات تحديدا هي :

أ- الاتفاق المبدئي بين هيئة البترول المصرية وشركة " أموكو الأمريكية ، وشركة خطوط الأنابيب التركية لإنشاء شركة مشتركة لتصدير الغاز المسيل المصري إلى تركيا ، بتكلفة تقديرية تصل إلى ٤ مليارات دولار . وسينقل المشروع عشرة مليارات من الاستثمار المزمع من الغاز سنويا اعتبارا من عام ٢٠٠٠ .

ب - ٣ مشروعات استثمارية مشتركة بين مؤسسات عالمية والبنك الأهلي المصري ، تبلغ قيمتها نحو ٢٠٠ مليون دولار تعمل في مجال " الأوراق المالية - الخدمات التليفونية - الاتصالات الحديثة .

ج - ٤ اتفاقات أولية على مشروعات مشتركة بين شركات مصرية وأمريكية في مجالات النقل البحري والاتصالات ومعالجة وتنقية المياه ومكافحة التلوث البحري .

د - إعلان شركة " إيلي ليلي الأمريكية عزمها إنشاء مصنع أدوية جديد بمدينة أكتوبر .

وبعض مقالاته الحكومة وإعلامها غير صحيح ، والبعض الآخر حقائق ناعسة ، وهناك أيضا حقائق أهم غابت قاما عن التصريحات الرسمية والإعلام الحكومي.

فالقول بأن القاهرة وضعت إطارا جديدا للتعاون الإقليمي ليس محوره إسرائيل ، أمر لا يبرهن دليل عليه . فالتمعاون " العربي - العربي " لا يحتاج إلى هذا المؤتمر لتحقيقه ، خاصة وهناك ٤ دول عربية غابت أو غيبت عن المؤتمر " سوريا - لبنان - العراق - السودان " ، والصومال كذلك . وتحقيق هذا التعاون العربي لا يحتاج أكثر من تنفيذ قرارات قمة القاهرة التي طلت - خاصة في مجال التعاون الاقتصادي والسوق المشتركة - وتحرير للتجارة العربية والتعاون بين دول

جنوب البحر الأبيض وأوروبا لم يكن مطروحا في هذا المؤتمر ، فهناك آلية خاصة به .

كذلك فالجهة المنظمة لهذا المؤتمر وهي " المنتدى الاقتصادي العالمي " - وليس الحكومة المصرية - حددت منذ البداية طبيعة المؤتمر والتي تختلف عن المؤتمرات السابقين وتتساوى معها . فمؤتمر " الدار البيضاء " كان أساسا ذا طبيعة سياسية . ومؤتمر عمان ركز على آليات التعاون الإقليمي . أما مؤتمر القاهرة فقد عقد تحت شعار " البناء من أجل المستقبل .. إيجاد بيئة مواتية للاستثمار " وخصص لفرض هذه البيئة ، وعقد لقاءات بين رجال الأعمال ومنع فرص للمشاركين للإعلان عن مشروعاتهم المختلفة . وأشار البين الحتماني بوضوح إلى أن المؤتمر " أتاح الفرصة لتشجيع الاستثمار الدولي والإقليمي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . وتم إبراز إمكانيات المنطقة في مجالات الاقتصاد والتجارة والتبادل التجاري ، التي تصممها برامج إصلاح اقتصادي مهمة يتم تنفيذها حاليا من جانب العديد من دول المنطقة . وتشمل تلك الإصلاحات ، المحفظة والإصلاح الهيكلي وإزالة الحواجز أمام التجارة ، التي من شأنها إيجاد مناخ اقتصادي موات لقطاع الأعمال في المنطقة " .

وتم - طبقا لتصرحات " كلاوس شواب " رئيس المنتدى ، تخصيص ٩ غرف خاصة في المركز الدولي للمؤتمرات لعقد اللقاءات بين رجال الأعمال ، كما تم منع ١٤ دولة مكاتبه لترويج مشروعاتها ، وتم بالفعل عقد ما يقرب من ٤٠ ألف اتصال شخصي بين رجال الأعمال في المنطقة .

ورغم هذه الطبيعة التوعبية الخاصة لهذا المؤتمر التي تصب في النهاية في التعاون الإقليمي ، فإن آليات التعاون الإقليمي المباشرة ومنهجها الذي يخدم التطبيع مع إسرائيل والنظام الشرق أوسطي والدور الإسرائيلي المهيمن ، احتلت مكانا بارزا في المؤتمر وعلى هامشه .

فالقول أعصد الفكرة الإسرائيلية القائمة على " أولوية الاقتصاد على السياسة " وأن الطريق لتفكيك " الصراعات الزمنية " يتم عبر تنمية قواعد لمصالح مشتركة بين التمسعين فيها مباشرة . ويتبدل قدى من المهيمنين بتناجياتها وبضرورة حلها في المجال الدولي الأوسع .. تلك الفكرة الخبيثة التي تجمل من التطبيع والعلاقات الإقليمية الاقتصادية وإنهاء المقاطعة الإسرائيلية سابقة على التسوية السياسية .

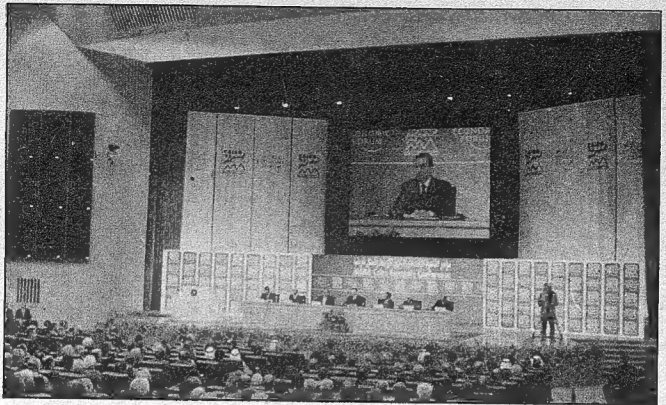
والأف فعد عقد مؤتمر القاهرة (الإقليمي) ليناقتش القضايا الاقتصادية الإقليمية ، بينما التسوية السياسية تنتقل من التشر إلى الدول في التفك المسود . بعد رفض حكومة تاناهايو الالتزام بالاتفاقيات الموقعة مع الفلسطينيين وتوقف مباحثات

التسوية مع سوريا ولبنان ، والتهديد بعقدان عسكري جديد .. إلخ .

يقول كلاوس شواب بوضوح " إذا كان انفجار مشاعر الاحباط وأعمال العنف بين الفلسطينيين والإسرائيليين يرهق على شئ ، فهو أن ليس من إمكان السلام والاستقرار إلا إذا . قاما على النسيج الاقتصادي السريع والتعاون الإقليمي وزيادة الاستثمار وتقليص البطالة .. أن المساهلة في الشرق الأوسط بحاجة إلى عنصر إيجابي هو " خصخصة صنع السلام .. ويمكن لدوائر الأعمال أن تفيد لذلك على طريق خلق نظام الاعتماد المتبادل على بعضها بعضا ، وإطلاق عملية للتنمية الاقتصادية تكون في مصلحة كل الأطراف . ويمكن تخليص هذا الإجماع بشعارين : الإقليمي ، وانفتاح الأسواق " .

وتطبيقا لهذا المفهوم فقد اهتم مؤتمر القاهرة - على عكس مارج الحكم وصفاته وإعلامه في مصر - بآليات التعاون الإقليمي .. بين التعاون الاقتصادي والتنمية ، مؤسسة الشرق الأوسط والمتوسط للسفر والسياحة ، مجلس الأعمال الإقليمي وسجل البنان الحتماني المؤتمر الاقتصادي الثالث للشرق الأوسط "شمال أفريقيا الصادر في القاهرة يوم ١٤ نوفمبر ١٩٩٦ ذلك بوضوح قائلا " .. ورحب المشاركون بالتقدم المتوسم الذي حققه ناشئا مؤسسة الشرق الأوسط والمتوسط للسفر والسياحة في تونس ، كما أبرزوا أهمية بنك التعاون الاقتصادي والتنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في القاهرة . إمكانياته بالنسبة لتشجيع تدفق رأس المال إلى المنطقة ، مما يفسح المجال لإقامة مشروعات البنية الأساسية ، علاوة على تطوير القطاع الخاص . كما أعرب المشاركون عن الترحيب بالانتهاء من اتفاقية إنشاء البنك ، وشجعوا الدول على توقيعها والتعجيل بانها . إجراءات التمويل والتصدير مما يسمح للبنك بأن يبدأ نشاطه عام ١٩٩٧ ، كما استعرضوا ماتم إنجازها بالنسبة لإنشاء مجلس الأعمال الإقليمي ، وتعميد الأطراف المعنية من جديد بدفع هذه المبادرة قدما .. واستعرض المشاركون أنشطة سكرتارية لجنة متابعة مجموعة عمل التنمية الاقتصادية الإقليمية التي أنشئت بعبان والتي بدأت نشاطها الرسمي في مايو ١٩٩٦ .. وسجل المشاركون استمرار الأمانة التنفيذية لمؤتمرات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الإطار في تطوير برامجها وأنشطتها بنجاح ..

وقد أعلن السفير وروث سعد مساعد وزير الخارجية المصري أنه سيتم بدءا من يناير القادم عمل فريق انتقالي لبنك التنمية لإعداد ميزانية البنك خلال الثلاث سنوات الأولى ، وميث المشروعات التالدة . وأن البنك سيبدأ عمله من يناير ١٩٩٨ .



الرئيس مبارك يفتتح مؤتمر القاهرة

١٩٩٤ إلى ٢٠٢ مليار دولار عام ١٩٩٥ .
وبما هذا الرقم بنسبة ٣٦٪ خلال النصف الأول
عام ١٩٩٦ . وشيخ وزير التخطيط والتعاون
الإسرائيلي إلى أن الاستثمارات الخارجية
تضاعفت في إسرائيل خمس مرات في
السنوات الأخيرة " و " انتقلها من مرحلة
الحصول على المعونات الخيرية إلى
الاستثمارات الفعلية ومضاعفة عدد السياح
وفتح أبواب النمو الاقتصادي " .

كما سجل معدل نمو الصادرات في ظل
الطبيع واتفاقات التسوية ارتفاعا ملحوظا
في إسرائيل قدرت بنسبة ١٤٧٪ و ١٠٠٪
و ١١٥٪ و ١٠٠٪ في أعوام ٩٢ و ٩٣
و ٩٤ و ١٩٩٥ .

ويظل هناك سؤال حول ما قبل هذه
اتفاقات (٩) مع الشركات العالمية . فهل هذه
الاتفاقات تمت بالفعل في المؤتمر . أم أنها
اتفاقات سابقة أعلن عنها خلال المؤتمر - وهو
الاحتمال الأرجح - في محاولة لتبريره أمام
الرأي العام؟

وما هو الحجم الحقيقي للاستثمارات التي
ستدخل مصر نتيجة لهذه الاتفاقات هذا العام
أو العام التالي؟
وما هو حجم الاستثمارات التي ستذهب
إلى إسرائيل؟

والأردن وفلسطين " بالإضافة للولايات المتحدة
، اجتماعا قُربت خلاله تحرير التجارة البينية
بين هذه الدول بالإضافة للولايات المتحدة ،
على أن يتم تحرير أسواق البلدان الخمس في
العام القادم بما في ذلك فتح الأسواق وضمان
حرية العمل لمستثمري كل دولة في أسواق
الأخرى .

وفي داخل المؤتمر أكد د. " جوليلمو
موسكاتو " رئيس مجلس إدارة مؤسسة إيتي
الإيطالية للتبوير وشركتها التابعة " أجيب " .
استمرار العمل من أجل تنفيذ مشروع غاز
الشرق ، لنقل الغاز من مصر إلى غزة والأردن
وإسرائيل وسوريا وتركيا .. وربط هذا الخط
بشبكة غازات من دول الخليج العربي بقطر
والسعودية .

يبقى أن الأرقام والبيانات التي أذيعت
داخل المؤتمر وخارجه تؤكد أن كل ما يتم في
مجال العلاقات الاقتصادية الإقليمية برعاية
دولية و لصالح إسرائيل . فبينما لم تزد
تدفقات الاستثمار الخارجي إلى الدول العربية
خلال عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٥ عن ١٪ من
إجمالي الاستثمارات الدولية الخاصة بعد أن
كانت في الثمانينات ٣٪ فقد ارتفعت هذه
الاستثمارات في إسرائيل عقب اتفاقيات
أوسلو وواى عرية من ٨٠٠ مليون دولار عام

وبالإضافة للاهتمام بالكيانات التعاون
الإقليمي ، والتي تظل جوهر التطبيع والنظام
الشرق أوسطي كما حدده إسرائيل ، فقد
حققت إسرائيل مكاسب هامة في المؤتمر ، ولم
تكن مهتمة بموضوعها خلاله .

فإسرائيل كانت أحد أعضاء لجنة التسيير
في مؤتمر القاهرة ، والتي ضمت ١١ دولة
" الولايات المتحدة - روسيا - أيرلندا -
اليابان - كندا - إسرائيل - مصر - الأردن
- تونس - المغرب - قطر " .

وخصص للوفد الإسرائيلي - مثل الوفد
المصري - جلسة خاصة في مقر المؤتمر مساء
الأربعاء ١٣ نوفمبر عرض خلالها المشروعات
الإسرائيلية المختلفة (١٣٩) مشروعا كلفتها
١٣ مليون دولار) .

وأعلن السيد طاهر الشريف سكرتير عام
جمعية رجال الأعمال المصريين ، اتفاق رجال
الأعمال المصريين والإسرائيليين على تشكيل
مجلس أعمال مصري - إسرائيلي ، أنفق -
زما خجلا - على تسميته بـ " مجموعة
متابعة بين رجال الأعمال المصريين
والإسرائيليين " .

وعلى هامش المؤتمر عقدت المجموعة
الوزارية لأول اعلان طابعا " والتي تضم وزراء
التجارة والاقتصاد في " مصر وإسرائيل

هوامش على دفتر الحياة



ذكريات

(٢)

أحمد بهاء الدين بين غضب

عبد الناصر عليه..

وغضب السادات منه



د. عبد العظيم أنيس

بدأت حملة نظام عهد الناصر ضد الشيوعيين واليساريين المصريين في أول يناير ١٩٥٩، وكنت واحدا من المعتقلين. ومع أنني -والصديق محمود أمين العالم- قدمنا إلى مجلس عسكري ضمن متهمين آخرين بلغ عددهم ٦١ متهما فيما أذكر، ومع أن هذا المجلس العسكري قد حكم بالبراءة لنا نحن الاثنين، إلا أننا بقينا معتقلين حتى أفرج عنا في أوائل أبريل ١٩٦٤، ضمن آخر دفعة أفرج عنها من معتقل الواحات.

في تلك الفترة الكئيبة التي طالت أكثر من خمس سنوات انقطعت صلاتي بأحمد بهاء الدين، ولكنني أتذكر أنني أرسلت له من الواحات كلمة موجزة بعد أن عين رئيسا لتحرير الأخبار (ربما كان ذلك في أواخر عام ١٩٦٣) أرجوه مساعدة زوجتي في الحصول على عمل في الصحافة المصرية، إذ كانت قد فصلت من عملها في جريدة المساء، وبقيت هذه السنوات الخمس دون عمل يذكر، وقد حكى لي بعد ذلك أنه أرسل لها يدعوهما للمقابلة وأنه وعدنا خيرا، لكن الأمور تطورت بسرعة بعد إطلاق سراحى في أوائل أبريل ١٩٦٤، وعودتها إلى العمل ضمن آخرين في مؤسسة الجمهورية.

وفي المرحلة التي بدأت بإطلاق سراحى حتى وفاة عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، عاد الدفء إلى صداقتنا مرة أخرى، لكنها لم تعد بفترة العلاقة الوثيقة القديمة. وربما كان هذا طبعيا بعض الشيء، فقد كان بهاء قد تزوج وبدأت له مسئوليات عائلية لم تكن موجودة من قبل، وكنت أنا أيضا قد تركت ميدان العمل اليومي في الصحافة بعد تعييني مديرا عاما لإدارة البحوث القياسية في وزارة الخزانة، فلم نعد نلتقى بالكثرة التي ميزت علاقتنا قبل اعتقالى.

ولقد دعاني بهاء للعشاء أنا وزوجتى في منزله فور خروجى من المعتقل، كما دعا الصديق محمود العالم وزوجته أيضا، وكان حريضا على أن يسمع منا تفاصيل ما حدث لنا، وكنا نحكى تلك الأحداث الأليمة ونحن نضحك بعد ما أصبحت ذكري بعيدة، وأذكر أنه سألنى عن نوابى فيما يتعلق بالعمل فأجبت بآئنى لا أعرف وأنى ما زلت أفكر.



محمود العالم

بهاء رشحتي وزيراً للخزينة ورشح محمود العالم وزيراً للثقافة في حكومة ما بعد النكسة

مظاهرات الطلبة إثر صدور أحكام الطرمان. كان بهاء متحاطفا مع الطلبة دون شك، وكان يكره دائما أنه لابد من تغيير أساسي في النظام، وقد علق أهمية على بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ وما يتبعه من تغييرات خصوصا في التشكيل الوزاري.

وقد حكي لي بهاء آنذاك أنه قد طلب منه كما طلب من آخرين ترشيح أساء للوزارة الجديدة برئاسة عبد الناصر وأنه قد رشحتي ووزيرا للخزينة كما رشح الأستاذ العالم ووزيرا للثقافة. وكنت قد علمت أيضا أن د. صامى الدرووي

سفير سوريا بالقاهرة - وأحد وزراء الوحدة المصرية السورية - كان رشحتي كما رشح الأستاذ العالم لنفسه المصين، ولست أشك في صحة هذه الواقعة لأني أعلم من ناحية مدى صدق بهاء في حديثه، ولأن العديد من موظفي وزارة الخزانة اتصلوا بي في ذلك الوقت مهتئين بعد أن وصلتهم إشاعات هذا الترشيح.

وعندما صدرت قرارات التشكيل الوزاري وعين د. محمد العزيز حجازي وزيرا للخزينة حمدت الله كثيرا لأني كنت أعلم مدى صعوبة عمل أي شيء جدي لتطوير عمل هذه الوزارة في تلك الظروف الصعبة ظروف حرب الاستنزاف.

ولقد ظل بهاء رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال طوال سنوات ١٩٦٥-١٩٧٠. بوكنت أكتب آنذاك مقالا أسبوعيا في مجلة المصور التي كان بهاء رئيسا لتحريرها. وكان هذا المقال يتناول غالبا قضايا اقتصادية أو سياسية، وأحيانا قضايا تعليمية، ولم يكن لدى شعور من أجادته أنه كان سعيدا في عمله بدار الهلال وختنت أن هذا ربما يعود لكثرة الاعباء الإدارية التي يواجهها في مثل

وبالتبرج اتضح لي أمران.. أولهما أن بهاء، كان على صلة وثيقة بالعاملين في مكتب الرئيس عبد الناصر. ولعل هذا أنه أول من اتصل بي وأخبرني بصور القرار الجمهوري بتعييني مديرا عاما للبحوث في وزارة الخزانة (المالية حاليا)، وقال لي أنه قرأ نص القرار الجمهوري في مكتب الأستاذ سامي شرف. وكان سبب تحرك وزارة الخزانة لتعييني أن وزير الخزانة آنذاك الدكتور توفيق ضيف كان زميلا لي في المدرسة الثانوية لمدة ثلاث سنوات وفي نفس الفصل، وكان هو نفسه يعمل بمصلحة الإحصاء عام ١٩٥٧، وكان على علم بأنني اعتذرت في ذلك الوقت عن قبول منصب مدير عام مصلحة الإحصاء. وفضلت العمل في الصحافة كما أوضحت في مقال العدد الماضي.

الأمر الثاني أنني لاحظت أن بهاء كان يتحدث معي كثيرا عندما تلقى عن قضاياء ليهوائية عديدة. وأنه كان أقل حماسا في حديثه عن قضية الاشتراكية، أو بمعنى آخر فإن بهاء كان يشعر خصوصا بعد الانفصال السوري عام ١٩٦١ بأزمة آليات صدور القرارات في القصة بعيدا عن الرأي العام المصري، وكان يحكم عمله في الصحافة يعرف أسرار كثيرة لا يعرفها الشعب، وكان دائما يتسائل في حديثه معي عن كيفية مشاركة الشعب في تحمل المسئولية. وكنا نحن آنذاك نردد مقولة أن الديمقراطية السياسية لا تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية، لكنه لم يكن متحمسا فيما يبدو لهذه المقولة.

أتذكر مثلا أنه ذهب مرة ضمن وفد صحفي في صحبة المشير عامر عند زيارته الرسمية لفرنسا عندما كان ديجول رئيسا للجمهورية الفرنسية، وأثناء الزيارة وصلتهم في باريس أنباء اعتقال كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة السابق. وأبلغ الوفد الصحفي المشير عامر بأنباء مصر هذه وقال بهاء لي بعد عودته إن المشير عامر بدا خالي الذهن تماما من هذا الموضوع وأنه لم يزد على أن يقول عند سماعه التبا «ها» وكان هذا محل اندعاش بهاء الشديد.

وعندما وقعت هزيمة ١٩٦٧، وتواضعت شيوخ وثقوب نظام عبد الناصر، وقامت

تعاظفت ذقاية

الصحفيين مع

مظاهرات الطلبة

فغضب عبد الناصر

من النقيب

الذي أدرك ضرورة

التغيير في النظام



كمال الدين حسين



عبد الحكيم عامر

هذه الدار. بينما شققة الاساسي هو الكتابة لا الادارة، ولم أفهم سببا واضحا لفتور علاقته مع الصديق مصطفى بهجت بدوى الذي كان عضو مجلس الادارة المنتدب بتلك الدار.

في تلك الفترة، كان بهاء نقيباً للصحفيين المصريين بعض الوقت ونقياً للاحاد الصحفيين العرب، وعندما وقعت مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ ضد أحكام قضية الطيران التي صدرت آنذاك، كان موقف النقابة مؤيداً لمطالب الطلبة، وغضب عهد الناصر من بهاء واتهمه كما سمعنا بأنه ويسك العصا من الوسط. واعتقد أن بهاء أصيب بحاله من الاحباط بعد الاحداث التي أعقبت بيان ٣٠ مارس، والأمال التي لم تتحقق إثر هذا البيان، خصوصاً بعد طرد الأستاذ حلمي مراد من وزارة التعليم بسبب إلفاحه على تنفيذ وعده ببيان ٣٠ مارس.

وعندما مات عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وكنت قد عدت من بريطانيا قبل الرفافة بأسبوعين بعد قضاء عام في بريطانيا مشتركاً في مشروع بحوث يمولها مجلس البحث العلمي البريطاني.. أتذكر أن بهاء جاء لتناول الغداء بمنزلي في وقت كانت لا تزال أسرته بالاسكندرية أو الخارج، وخرجنا في سيارته عصراً إلى وسط المدينة، أتذكر أنه سألني عند بدء تحرك السيارة عن توقعاتي بعد تعيين السادات رئيساً للجمهورية، وتحدثت معه بصراحة معهم عن تشاؤمي من وجود رجل مثل السادات على رأس السلطة، وقلت له إنه رجل لا يمكن أن يكون محل ثقة الحركة الوطنية المصرية، فقد عمل لحساب الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، وقد كان عضواً في الحرس المديدي الذي صنعه الملك فاروق لاعتقال خصومه وعلى رأسهم مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد، فضلاً عن علاقته بالرافضة حكمت فهمي، وعلاقته بإبان حكم الثورة بعبد الله المبارك، وما تردده عن علاقته بكمال أدهم مدير المخابرات السعودية.

وأذكر أن بهاء فتح راديو سيارته رافعا صوت المذياع، وفهمت من ذلك أنه كان

يخشى أن يكون بالسيارة جهاز تسجيل مخبأ في مكان ما، والغريب أن ما قلته هذا هو نفس ما رده بعد ذلك بهاء في كتابه (معاوراتي مع السادات) الذي صدر بعد اغتيال السادات، وقد جاء هذا في أول الكتاب ليشرح سبب نفورة الأصلي من السادات، وهو يعود في أواخر الكتاب ليؤكد قناعته من خلال التعامل الواسع مع السادات بأنه رجل مغامر وليس رجل مهادن.

وفي طي أن بهاء نشر هذا الكتاب بعد اغتيال السادات في محاولة للرد على الذين كانوا ينتقدون عقله بالسادات والتي جعلته كاتب خطابه إلى وقت كامب ديفيد، «بهاء كان يحاول شرح طبيعة هذه العلاقة التي تأرجحت بين غضب السادات عليه في فترات مختلفة حتى وصلت إلى فصله من الصحافة ونقله إلى الاستعلامات، أو منع مقالاته من النشر في الصحف، وبين الرضا في فترات أخرى، إلى درجة أنه كان يستدعيه من الكويت حيث كان يعمل رئيساً لتحرير مجلة العربي الكويتية لاعداد خطابه له في المناسبات الوطنية المختلفة.

والحقيقة أن هذه الصلة بالسادات إلى قرب نهاية السبعينيات كانت محل اندهاش وتساؤلنا، فانا أعلم أن السادات قد حسب بهاء على مراكز القوى الناصرية (على صوري والآخرين) بشكل من الأشكال، خصوصاً أنه حاول في دار الهلال أن يصد هجوم عناصر مثل صالح جودت وسكينة السادات على التيار الآخر وعلى الاتحاد السوفييتي، وأن هذا هو سبب نقله في أوائل عصر السادات من دار الهلال إلى روزاليوسف، كما أنه شايخ التيار الذي تزعمه توفيق الحكيم في آتون مظاهرات الطلبة في عام ١٩٧٢، عندما بدا أن السادات لا يزعج الحرب لتحرير البلاد من الاحتلال الاسرائيلي.

تكيف بعد ذلك تتواصل الصلات إلى حد أن السادات يستدعيه من الكويت كلما كان في حاجة إلى من يعد له خطاباً في مناسبة وطنية؟

أعتقد أن هذا اللغز يجد حله جزئياً في إدراك صلاته الوثيقة - هو وزوجته - بالسيدة جيهان السادات، والحقيقة أن كل من عرف هذه السيدة عن قرب ولمس شخصيتها



أنور السادات

عبرت عن تشاؤمي
من وجود السادات
على رأس السلطة
فرفع بهاء صوت
مذيع السيارة
خشية أن يكون.
هناك جهاز تسجيل
مخبا في سيارته

إبرام معاهدة الصلح مباشرة، ونشر في جميع الصحف الكويتية بما يدل على أنه كان محل رضا المسؤولين الكويتيين، دون توقع من أحد، وكان مضمون هذا البيان أن السادات قد تمجّل وأنه كان بإمكانه

الحصول على شروط أفضل لو كان قد تمهل واستمع إلى نصيحة مستشاريه.

وقد ضاقتني هذه الأسلوب في التفكير دون إبراز جريمة السادات في عمل صلح منفرد بعيدا عن الاقطار العربية، هو بمثابة طعن للشعب الفلسطيني، كما ضاقتني أكثر أن البيان لا يحمل أي توقيع.

وخطر ببالي عندما قرأته في الصحف الكويتية أنه ربما كان بهاء وراء هذا البيان خصوصا على ضوء صلاته الجيدة بالمسؤولين الكويتيين وبالذات بالاستاذ عبد العزيز حسين وزير شؤون مجلس الوزراء الكويتي، وزاد من شكوكي هذه ما عرفته من صحفيين مصريين من أن وكالة الأنباء الكويتية أرسلت إلى جميع الصحف الكويتية في اليوم السابق على نشر البيان رسالة تقول فيها: وانتظروا بيانا هاما، واتضح أن هذا البيان «الهام» ليس إلا رسالة المثقفين المصريين.

واتصلت ببهاء فور قراءة البيان في الصحف وسألته إن كان قد قرأ البيان فاجاب أنه قد استيقظ متأخرا ولم يقرأ الصلح بعد، وسألتني: من هم الموقعون على البيان؟ فلما عرف أنه دون توقيع قال بشكل حاسم: وما قيمة بيان لا يتحمل كاتبه مسؤولية وأهم؟ وأدرت بالطبع أن بهاء لا يقف وراء هذا البيان، وعرفت بعد ذلك أن السفارة المصرية في الكويت كانت تعرف بعد صدوره بأبام أن كاتبه الحقيقي هو أستاذ مصري في جامعة الكويت، وأنه استشار شخصا أو شخصين فيه وقام بنشره.

وكان هذا الوضع هو الذي حفزني لكتابة مقال في صحيفة الوطن الكويتية بعنوان «القاهرة» وهو المقال الذي أعاد حزب التجمع طبعه ونشره بالقاهرة بعد ذلك. لكن تلك قصة أخرى قد أعود إليها في مناسبة تالية.

الطائفة لم يملك إلا الاعجاب بها. أتذكر مثلا أنني ذهبا - دجيتا إلى بغداد في منزل الكاتب الكويتي عبد الله الجبباري (ربما في عام ١٩٨٠) وبعد الغذاء عرض علينا فيلم فيديو يسجل امتحان ربالة الماجستير للسيدة جيهان بجامعة القاهرة، وكنت مستاء من هذا العمل فقيرا هذا إحدى فضائح الجامعات المصرية، كما كنت مستاء من أستاذين كنت أكن لهما احتراما وهما الدكتور سهر القضاوي والدكتور مراد وهبه لمشاركتهما في هذه المهزلة، بينما كان بهاء وزوجته مسرورين. من هذا الفيلم وقد بقيا حتى نهايته، بينما استأذنت أنا وانصرف بعد ربع ساعة من عرضه.

أما السبب الثاني - في رأيي الشخصي - في حرص بهاء على صلته بالسادات إلى زمن متأخر فهو مرضه. فقد أصيب بهاء في أول عام ١٩٧٥ بجلطة في أحد شرايين المخ، وكان هذا أحد أسباب رغبته في الابتعاد عن مشاكل ومؤثرات الحياة الصحفية في مصر وذهابه إلى الكويت. لكنه مع ذلك ظل حرصا - في البعد - على أن تكون له صلة بتطورات الأحداث في مصر. ولقد شامت المصادفات أن أكون أنا أيضا بالكويت سنوات أربع مع الأمم المتحدة في نفس الفترة التي كان بهاء بها في الكويت وكنت أراه كثيرا، وتناقش أحيانا قليلة لأنني كنت أختص عليه صحفا من مناقشات طويلة أو حادة. والأتان في حالة المرض لا يفكر دائما كما يفكر وهو في أوج صحته، والمريض يعمل حساب أشياء قد لا تخاطر بهاء وهو سليم.

ويرتبط بهذا أيضا ما قيل وكتب من أنه كان مؤيدا لكاتب ديفيد. وأنا لم أقرأ مقالا لبهاء فيه هذا التأييد. ولكنني أستطيع أن أقول إنه كان يميلت للسادات عدوا في المجاهد هذا بسبب سوء الأحوال العربية والمعلية. أتذكر نقاشا دار في منزلي بالكويت وكنت من أشد المهاجمين لاتجاه السادات بزيارة القدس وإبرام معاهدة الصلح مع إسرائيل لم أكن مرتاحا لموقف بهاء الاعتدالي هذا، حتى وقت حادثة معينة ظننت في أول الأمر أن بهاء يقف وراءها ثم تبين أنني ظلمته.

والواقعة تتلخص في أن بيانا صدر في الكويت باسم المثقفين المصريين بالكويت بعد

جورج

أورويل

وعوضه

لوييس

عوض

فى عام ١٩٥٢ وكنت أكتب كل أحد فى الصفحة الثاقية بجريدة المصرى أنذكر أننى كتبت مقالا عن الكاتب البريطانى جورج أورويل ،ولا أنذكر. التاسية فى كتابة هذا المقال ربا كان فى ذكرى وفاته وربما بسبب آخر.

المهم أننى ذكرت فى هذا المقال أن أورويل عمل مع المخابرات البريطانية فى بورما. وبعد نشر هذا المقال بأيام قابلت الدكتور لوييس عوض بالصدفة فى شارع القصر العينى، ووجدته غاضبا من المقال وما قلته عن أورويل، واثمتنا أننا نسئ لسمة كاتب اشتراكي مثل أورويل لا لسبب إلا لعدائه للنظام السوفيتى الذى قتل فى روايته (مزرعة الحيوان) Animals Farm.

وقد حاولت تهدئة الدكتور لوييس عوض وذكرت له المرجع الذى اعتمدت عليه فى الإشارة إلى صلتة بالمخابرات البريطانية ولكنه لم يقتنع ومضى غاضبا.

تذكرت هذا اللقاء بعد مرور أكثر من أربعين عاما على وقوعه لأن صحيفة الجارديان البريطانية نشرت مؤخرا خبرا عن جورج أورويل بمناسبة إذاعة بعض وثائق وزارة الخارجية البريطانية التى مضى عليها أكثر من ثلاثين عاما.

والخبر الذى نشرته الجارديان بعد الاطلاع على هذه الوثائق يقول إن أورويل كان يتعاون مع وحدة سرية من وحدات المخابرات البريطانية تسمى (إدارة بحوث الاعلام) وإن كانت ملحقه بوزارة الخارجية البريطانية من الناحية الشكلية.

وتبين هذه الوثائق ان إحدى العاملات فى تلك الوحدة- وتدعى سيليا كبروان -قامت بزيارة أورويل فى الصفحة التى كان يعالج بها وهو مريض بالسل، وعرضت عليه نشاط الوحدة وكتبت فى تقريرها : «ناقشت معه نواحي نشاطنا فى ثقة كبيرة. وكان سعيدا أن يسمح عن أنشطتنا وقد عبر عن تأييده القابى لها ولأهدافنا».

وفى الشهر التالى كتب أورويل إلى سيليا معلنا استعداداه لتزويدها بقائمة بأسماء الصحفيين والكتاب الشيوعيين واليساريين المتعاونين معهم والذين يعملون نحروهم . وقال فى رسالته إن القائمة هذه موجودة بمنزله بلندن وبالطبع أكد فى رسالته على أهمية وسرية هذا العمل.

ومع أن الوثائق المنشورة حديثا لا تحصى على هذه القائمة إلا أن بالوثائق ذاتها حاشية تذكر أن متدوية الادارة اسلمت القائمة، لكن وزارة الخارجية البريطانية رفعت الاسماء من الوثيقة لاعتبارات قانونية.

وهذا الاكتشاف عن موقف أورويل وصلاته بالمخابرات البريطانية سرب يضمن العديدين من محبى أورويل الذين كانوا ينظرون إليه باعتباره أعظم زادهيكالى القرن العشرين.

وقال مايكل فون زعيم حزب العمال السابق وصديق أورويل فى الثلاثينات والاربعينات، عندما سئل عن رأيه فى هذه الوثائق : «لقد كان هناك الكثير من اللغط فى الماضى حول تغلى أورويل عن الاشتراكية فى أواخر حياته. ولست أعتقد أن هذا صحيحا لكنى متدهش جدا لقيامه بالتعامل مع الاجهزة السرية البريطانية».

الطريف أن هذه الوثائق توضح أن روايته مزرعة الحيوان ترجمت إلى عدة لغات من بينها العربية ، وأن أحد موظفى السفارة البريطانية بالقاهرة قد حيد الترجمة إلى العربية على ضوء أن المسلمين ينظرون إلى المختاير والكلاب كحيوانات غير نظيفة. كما يتضح من هذه الوثائق أن وحدة المخابرات هذه كانت تخشى من انتشار الفكر الشيوعى بين عمال النفط فى الظهران، وهى المدينة التى وقعت فيها مؤخرا الانفجارات فى القاعدة الأمريكية وأدت إلى مقتل ١٩ عسكريا أمريكيا وجرح أكثر من ثمانين.

فى العدد القادم

-الجزء الثانى من دراسة

«الاقباط .. من هم؟»

* الجزء الثانى من ندوة

الاحزاب السياسية فى مصر

* رحيل النعمان «أبى

الاحرار اليمينيين».

د. محمد على الشهاى

وموضوعات أخرى



علاء حمروش.. لمن نقول وداعاً؟

والخطام عن خيوط اللقاء والمودة.
لم نقول وداعاً؟ للنبضة التي اختفت
من قلبنا؛ أنا وأحمد بهاء الدين
شعبان والمهندس حسام حبشي
وعصام عطيه وشهرت العالم ونهيل
يعقوب وأبو بكر يوسف ود. سالم
سلام وأحمد عبد الله وريم عويس
وكمال خليل وآخرون لا يكفى كتاب
لأسمائهم وأسمائهم.
أقبل أن الساعة قد حانت؟ وأن علينا أن
نصطف لتعزف النشيد لراحل من جيل
الراجلين؟ وأن تصبح مسجى ونحن لا نذكر
إلا وأنت تقدم الصفوف وعلم مصر يرفرف
على كتفك كأنه ابنك رفعتة لأعلى؟
يا أيها الحبيب وداعاً، وما أفسى كلمة
وداعاً إذا فارق الإنسان بها. نلسه وعمره
وضحكاته وحماسه وكل ما هو حي
ومتحرك «ماشى ماشى.. الناس لازم
موت يا أبو الشباب». لكن ليس مبكراً
هكذا وليس بفتة هكذا. ستزه رسك الآن
وتفكر ثم تحسم الأمر قائلاً: «حال
الدنيا.. المهم». وتتفعل لموضوع آخر
مثل طائر قلق مشيحاً بيدك وعينيك نفس
البريق.
أيها الحبيب.. من يقول هذا؟ ومن
يصدقه؟ وأى غد لا يحتفل.. أى غد فوق
كل طاقات العقل والقلب؟ لقد كنت منصفاً
دوماً فاصرخ أن هذا الموت طالع لا
عدل فيه.

أحمد الخميسي

توقفت فيه. وكان علاء دقة حاره في قلب
جيل لما يعد ثورة يوليه فشجسته كما
لم يشعن جيل من قبل بكهرباء
العزة والكرامة الوطنية، ثم طعن
كما لم يطعن جيل من قبل بهزيمة
٦٧. وما بين الآمال الكبار في العدل
الاجتماعي وتحرير فلسطين والوحدة العربية
وتحدى الاستعمار وما بين طعنة الهزيمة عاش
هذا الجيل أحلامه الخاصة. ولم يتوقف اتصال
علاء حمروش لحظة بتلك الأحلام، ولم يتوقف
لحظة عن المشاركة، على الرغم من أن ظروفه
العائلية كانت تسمح له بأن يحيا حياته
الخاصة المهيمة وكانت تسمح له أن يشق
طريقه إلى مناصب رفيعة متناثرة لو أنه
تجنب الطريق.
وعندما أنهى علاء رسالة الدكتوراة في
الاتحاد السوفيتي اتجه للعمل في جامعة
صنعاء لعدة سنوات، وبعد فترة من عودته
إلى مصر وضعت أزمة الفكر الاشتراكي
العقائد الثابتة في مهب الزبح، وانهارت
العربة ومخضت قوائمها وفر الحبل من نارها
في كل اتجاه، وحينئذ صرنا نضحك من كل
نقاط الاتفاق والاختلاف التي التهمت سنوات
من العمر، وصارت تأكلنا لثمة الغيش قبل أن
نأكلها وهمم البيوت وزحمة الدنيا وغدت
الذكريات العزيرة هي كل ثروتنا وتقودنا التي
تحصيناها الروح كل مساء بعد أن بقي المثلثون
في العراق دون حبة أو نص مكتوب،
بتعرض كل منهم مهارته الفردية كحزمة بلا
بحر، وثقمة مبتسرة دون لمن. وتشتت علاء
حمروش بدور يقوم به غير مركز ثقافة الطفل
وأفلام في إصدار كتب جيدة وملتقى وقيام
للطفل، حتى اختطفه الموت المبكر من حياتنا
جميعاً نحن الذين عرفناه ينقب تحت الركام

في كل صوت شيء متكرر «وشي» لا
يتكرر أبداً. الفاجعة والذهول والدعوى المروية
وما تفتقره الروح في صمت للقلب.
لمن نقول وداعاً؟ لعلاء
حمروش؟ لو كان أكرنا خبيرة وإقبالاً على
الدنيا والأصدقاء؟ وكان من آمالي أنك حي
تقرأ كل ما يكتب وترقب كل ما يجري
تستحسن بعضه وترفض بعضه وتعلق بسرعة
وتحزم مشيحاً بيدك كما دلتك: «ماشى
ماشى.. الناس لازم تختلف يا أبو
الشباب».

لا يكاد الإنسان يعي النبا حتى يفقد
الوعي. أما الموت الذي اختطف علاء في عز
شبابه ونضارته فانه لا يعي. ينطق ولا يأبه
بظهور الأقرباء والأصدقاء والمحبين.

لم نقول وداعاً؟ لعلاء حمروش الذي
كان رئيس اتحاد طلبة مصر عندما كانت
الجامعة مركزاً يشفى عقب طرقة برنيه
١٩٩٧.

لم نقول وداعاً؟ لعلاء الذي لم ينعه
إعداده لرسالة الدكتوراه في روسيا في
الفلسفة الإسلامية، عن أن يوضح الرغبات
الكبيرة فيمن حوله فيقترح انشاء أسرة عبد
الله النديم ثم يكون أول رئيس لها كرابطه
للمصريين الوطنيين في الخارج؟

لم نقول وداعاً؟ له وهو برقع علم مصر
في مهرجان الشباب بكوريا عام ٧٨ وعرض
متقدماً الصفوف رغم الخطر والوقود السري؟
من الغريب أن هذا كله بعض من علاء
حمروش الذي اختطفته أزمة قلبية مفاجئة
ذون أن يتجاوز الخامسة والأربعين، أما قمة
علاء حمروش الأكبر فانا نأثية في نفوس
أصدقائه ومحبيه، لأنها قمة النبضة التي
انقطعت فجأة، لا يستشعرها إلا القلب الذي



* قد يبدو هذا السؤال من الأسئلة البديهية التي لا تحتاج إلى أن تطرح، وخاصة أن موضوع الأقباط أصبح من المواد الرئيسية التي يثار حولها الكثير من النقاش في الحقتين الأخيرتين مع تصاعد حدة العنف الطائفي. ولكن، وربما لهذا السبب بالتحديد، أتصور أنه قد يكون مفيداً أن نحاول استعادة ما قد يبدو بديهياً، خاصة وأنه مراجعة مضمون ما يثار حول الأقباط نكتشف أن هناك إخفاقات في فهم الأقباط ومن ثم الظروف التي تعيش على الفهم الخاطئ. فكما أروشنا في مقال سابق، نجد من ينطلق في تناوله للأقباط من أرضية أنهم «أهل ذمة» وعليه بعيد طرح قانونية وضعهم السياسي (الطائفويين)، وهناك من يقترب منهم مدافعاً عن حقوقهم وطالباً أشكالاً عدة لحمايتهم باعتبارهم أقلية (الأقليات) *.

سمير مرقس

ضمن أحد أفرع العرق القوقازي الذي يضم ١٠٠ مليون نسمة تندرج ألوان بشرتهم من البياض الفاتح جداً إلى البني الغامق، وأنه تدخل في هذا العرق مجموعة البحر الأبيض المتوسط، وفي هذا الموضع يتركز عِزٌّ سوريال عطية: «أن الأقباط ليسوا ساميين أو حامييين، بل بحر متوسطيين».

كثيرون من علماء الانثروبولوجي والآثار... يؤكدون ما سبق وأن القبط هم السلالة المباشرة لقدماء المصريين فنجد وول مثلاً يقول: «وللقبط أهمية خاصة لأنهم البقية الباقية من الشعب المصري، ذلك الشعب الذي يمثل بأن له أقدم تاريخ مدون». ويضيف حاسميو: «إن القبط سكان مصر الأصليين وقد ظلوا على ما كانوا عليه دون تغيير أياً كان».

«مصريون»، والراجع أن كلمة «قبط» هي تحريف عن الكلمة اليونانية «أيجيبتوس» (Aiguptus)، التي أطلقها اليونانيون على مصر، والتيل، والمصريين. (ب) في الجذر العرقي للأقباط:

ومن الناحية العرقية فإن القبط، حسب عزيز سوريال عطية، ينحدرون من المصريين القدماء، فهم حسب تعبير لهدر: أبناء الغراعة المحدثون (Modern Sons of the Pharoahs)، فهم يشلون التمزج الأقرب إلى قدماء المصريين في ملامحهم وصفاتهم الجسمية. وللاستاذ أبو سيف يوسف إضافة هامة في هذا المجال حيث يقول: «إن معطيات الانثروبولوجيا تشير إلى أن المصريين ينحدرون

وأتصور أنه في لحظات التأزم التي هي من أهم ملامح فقدان الذاكرة الوطنية، ربما يكون من المفيد أن نستعيد ما قد يبدو بديهياً، وذلك تنشيطاً للذاكرة الوطنية، ورجوعاً للمسار الوطني الصحيح، ومن ثم يأتي سؤالنا: «من هم الأقباط؟» في وقته كي يحاول استعادة الرؤية الصحيحة عن الأقباط باعتبارهم مواطنين كاملي المواطنة، ومن ثم ما يتأسس على ذلك من حقوق وواجبات، سوف نحاول في إيجاز، أن نعمل على الاقتراب من الأقباط من حيث طبيعتهم، ثم علاقتهم بالكثينة، ثم نتبع مسارهم عبر العصور.

من هم الأقباط؟
(١) في معنى كلمة الأقباط:
يمكن القول أن تعبير أقباط يعادل كلمة

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ما سبق يمكن تطبيقه على منسوبي مصر أيضاً مما يؤكد على فكرة التجانس العرقي بين أبناء مصر. ففي دراسة للدكتور محمد السيد غلاب عن تطور الجنس البشري يذكر: من الخطأ الجسم أن نظن أن المصريين ينقسمون إلى عشرين (عشر عربى مسلم آخر قبطى، فالخليفة في مصر طوال التاريخ كانت تستقبل الهجرات-وقد استوعبهم جميعا الكيان المصرى ودخلوا في صلب الأمة المصرية. فالسليمون والأقباط إذن من أرومة واحدة ومن المستحيل التفرقة بينهم على أسس جسمية».

في هذا الاتجاه تحدثنا أيضاً د. سيدة اسماعيل الكاشف بأن مصر: «تتمتع بالتجانس العرقي بين أبنائها، فالاختلاط الكبير الذي تم بين العرب والمصريين لم يغير من التركيب الأساسي لهجم السكان أو ذمهم. بل لم يغير من التجانس الأصلي لسكان البلاد».

(ج) الأقباط والكنيسة
من الأمور التي يجب دراستها بحث طبيعة العلاقة بين الأقباط وكنيستهم. فالكنيسة المصرية منذ تأسيسها في مصر، كانت كنيسة الشعب فهي لم تأسس بقرار فوقى، ولم تدعم من حاكم قط. ولعله من المفيد إلقاء الضوء على ظروف التأسيس الكنسية في مصر، بحيث أن طبيعة تأسيس الكنيسة المصرية قد حددت إلى حد كبير مسارها التاريخي ومن ثم مسار الأقباط على مدى عشرين قرناً.

أولاً : الواقع المصرى قبل تأسيس الكنيسة المصرية؛
لقد عرفت مصر كولاية رومانية بداية من عام ٣١ ق. م على يد أغسطس قيصر وبداية من هذا التاريخ لم يدع الرومان وسيلة إلا ابتكروها لاستغلال موارد البلاد إلى أقصى حد ممكن. ووظف الدين من أجل هذا الهدف، فالتأثير البطلي المكن من سيرايس وإيزيس وهيروبركاتيس ظل محفوظاً فكان الصدارة بين الآلهة في مصر الروماني، وفرض على المصريين أن يعبدوا الأباطرة الرومان. لقد كانت العبادات في هذه الفترة ذات طابع سياسي ودينى معا. في هذا السياق، القهر الاجتماعي/ والدين المرفق لصالح للقهر الاجتماعي، تكررت أشكال المقاومة من الهروب إلى التصرد إلى الثورة، حتى كان الثلث الأخير من القرن الأول الميلادى حيث وجدت «البلاد تنزوى في هاوية الحروب الأهلية». ولم يلبث أن ظهر عامل جديد في الألق حول الشعب المصرى من شعب ودع مسالم إلى شعب عنيد مقاوم، ذلك العامل هو ظهور المسيحية في مصر وانتشارها فيها. ولقد وجد اللاتين من الصيريين المظهديين في المسيحية ضالتهن، وفي الكنيسة التي تأسست المذاهب عندهن. ومنذ بداية تأسيس الكنيسة حدث «التطابق بين الموقف الدينى والزراعة القبطية» وكذلك احتضنت الكنيسة حسب د. وليم سلحمان قلادة كلا من «الأرض والشعب».

ثانياً : تأسيس الكنيسة القبطية - المصرية؛
حسبما جاء في تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية، يعتبر القديس مرقس - الرسول كاتب الإنجيل الثانى في العهد الجديد (٤ أنجيل) هو الذى قدم المسيحية إلى شعب مصر وذلك عام ٦٠م. وقد جاء القديس مرقس ليبدأ شعباً. «معه شقيق غربال» دخلوا من طرازين مختلفين من البيئة الحضارية وبيئة الإيمان المصرى الخالص.

فالتأسيس الأولى، البيئة - الحضارية، فقد كان سكان المدن الذين يتكلمون باليونانية وبخاصة في الاسكندرية وهم من الأغريق والمصريين المشبهين بالأغريق واليهود، وهؤلاء جميعاً تأثروا بالمشورات الدينية والثقافية السائدة في المدن الهيلينية في القرن الأول. ولقد كان القوم في

تلك الآونة يشهدون تلك الوحدة التي كانت لأمرهم يستمدون وجودهم من وراء مختلف الآلهة وعباداتهم. لقد احتوت الديانة المسيحية الواقعة الجديدة بالإضافة إلى شخص السيد المسيح على شيئين جديدين خلت منهما الديانة الهيلينية، ففي تلك الديانة، يوجد عام، لم يكن يؤمن بعقيدة الخلود في عالم آخر إلا قلة من الأخيار المحسنين أو جماعة من المطلقين على أسرار بعض الديانات ذات الطقوس السرية التي تعلق بها الناس إذ ذاك، أى لم تكن عقيدة الانسانية عامة. ولم يكن حب الانسانية أساس أية عقيدة هيلينية؛ كما لم تحمل واحدة منها رسالة اليأس والمسكين والمخاطى والمسيح، وقد كان مذهب الرواقين أقرب المذاهب إلى المثل الأعلى الانساني، ولكننا لا نجد يفسح مكاناً للمحبة. ولذا لم يكن للعاملين المرهقين المتخلفين إلا أن يضعوا الرجاء في شيء آخر لم تستطع العقائد الهيلينية أن تقدمه إليهم.

أما بالنسبة للبيئة الثانية: الإيمان المصرى الخالص، والرجاء المصرى الصميم، فتختلف كل الاختلاف عن البيئة الحضارية التي وصفناها. فقد كان شغلها الشاغل إقامة الشعائر التي تطهيتها عبادة أوزيريس وترقم تلك العقيدة على توجيه الإيمان وتوجيه الطقوس للحصول على البعث بعد الموت بفضل أوزيريس، الذى بعث حيا بعد أن أوداه الشر قتيلاً، ولذا كان هم المؤمن المصرى أن يؤدي الطقوس السحرية التي بها تغلب أوزيريس على الموت، ولو أن الزارع الخلقى لم يقب من المؤمنين المصريين فقد آمنوا أيضاً بالحساب والميزان... فلم يكن عجباً إذن أن تلقى المسيحية وقد نادت بالمخلص الذى قهر الموت أذاناً صاخبة ولقاء حسناً.

ويستطرد د. غربال بقوله: «كان من عظيمة المسيحية أنها لم تجدب الطبقة الوسطى الدنيا والطبقة الوسطى العليا لحسب، بل أنها العقيدة التي اعتنقتها عامة الشعب في الحضر والريف بحمارة وإيمان».

لقد أدى تحول المصريين إلى المسيحية بشكل جماعى إلى أن تتكون جماعة مسيحية متمدة وضخمة كانت هي الإرهاصة الأولى في تأسيس جماعة منظمة هي «الكنيسة القبطية» أقدم وأعرق مؤسسة شبيهة في مصر.

من هنا وصوب كل المؤرخين فان الحديث عن الأقباط لا يمكن فصله عن الكنيسة والعكس صحيح خاصة مع توالى أنظمة الحكم الواقعة من الخارج. فإذ ظلت الكنيسة المصرية (حسب طاهر عبد الحكيم) «تلتعب دور القيادة الوطنية والاطار الخاصى للشخصية الوطنية المصرية، والمداخل من مصالح المصريين». ويضيف الأستاذ أحمد صادق سعد على ما سبق أن: «الكليروس كان ينزع دائماً إلى الاستغلال النسيى عن العرش، وكان له دائماً الائتلاف الوثيق بالكلادين يجعله يستقبل سطوتهم. مما أدى إلى تنامي المقاومة ضد الحكم البطلي في أواخره، وازدادت المقاومة في القرن الثالث، إذ تلاققت المعارضة الشعبية في حوض الكنيسة المصرية أخذ صورة الاستشهاد..» ولم يغير الاعتراف الرسمى بالمسيحية ديانة رسمية كبريا من موقف الكنيسة المصرية في اتحيازها للحق والعدل. حيث دأب بطاركة الاسكندرية على أن يجعلوا من مصر دولة مستقلة.

(د) الأقباط عبر العصور

(١) الأقباط في العصر القبطى:

لم يتوقف الأباطرة الرومان الوثنيين عن مناصبة المسيحية العداء والبدع في اضطهاد المسيحيين بشكل منظم ومتوال وذلك بداية من القرن الأول الميلادى، عندما استشهد القديس مرقس الرسول عام ٦٨م. وكانت موجات الاضطهاد المتتالية تمتد إلى عدة سنوات، فخلقت عانى

الكنيسة المصرية

لم تقاسس بقرار

فوقى ولم يدعمها

حاكم قط.. لذلك

فهي كنيسة الشعب

الأقباط مثلاً في عهد سبتيموس ساويرس (١٩٣-٢١١) من اضطهاد امتد لسبع سنوات.

وكانت ذروة موجات الاضطهاد وقت حكم دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥ م.) حيث بلغ اضطهاد المسيحيين أقصاه، حيث ضربت أعناق ما يقرب من مليون مسيحي مصري. وقابل المصريون ذلك الاضطهاد من جانبهم بكل ما أوتوا من قوة وعناد. وقد تردلت من تلك المقاومة «حركة قومية أخذت في النمو فيما بعد». وليس أدل على ذلك من أن الكنيسة القبطية بدأت تقويها التي سمته «تقويم الشهداء» بالسنة الأولى من حكم دقلديانوس (١) أي عام ٢٨٤ م. نتيجة لما ترك هذا الاضطهاد من أثر عظيم في نفوس القبط. وسمى هذا العصر بعصر الشهداء، حيث توجد الوثائق بالآلاف. فمن جهة، رفض بطش حكم الرومان، ومن جهة أخرى، رفض العبادات القبطية، والتي من ضمنها رفض قدسية شخص الامبراطور. من أجل ذلك اعتبرت المسيحية في هذا الوقت، والكنيسة المصرية، على أنها حركة مناهضة للنظام الامبراطوري المتوارث.

لم يغير اعتراف الامبراطور قسطنطين الأول (٣١٣-٣٣٥ م.) بالمسيحية كدين مسموح به، بل الرسمي فيما بعد، من الواقع شيئاً؛ حيث بدأ النزاع والجدل حول طبيعة المسيح. وقد تدخل قسطنطين ومن أتى بعده من الأباطرة في هذه المنازعات اللاهوتية، وبعدها عدة مجامع، إلا أن أغلب الأباطرة اتخذوا سياسة دينية متوازية لمعتقدات المسيحيين في مصر، وذلك بدعمهم للهرطقة. (سوف نعرض لتاريخ المجامع والهرطقات في الجزء الخاص بمرجعية الكنيسة وأهم خصائصها).

بلغ هذا النزاع ذروته في القرن الخامس الميلادي، وذلك عندما اختلفت الكنيستان القبطية المصرية وكنيسة القسطنطينية، حيث تزعم الأولى بأن للمسيح طبيعة واحدة Monophysite، والثانية فقد قالت بأن للمسيح طبيعتين. مما دعا الامبراطور مرقيان (٤٥٠-٤٥٧ م.) من أجل ذلك إلى جميع ديني في خليجونية بآسيا الصغرى سنة ٤٥١ م. فأقر المجمع مذهب الطبيعتين بعد عدة مؤامرات وسائس، كذلك حرمان البابا ديسقوريوس بابا الكنيسة المصرية حينئذ إلا أن المؤكد أن المسألة لم تكن مسألة دينية لاهوتية فحسب، إذ اتخذ الخلاف الديني في مصر شكلاً قومياً. وعليه فلم يقل ديسقوريوس ولا مسيحيو مصر، ما أقره مجمع خليجونية، وأطلقوا على الكنيسة

القبطية «الكنيسة الارثوذكسية وعلى أقباط مصر الارثوذكسين» (٢) أي «المستقيم الرأي». ليميزوا أنفسهم عن أتباع الكنيسة البيزنطية، الذين عرّفوا بعد ذلك «العرب مصر» بالمكائين، لاتباعهم مذهب الامبراطور. انتشر موقف التناقض بين الأقباط والكنيسة معبراً عن توحّد الايمان والوطنية، وما يدل على أن المسألة الدينية في مصر تطورت إلى مسألة قومية، أو امتزجت بها، ما يذكره ساويرس بن المقفع عن رهبان أجد الأديرة بأنهم لم يبعدوا عن المذهب الارثوذكسي ولم يقبلوا المذهب الخلقيدوني لأنهم مصريون.

فرح المصريون بشجرة هرقل ضد الامبراطور قوراس (٦٠٢-٦١٠ م.) وساعدوا قائده تيفتاس الذي وكل إليه الاستيلاء على مصر، لقطع الصلة عن القسطنطينية. وعندما تم تنصيب هرقل امبراطوراً في سنة ٦١٠ م. فرح المصريون ظناً منهم أن حكم هرقل (٦١٠-٦١٤ م.) ربما يكون أخف وطأة من حكم من سبقه من الأباطرة، وأنه سيكون خافق الاضطهاد وسفك الدماء، خاصة بعد أن أنقذ الدولة من الفرس بعد أن أستطاعوا غزو مصر في سنة ٦١٦ م.

حاول هرقل بعد ذلك أن ينقذ الدولة من الخلاف الديني فأصدر ما سمي بصيغة توفيق Mono Thelma تقضي بأن يتمتع الناس عن الكلام في طبيعة المسيح. ولم يظن هرقل إلى أن مذهبه الذي حاول به التوفيق قد يباه أهل مصر، كما أنه وقع فيما وقع فيه جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م.) من اسناد الرئاسة الدينية والسياسية لشخص واحد هو قهرس، ليكن بطريركاً والياً ما على مصر (عرف قهرس عند مؤرخي العرب بالمقوقس).

وقد أخذ قهرس المصريي بأحد أمرين: إما الدخول في مذهب هرقل الجديد، وإما الاضطهاد وقيل أن يصل هذا الحاكم إلى الاسكندرية في سنة ٦٣١ م.، حرب البابا بنيامين (٣) توقفاً لما سيحل به وبالأقباط من التشديد، من جراء فرض المذهب الجديد.

قاسى الأقباط جميع أنواع الشدائد من جراء اضطهاد قهرس، الذي فاق كل اضطهاد. ويقول المؤرخون أن «سيف قهرس قطع آخر ما كان يربط المصريي إلى الدولة البيزنطية»، وبمجرد السبيل بذلك لفتح مصر على يد العرب. كان معظم المصريي في ذلك الوقت من الأقباط الارثوذكس وتؤكد د. سيدة اسماعيل الكاشف أن «العرب لم يفتحهم لمصر كانوا يحاربون البيزنطيين لا المصريين».

وكان المصريون إذ ذاك قد أنهكتهم الأعباء المالية والاضطهادات الدينية، حتى أن المؤرخين المسيحيين في الصور الوسطى يذكرون أن انتصار العرب هو «غضب من الله على الروم بسبب عقيدتهم الخلقيدونية الفاسدة»، وبسبب استبداد هرقل والاضطهادات التي أنزلها بالارثوذكس.

(٢) في عصر الولاة (٤):

لقد تولّى الولاية في مصر، ولأهلاً كانوا يحصلون روح السحابة مثل مصلحة في عهد البابا أغاثون (البابا ٣٩). فلقد لى الأقباط في مصر أنه قد طرأ تغير كبير على الأقل على أحوال القبط في السنوات الخمسين التي أعقبت قدوم العرب إلى مصر. فقد عرف العرب متقابل الأمور في أيدي أهل مصر من القبط واحتفظوا لأنفسهم بالسيادة العليا، وتقليد أحكام الدين، حتى لقد أصبح للقبضة نصيب كبير في إدارة بلادهم ربما لم يصلوا إليه قبل الفتح العربي.

لقد عرف الأقباط خلال هذه الفترة عهداً من الحرية الدينية وزحوا تحت تقيضه في زمن الرومان.

وعاد إلى العقيدة الارثوذكسية وعدد لا يحصى من أبنائها... وفي

تلك الفترة ، فبكت رئاسة الكنيسة من إعادة بناء الكثير ما تهدم من الأديرة والكنائس والصوامع ، كما سمح لقيبط بيثاء كنائس جديدة . ومن الأمور اللافتة للنظر هو خوف الخلفاء من استقلال الولاة بمصر ، مما جعلهم لا يسمحون لهم بالبقاء كثيرا في هذا المنصب ، حتى أن بعض المؤرخين يرضون أن هناك أكثر من مائة وال حكموا مصر على مدى ٢٢٥ عاما . أي أن معدل الولاية حوالي عامين في المتوسط . وكانت لهذه السياسة أثرها في عدم ميلادة الولاة بالصالح العام ، ولا بنمو موارد البلاد على المدى البعيد ، أما بهم يتقدم أكبر جزية للخليقة ، عدا ما يجمعه لنفسه . انعكس هذا الأمر كثيرا على الاقباط من حيث التشدد في جمع الجزية . كذلك بعض الأوامر والقرارات والشروط التي فرضت على الاقباط ورئاستهم الدينية ، من حيث الثياب التي يرتدونها ، والدواب التي يركبونها ، وغير ذلك مما يميز بينهم وبين المسلمين كذلك من حيث شروط بناء الجديد من الكنائس والأديرة ، أو تجديد ما يتهدم منها .

وتقول د . سيدة اسماعيل الكاشف أنه وعلى وجه الإجمال ، أن هذه الأوامر كانت تنفذ في حين صدورها بدقة ، ولكن التمسك بها كان يقل تدريجيا ، وكثيرا ما كان يتسامح مع أهل اللغة في بناء الكنائس وفي الاحتفال بأعيادهم . بل مشاركة الخلفاء في عصر متأخر الاقباط الاحتفال بأعيادهم الدينية .

على أن السياسة الضريبية في ذلك الوقت ، كانت من الأمور البارزة والمؤثرة على المصريين عامة ، والاقباط خاصة . فتلقت أبقي العرب على طرق الروم في تدوين ديوانهم وجمع ضرائهم ، وإن كان العرب على ما يلوح أخف وطأة في جباية الإرمال . وكان للجباية مصدران رئيسيان : الجزية والحراج . وكانت الجزية تؤخذ من غير المسلمين ، ويؤخذ الحراج من المسلم والقبلي على حد سواء . ومع انتشار الإسلام ازدادت الحاجة إلى المال . فبدأ بعض الخلفاء والولاة يشدون أسيال الجباية ، ففى ولاية عهد الخليفة بن مروان ، وعلى الرغم من أنه أحم بأدخال إصلاحات كثيرة في مصر ، وبنتى في عهده كنائس ، لفرضت الجزية على الرهبان ، على الرغم من التقليد العربى بعدم فرض ضريبة على الرهبان . وخلف عهد العزيز بن مروان فى الولاية عهد الله بن عهد الملك بن مروان وكان مبيها لئلال جناً .. وأمر أن لا يميت حتى يقوموا عنه بالجزية . واشتد أسامة بن زائد التنوفى عامل الخليفة سليمان بن عهد الملك فى تحصيل الضرائب . وعندما جاء عصر أمر بالا يؤخذ الحراج من أواس الأساقفة والبيع . فتقابلت صير المقاومة لى أبداها قبط مصر ويوجه خاص بين الفلاحين مع التشدد فى جمع الجزية بعد عصر بن عهد العزيز . وقد أمل القبط خيرا عند مجى الدولة العباسية ، ولكن لم تقض ثلاث سنوات على قيامها ، حتى ضوعف الحراج على القبط ، ولم يتحقق ما وعد به العباسيون « من التخفيف عنهم » . فتجددت ثورات القبط ، وشاركهم فيها المسلمون ، مما اضطرأأامون أن يحضر بنفسه لقمع هذه الثورات .

(٣) فى عصر الدولة الطولونية (٨٦٨-٩٠٥م) :
أدرك الخلفاء العباسيون منذ خلافة المعتصم (٧١٨-٢٢٧م) على أقطاع مصر للقادة الأتراك وكان هؤلاء القادة الترك يؤثرون البقاء فى عاصمة الخلافة ، ويبرسون من يقوم بالأمر نيابة عنهم . وحين أقطع بكيك مصر (من أعظم قادة الترك شأنا فى خلافة المعتز) (٨٨٦-٨٦٩م) وكان متزوجا حقيقيا من والدة أحمد بن طولون بعد وفاة أبيه طولون ، وقع اختياره على أحمد لينوب عنه فى حكمها ، وإن كان ليس على كل مصر .

(٣) فى عصر الدولة الطولونية (٨٦٨-٩٠٥م) :

أدرك الخلفاء العباسيون منذ خلافة المعتصم (٧١٨-٢٢٧م) على أقطاع مصر للقادة الأتراك وكان هؤلاء القادة الترك يؤثرون البقاء فى عاصمة الخلافة ، ويبرسون من يقوم بالأمر نيابة عنهم . وحين أقطع بكيك مصر (من أعظم قادة الترك شأنا فى خلافة المعتز) (٨٨٦-٨٦٩م) وكان متزوجا حقيقيا من والدة أحمد بن طولون بعد وفاة أبيه طولون ، وقع اختياره على أحمد لينوب عنه فى حكمها ، وإن كان ليس على كل مصر .

ولكن ما هى إلا خمس سنوات ، حتى استطاع ابن طولون أن يكون أميرا على مصر كلها ، وأن يضم لنفسه إدارة الحراج فى البلاد . وكانت الدولة الطولونية تمثل الانتقال من عصر التبعية إلى عصر الاستقلال . ويرى البعض أن تاريخ مصر الإسلامية يبدأ بالطولونيين ، إذ استقل أحمد بن طولون عن السلطة المركزية ، وذلك بداية من عام ٨٦٨م ، وحتى عام ٩٠٥م . ويمكن القول : إن العصر الطولونى خلا من الأزمات الاقتصادية ، واتساع بالرخاء وزيادة الإنتاج وقد انعكس ذلك على علاقة الدولة بالكنيسة والاقباط .

وقد استطاع الاقباط المشاركة فى «تقدم البلاد وأن يتمتعوا بمعطف ظاهر . فهم أهل مصر سواء أسلموا أم بقوا على دينهم . وكان منهم العدد الوفير فى الوظائف الإدارية وخاصة المالية منها» .

لقد اتبع الطولونيون سياسة كسب الاقباط ، والتعامل مع الكنيسة برحابة ، إلا أنه أحيانا كان يعامل البابا بالشدّة دون المساس بالاقباط .

(٤) فى عصر الدولة الإخشيدية (٩٣٥-٩٦٩م) .

فقدت مصر استقلالها ، وعادت ولاية تابعة للخلافة العباسية فى سنة ٩٠٥ م . وظلت كذلك إلى قيام الدولة الإخشيدية سنة ٩٣٥م ، الذى يعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ مصر ، حيث وضع فيه أساس استقلال مصر عن الخلافة العباسية . ومهد للفتح الفاطمى الذى أرسى فى وادى النيل ، خلاقة تناهض الخلافة العباسية ، وتجعل من مصر قطبى الرخى فى تاريخ الشرق الإسلامى .

كان فى مصر على عهد الإخشيديين كثير من المسيحيين الاقباط . وكان لهم نشاط ملحوظ فى الأعمال التى تدر الأرباح الوفيرة . فكان منهم أصحاب الضياع والأطباء والصيارفة والتجار (ابن زولاقي فى كتاب أخبار سيبرية المصرى) . وكان لأقباط محاكمهم الكنسية الخاصة بهم ، وكانوا يدفعون الجزية كل بحسب الطبقة التى ينتمى إليها .

التجانس العرقى

أول المميزات المصرية

ومن الخطأ الظن

بأن مصر منقسمة

إلى عنصرين : عربى

مسلم وآخر قبطى

التطابق بين الموقف

الديني والنزعة

القومية حدث منذ

بداية دخول

المسيحية إلى مصر:

ولم يكن الخلاف

حول طبيعة السيد

المسيح خلافا لاهوتيا

فقط بل خلافاً

سياسياً منحه

المصريون طابعا

قوميا.

وخلال هذا العصر لم يثبت أي شيء غير طبيعي مورس مع الأقباط أو كنيتهم. وكانت العلاقات بين المسلمين والأقباط في معظم الأحيان طيبة، ولم تكن تتعكر إلا في حالتين: الأولى عندما يصعد نجم العديد من الأقباط في تولي شئون الدولة المالية في البلاد بشكل يثير حفيظة البعض. والثانية: حين ينتصر البيزنطيون على المسلمين في أطراف الشام، حيث تقوم المظاهرات تجاهم الأقباط وتخرب كنائسهم. إلا أن هذه المظاهرات لم تشجعها السلطة الحاكمة، حيث كانت تلجأ في الحال إلى القوة لإخمادها. بل يذكر أن الخليفة قد أصدر عام ٩٥٢ م مرسوماً لهيئة النفوس في أنحاء الامبراطورية الإسلامية، وأعلن فيه رفع الجزية عن الاساقفة والرهبان والعلمانيين المعوزين. (٥) في العصر الفاطمي (الأول والثاني ٩٦٩-١١٧١ م):

لما توفي كافور الأخشيدي عام ٩٦٨ م آخر حكام الدولة الإخشيدية، اضطرت الحالة السياسية في مصر في نفس الوقت كان الخليفة المعز لدين الله. بعد العدة لفتح مصر، وأرسل جوهر الصقلي لضم مصر إلى حوزة الفاطميين. والفعل حضر جوهر الصقلي وشرع في إنشاء مدينة جديدة في القاهرة تكون حاضرة الخلافة الفاطمية، والتي تدعى بالذهب الشيعي، ولما استقر سلطان الفاطميين في مصر كتب جوهر إلى المعز لدين الله يشد عليه ليتولى بنفسه زمام البلاد.

ويمكن القول: إن فترة الدولة الفاطمية بعصرها (الأول: ٩٦٩: ١٠٥٥ م والثاني ١٠٥٥: ١١٧١ م)، من الفترات التي تال فيها الأقباط قدراً كبيراً من الحرية، في ممارسة العبادة كذلك قمعت الكنيسة بقدر كبير من المزايا، حيث سمح بترميم الكنائس والأديرة وتجديدها.

ويذكر أن كثيراً من الأقباط قد تولوا العديد من المناصب العليا في الدولة، وأنهم قد لعبوا دوراً هاماً في تاريخ مصر خلال هذه الفترة، في كافة الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

على أن هذا لم يمنع أن تكون هناك فترات استثنائية، مثل فترة حكم الحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠٢٠) والذي عرف بعنفه الشديد مع الأقباط والمسلمين غير الشيعيين، بالإضافة إلى تصرفاته الشاذة.

لقد شهد تاريخ هذه الفترة، وخاصة العصر الفاطمي الأول، مشاهد هامة تعكس متانة العلاقة بين المسيحيين والمسلمين، وتجدد مثلاً الخليفة المعز لدين الله يستدعي إلى مجلسه بعض كبار رجال الدين المسيحي، حيث كانت تجرى بينهم وبين بقية المجالسين من المسلمين مناقشات دينية.

ووصل الظاهر لدين الله (١٠٢٠-١٠٣٦ م) روحاً سميحة نحو الأقباط، فسمح حين أنكر الإيمان المسيحي تحت ضغوط أن يرجع إن أراد إذ قال: «إن الدخول في دين الاسلام يجب أن يكون اختياريا لا تحت تأثير القوة». ومع ضعف الدولة الفاطمية بداية من عهد المنتصر بالله (١٠٣٦-١٠٩١ م)، تأثر إلى حد ما الوضع الديني في مصر لأسباب كثيرة، وتراجع التعامل مع الأقباط وكنيتهم بين التسامح في حدود مثلاً حدث في عهد الأمر بحكم الله (١١٠٢-١١٣١ م)، الذي أتمس عهد التسامح مع الأقباط، مع التزام جميع النصارى بالجزية مهما كان مركزه، وبين الذل والمهانة مثلاً حدث في عهد الحافظ لدين الله (١١٣١-١١٤٩ م).

(٦) في عصر الدولة الأيوبية (١١٧٤-١٢٥٠):

بدأت الحرب الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩ م) في أواخر الدولة الفاطمية، في ظل حكم المستعلي بالله وقد عرفت هذه الفترة باسم «فترة الحكم الضعفاء»، وبسقوط الوزراء، وأما سمي «عهد نفرة الوزراء» أو وزير السيف» (حسب المقرئ).

وكانت للحرب الصليبية الأولى تأثيرها السلبي على حالة الأقباط، وزيادتهم الكنسية. فلقد نظر إليهم في البداية باعتبارهم امتداداً لحاكمي الصليبي الغزاة، ولكن سرعان ما اختلف الأمر خاصة بعد استنجد شاور أحد الاقوياء في هذه الفترة، بالفرنجية لمواجهة ثور الدين محمود المدمشق. بل أنه عقد مع الفرنجية اتفاقاً أن يكون لهم بالقاهرة «شحنة» من الفرنجية. واتفق معهم على أن يكون لهم من دخل ديار مصر في كل سنة مائة ألف دينار. وفي سبيل إخلاء الطريق أمام الفرنجية، أشعل النار في النسطاط. وكان هناك الكثير من الأقباط يعيشون في هذه المنطقة، الأمر الذي أشعر

المصريين ككل لأن بلدكم ذهبت ضحية خيانة الأفرنجية وشارور.

وقد نتج من ذلك أن انضم الكثيرون إلى شيركوه ، الذي أرسل من الشام ليوحيه الفرجية ، حيث أجبرهم على الرحيل ، فولاها العاضد وزيراً ، وبقي ثلاثة أشهر ، وخلفه صلاح الدين يوسف بن يوسف . على أن الموقف السليبي تجاه الأقباط وكنيستهم استمر على حاله لم يتغير ، إلا بعد فشل محاولة الصليبيين الاستيلاء على مصر ، في عهد الأمير المنستعلي (١١٧١-١١٨٣) . ورفض الأقباط التعاون معهم ، مما جعلهم يمتنعون من زيارة الأراضي المقدسة .

مع تولي صلاح الدين الأيوبي الحكم ، وتأسيسه للدولة الأيوبية عام ١١٧٤م ، عاد يتخذ موقفاً سلبياً من الأقباط وراثتهم الكنسية . ولكنه مع تكرار انتصاراته على الفرجية ، واستعادته للقدس عام ١١٨٧م ، والتي مثلت ذروة انجازاته ، تغير موقفه من الأقباط ، الذين رفضوا التعاون مع الفرجية ، بل شاركوا مع المسلمين في مواجهتهم . كما تغير موقفه من الكنيسة ، حيث منحها ديراً ملاصقاً للقر للقدس ، وهو المرفوف باسم دبير السلطان . كما أعاد الكثير من الأقباط إلى وظائفهم العليا في الدولة ، واختار قطياً . هو صفى الدولة ابن أبي العالي الملقب بأبي شرفي كسكرتير خاص له .

(٧) في عصر

المالكي: (١٢٥٠-١٥١٧م) : عانى الأقباط كثيراً في عصر المالكي (١٢٥٠-١٥١٧م) بدولتيها . كان الحكم الملوكي يمثل الدولة الإسلامية التي لا تحكمها سلطة عربية . في ظل هذا الحكم لم تكن سياسة المالكي في معاملتهم مع الأقباط واحدة ، صحيح أن الأقباط كانوا ذوي نشاط طاهر في دواوين الحكومة ، وكانت خدمتهم ضرورية لحسن سير الأمور الملوكية في البلاد ، إلا أن الحكومة كانت تقسمهم من الوظائف من حين لآخر ، تبعاً للشغب ، ورغبيا للشعب ، وإرضاء لروح التعصب . ولكن هذا الانكفاء كان قصير الأمد .

يزكوا ما سبق . قاسم عهده قاسم حيث يقول : حرص سلاطين المالكي على تقرير التزامهم بالعدالة تجاه غير المسلمين من رعاياهم ، بيد أنه من ناحية أخرى كانوا يمارسون عليهم الضغوط من حين لآخر لأسباب متنوعة . على أن الأقباط شاركوا المصريين في أحداث عصر سلاطين المالكي ونشاطاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مشاركة إيجابية في غالب الأحوال ، مما ينفض دليلاً على أنهم كانوا آنذاك جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصري ، يتأثرون بأحداثه الجارية ، ويضعفون لنفس الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي خضع لها المجتمع ككل . والتي شكلت ملامح الحياة في ذلك العصر من ناحية ومؤثروا بقدر أو بآخر في مجريات الأمور من عادات وتقاليد المجتمع من ناحية أخرى .

(٨) في العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨م) :

يفتد طومان (الملك الأشرف) : وتعليقه على باب زويلة بواسطة السلطان سليم عام ١٥١٧ تحولت مصر من دولة مستقلة يحكمها سلاطين المالكي ، إلى ولاية تابعة للإمبراطورية العثمانية . فالولاية لم يكن لها هدف سوى استنزاف أموال الناس بأية طريقة كانت . وهدون استعفاء ولا تمييز . بين مسلم ونصراني . وكان البابا وهو حاكم الولاية الرسمي الذي يعينه الباب العالي كل عام ، يحكم مستعينةً بجهازين : الديوان الكبير والديوان الصغير . ولم يعرف أن أحداً من كبار الموظفين أو وجهاء القبط قد شارك في أي من هذين الديوانين . تعرض الأقباط لكثير من الجزو والظلم خلال هذا

العصر ، بل وفرضت كثير من القنود . على الأقباط من حيث الملابس واقتناء الخيل وركوبها ، ودخول الحمامات . على أن هذه القيود لم تنق القبط من التواجد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية . وبشكل أدوار اقتصادية وإدارية مثل وظيفة «الباشا» . حيث لعب المباشرون الأقباط دوراً هاماً بالنسبة للأقباط والكنيسة .

وجدير بالذكر أنه عندما وجد العثمانيون أنفسهم يحكمون بلاداً شاسعة ، أكثريتها العظمى من المسيحيين ، أسس محمد الفاتح نظام الملة عام ١٤٥٣م . ويقتضاه عهد إلى كل بطريرك من بطريركات الطوائف المسيحية بحقوق الولاية على جميع الأمور الدينية والتعليمية والاجتماعية للطائفة . وفيما يتعلق بالقبط فقد تعاملوا مع نظام الملة في سياق ثنائي واقتصادي مختلف . فمع استئثار تغفل النفوذ الأيوبي في ولايات السلطنة ، حصلت الدولة الأيوبية على امتيازات ، ترتب عليها إعادة تشكيل السمات الخاصة بنظام الملل والطوائف والرعيا ، بما يقدم أهداف التوسع الأيوبي . وعليه نجد قيام تحالف بين البيوت التجارية الأيوبية وبين جماعات المباشرين الأيوبيين ، اتجه إلى الفئات الملهة والسمعة للعمل مع الفصائل والانتماء في جنسية الدول التي كان لها حق حمايتهم . وعند هذا الحد تحول مفهوم الملة غير الإسلامية إلى مفهوم «الأقلية» . وبدأ غزو أسواق الإمبراطورية العثمانية باسم الدين . وتعاوت فرنسا مع الفاتيكان في دفع الطوائف الكاثوليكية العرب وغيرها) إلى أحضان الكنيسة الرومانية .

في ظل السياق السابق ذكره ، أعرض الأقباط عن التعاون مع الإرساليات ، ورفضت الكنيسة الاعتراف بسيادة كرسي روما على الكنيسة المصرية . في مقابل بسط الحماية على القبط .

(٩) الأقباط في القرن الـ ١٩م :

كان لتولي محمد علي حكم مصر سنة ١٨٠٥ أثره على مصر الحديثة ، فلقد كان صاحب مشروع عجل بانتقال مصر إلى أن تكون دولة حديثة ، تتجاوز عصوراً طويلة تمتد في الركود ، على كل الأصعدة . فلقد كان لمحمد علي مشروعه تحديث مصر ، الذي ارتكز على «بناء جيش قوى وحديث ، وإعادة تنظيم الإدارة ، والنهوض بها ، واستحداث صناعات لم تكن قائمة من قبل ، وإدخال التعليم العصري» . على أن من أهم الأمور المحورية في مشروعه تحديث مصر ، هو اهتمامه الخاص «بتخليق الطائفة من أبناء البلاد الأصليين من المسلمين والقبط» . كذلك اتجهه إلى المساواة بين المصريين عسلياً في الحقوق والواجبات . ويعلف التاريخ أنه في عهد محمد علي الفتى قيود الزرى وأطلقت حرية ممارسة الطقوس الدينية وبناء الكنائس وحرية زيارة الأراضي المقدسة وتحسينه حالة الأقباط الاجتماعية والاقتصادية .

وفي عام ١٨٥٥م ، وفي ظل حكم الخديوي سعيد ، أسقطت الجزيرة عن القبط . وفي عام ١٨٥٦م صدر الأمر العالي بدعوة أبناء القبط إلى حمل السلاح أسوة بأبناء المسلمين .

وفي عهد اسماعيل ، شهدت مصر انتخاب الأقباط أعضاء من أعيان القبط وذلك من مجموع ٧٥ عضواً يشكلون المجلس في مجلس شورى النواب (١٨٦٦-١٨٦٩م) ، أول برلمان تعرفه مصر . شهد هذا التحول توقيع (١٨٧٨م) احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ . ومنذ وفود القوات البريطانية إلى مصر ، أصبحت الوطنية المصرية البازغة بالتاكيد في مجال العلاقة بين المسلمين والأقباط حيث أسس الإنجليز حالة دينية ودائمة طوال فترة وجودهم في مصر ، على مدى سبعين عاماً تقريبا .

قلقت عملت السلطة البريطانية على تنفيذ مخططاتها لفصل القبط عن المسلمين بعدد من السياسات وذلك كما يلي:

(١) تفتيت الجماعة المصرية على أسس عرقية.

(٢) إلغاء الدستور.

(٣) ضرب التحالف والوحدة بين مكونات الجماعة الوطنية.

(٤) تشجيع نشاط المشرعين للعمل على احتواء

المؤسسة الدينية الوطنية وتفكيكها (الكنيسة الأرثوذكسية).

(١٠) الأقباط في القرن الـ «٢٠».

مرت الحالة الدينية في مصر خلال القرن العشرين بوجبات من الصعود والهبوط وبصيغة أخرى بوجبات من التكامل / الاندماج والانفصال / الشقاق بين المسلمين والأقباط في مصر. وتكاد تكون هذه الموجات منتظمة في تفاعلها. وإذا يدرك أن يستخرج قانونين أساسيين حول هذه الموجات هما ما يلي:

(١) أن هناك علاقة جدلية بين فترات النهضة والتقدم والتكامل / والاندماج / بين مكونات الجماعة الوطنية، والعكس صحيح، فكلما تعرضت مصر إلى حالة التخلّف والتكوص كلما حدث تراجع في

«التكامل / الاندماج» بين مكونات الجماعة.

(٢) دأب القوى الخارجية على الحيلولة دون أن تتنى مصر كيانها المستقبلي، وأحد الأسلحة التي استخدمتها القوى الخارجية، بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي والعسكري، هو ضرب وحدة الجماعة الوطنية.

الاحتلال البريطاني

سعى دائماً لتفتيت

وحدة الجماعة المصرية

بكل السبل

في هذا الإطار يمكن تتبع الحالة الدينية في مصر في القرن العشرين كمحصلة لتفاعل هذين القانونين وذلك كما يلي:

القانون الأول: دخلت مصر القرن العشرين وهي دولة محتلة من قبل الإمبراطورية البريطانية، ومنذ البداية نجد كيف شرعت سلطة الاحتلال البريطاني في تنفيذ طائفة من السياسات التي تستهدف كبح الحركة الوطنية، كان في مقدماتها تفتيت الاختلاف في العقيدة الدينية بين مسلمي البلاد وقبطها. ويؤكد الأستاذ جمال حمدان أننا بقوله: «أنه لا يمكن فصل الطائفية في أية مرحلة من مراحلها عن الاستعمار»، فهو الذي غداً إن لم يكن خلقها وهو الذي اتخذ منها أداة سياسية يدعّم بها وجوده. إن الهدف الدائم للقوى الخارجية هو إحداث تجزئة رأسيّة في بناء الجماعة الوطنية أي شقها على أساس ديني إلى مسلمين وأقباط، الأمر الذي كان يتوافق دائماً مع مراحل التكوص في تاريخ مصر في القرن العشرين.

استخدمت القوى الخارجية في سبيل ذلك أسلحة تنوعت مع مر التاريخ على أنه يمكن رصد ما يلي:

(١) الارشاليات التبشيرية.

(٢) المواجهة المباشرة بين سلطة الاحتلال والجماعة

الوطنية.

(٣) غرس الكيان الصهيوني في المنطقة قسراً.

(٤) حقوق الإنسان / الأقليات.

أولاً: الارشاليات التبشيرية:

ظهرت حركة التبشير الأجنبية ظهورها الواضح في مصر أواخر القرن التاسع عشر حيث دخلت حسب ما يذكر طارق البشري «في

ركاب رأس المال الغربي الذي تدفق بعد كسر معاهدة ١٨٤٠ احتكار الدولة الذي كان أنشأه محمد علي». لقد وفدت الارشاليات التبشيرية

في ظل «السيطرة الغربية»، حسب تعبير الأب جورج قنوازي، حيث أنها لم تنجح في الدخول إلى مصر و البقاء فيها إلا تحت أعلام جيش

الاحتلال وفي أعقاب جنوده، ويؤكد أمين هويدي على أن الارشاليات هي إحدى الآليات التي استخدمتها القوى الخارجية في صراعها مع

وطننا. لقد أصدرت الارشاليات العديد من الكتب التي تهاجم الإسلام الأمر الذي دفع الكتاب المسلمين للهجوم على العقائد المسيحية وكان من

نتيجة هذا الهجوم التبادل وحسبه. ولهم سليمان قلاوڤ أن تطول آثار هذه العلاقة بين المسلمين وللقبط. وكان من الطبيعي أن يترسب شئ

فيما بين المصريين وبعضهم بعضاً (الأقباط والمسلمين)، وإن كان أي من الفريقين غير مسئول عنه ولم يقصد إليه.

وفي نفس الوقت اتجه نشاط المشرّين إلى العمل على إختراء المؤسسة الدينية الوطنية القبط / الكنيسة الأرثوذكسية - بما يؤدي إلى

شرذمتهم وتزعزعم على المذاهب الوافدة.

ثانياً: المواجهة المباشرة بين سلطة الاحتلال والجماعة الوطنية:

عملت سلطة الاحتلال البريطاني على شق الجماعة الوطنية من خلال اتباع ما يسمى سياسة «فرق تسد» فعملوا على ثلاثة أمور:

(أ) غرس مفاهيم جديدة على الجماعة الوطنية.

(ب) إجهاض الحركة الوطنية الصاعدة.

(ج) التمييز بين المسلمين والأقباط في الحياة العملية.

(أ) غرس مفاهيم جديدة على الجماعة الوطنية:

فرغم أن التجانس هو أحد المقومات الرئيسية للكيان المصري في عرقه ولغته وتاريخه الحضاري، ومن ثم وحدته النموذجية التي تضاعف

من قدرته على الحركة وسرعة الانجاز. الأمر الذي جعل جمال حمدان يعتبر أن من بين أهم ملامح مصر: «التجانس البشري والوحدة

السياسية والفكرية والاستمرارية التاريخية والتجانس الطبيعي، لكونه إقليماً زراعياً واحداً على طول وادي النيل».

أقول رغم التجانس فلقد قدم كرومر فكرة نظرية مضادة يمكن على أساسها تفتيت الجماعة المصرية وإفحام أجسام غريبة فيها تشويه تجانسها

وتطعن خصوصيتها وثقل حلالا دون وحدتها، فليدعي أن مصر ليست أمه وجماعة سياسية متميزة، بل هي: «جماعة دولية» تتكون من

مجموعات شتى من السكان منفصلة عن بعضها لا تضمهم وحدة.

(إجهاض الحركة الوطنية الصاعدة):

عملت سلطة الاحتلال على إجهاض الحركة الوطنية الأصاعدة حيث أخذت بمقولة «ودورين» من أن مصر «أمة طال استعمارها، نحن

بفطرتها إلى قبضة اليد القوية أكثر من حنينها إلى النظام الدستوري المتراخي بطبيعته والحاكم الوديع خليق بأن يثير الاحتقار والعصيان أكثر

طوال القرن العشرين

كانت العلاقة وثيقة

دائما بين فترات

النهضة القومية

والاندماج الوطني

ما يوحى بالاعتراف بالجميل».

وفي ضوء ذلك ألقى الانجليز المستور الصادر قبل الاحتلال وكفا مجلس النواب المشكل بناء عليه.

(ج) التمييز بين المسلمين والأقباط في الحياة العملية: تعدد لورده كرومر (المفقد البريطاني) أن يومه الأكثرية المسلمة بأن دولة الاحتلال معنية بالقرار الفدالة نحو المسلمين. وأخذت السياسية الانجليزية تغيير في بعض العناصر الحاكمة من أتباعها المسلمين الاحساس بالفوارق الدينية وحق الأغلبية في المناصب الرئيسية.

وفي نفس الوقت حاول أن تثير لدى الأقباط أحقيتهم في المناصب وتبهم بعضها لاستمالتهم وإثارة المسلمين. ولها أن يكن فرياً أن تحفل الأوامر ١٩٠٨-١٩١٢ بأحداث شقاق بين مكونات الجماعة الوطنية وذلك بانعقاد المؤقرين القبطي والمصري (الاسلامي) وإن كان العائد النهائي للمؤقرين يكمن اعتباره ايجابيا حيث تغلبت روح الوطنية المصرية على المؤقرين من الجانبين.

ومن الأمور التي يجب تسجيلها هنا وقد أوردناها في الجزء الخاص بسمار التغيير في الكنيسة القبطية) هو موقف الكنيسة والأقباط من الاساليات خاصة والغرب عامة، الأمر الذي وجد فيه الانجليز أن الكنيسة / الأقباط ليسوا أصدقاء حلفاء لهم، ومن ثم كان لابد من دفع الثمن.

ثالثا: غرس الكيان الصهيوني في المنطقة قسراً:

لقد كانت الحركة الصهيونية العالمية على علاقة وثيقة بمصالح الرأسمالية الاستعمارية الأوروبية والأمريكية، وبشهر وثائق عديدة إلى دور القوى الاستعمارية العالمية، الانجليزية والفرنسية وأضيفت لهم الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد، في تعبيد الطريق نحو زرع كيان استيطاني صهيوني في قلب المنطقة ليضلل شرقها عن غربها من جانب ويخفي سيطرتها على المنطقة الممتدة بين القارات والنيل من جانب آخر. وبفضل استراتيجية التفتيت أحد أهم محاور الذخيرة الصهيونية وتأتي كثير من الأدبيات منذ الأربعينات لتؤكد ذلك. ويأتي ما يسمى بخطة اسرائيل في الثمانينات ليكون تغييراً متطوراً لاستراتيجية التفتيت حيث جاء في هذه الخطة ما يلي: ضرورة تجزئة مصر اقليميا إلى مناطق جغرافية متميزة مستغلين الانقسامات بين المسلمين والأقباط.

رابعا: حقوق الانسان / الأقليات:

عادت بعض قوى الغرب، في إطار الهيمنة على العالم الثالث،

لتصارص الدور نفسه الذي كانت تقامسه القوى الاستعمارية التقليدية، منذ قرنين، ولكن بأليات وأساليب وأدوات جديدة تتخذ من شعار حقوق الانسان / الأقليات مبرراً للتدخل الحقن في شئون العالم الثالث، وفي هذا السياق نجد مصر وقد تعرضت مؤخرا إلى مناقشة أمور العلاقات بين مكونات الجماعة الوطنية على أرضية حقوق الانسان / الأقليات. الأمر الذي خلق حالة ذهنية قلقة، لم تزل تفاعلاتها قائمة حتى الآن.

القانون الثاني:

يعكس تاريخ مصر في القرن العشرين أن درجة التكامل / الاندماج بين مكونات الجماعة الوطنية تزداد مع فترات النهوض والتقدم والعكس صحيح، فإن درجة (التكامل / الاندماج) تتراجع لصالح التجربة الشقاق مع فترات السقوط والتخلف. وعليه فإن الحالة الدينية تتأرجح صعودا وهبوطا في ضوء القانون السابق. فعلى سبيل المثال فانا نجد حسب أبو سيف يوصف كيف أن الأزمة المجتمعية الشاملة، لإقتصادية واجتماعية وسياسية تتحكم الي حد كبير في أحداث حالة من التفكير في النيان الاجتماعي، لذا نجد أن انعقاد المؤقرين القبطي والمصري (الاسلامي) في عام ١٩١١ تولد في ظروف أزمة اقتصادية شديدة بدأت في عام ١٩٠٥. ونفس هذا المعيار نجد- أحداث الفترة الطائفية التي عرفتها مصر على مدى الربع قرن الأخير (أحداث الحانكة ١٩٧٢) تأتي في إطار تغيرات اجتماعية واقتصادية حادة. وفي المقابل نجد أن في مشروع قوتي ١٩١٩، ١٩٥٢، وقد مثلا فترتي نهوض وتقدم في تاريخ مصر الحديث، دفعة في اتجاه التكامل / الاندماج بين مكونات الجماعة الوطنية واستقرار للعالة الدينية بين المسلمين والأقباط.

الخاتمة:

كانت هذه محاولة لوضع الأسس التاريخية والمعلوماتية السليمة حول أقباط مصر.

وفي اعتقادي أن هذه الأسس لابد وأن تكون هي البداية التي يتم عليها البناء لأي باحث أو مهتم بالشأن القبطي، في مناخ إخلطت فيه الحقائق بالأكاذيب، والتاريخ بالأساطير وبالوضع بالهوى.

هوامش

(١) جدير بالذكر أن الامبراطورية البيزنطية قد تأسست بالقرار الذي أصدره الامبراطور قسطنطين وكان قد رسم فيه بأن يعطى الحكم في الامبراطورية الرومانية امبراطوران في وقت واحد: أحدهما من الشرق والثاني من الغرب.

(٢) كلمة يونانية الأصل تتكون من مقطعين الأول: «أرثو» وتعني واحد أو خط مستقيم والثاني «دوكسيا» وتعني «رأى».

(٣) البابا بنيامين هو البابا ٢٧ في سلسلة تاريخ الباباوات.

(٤) يبدأ عصر الولاة من فتح العرب لمصر البيزنطية في سنة ٦٤٢م وينتهي بتقديم أحمد بن طولون إلى مصر في سنة ١١٨٦م. وقد اصطلح على تسمية هذه الفترة الطويلة من تاريخ مصر باسم عصر الولاة لأن مصر كانت حينذاك ولاية تابعة للخلافة يحكمها ولاه من قبل الخلفاء في المدينة المنورة زمن الخلفاء الراشدين، ومن الكوفة زمن علي بن أبي طالب، ومن دمشق زمن الأمويين، وأخيرا من بغداد وسامراء زمن العباسيين.



د. جنزورى .. عفواً

الفلاحون رجعيون متخلفون

يرفضون بيع أرض مصر للأجانب

وفواتدها لدى المزارعين مئات الآلاف من أجرد أراضي مصر الزراعية- لا يكتفى بالمقاومة السياسية لذلك الخطر الداهم، بل يحاول أن ينشئ من خلال الرائد التعاوني مصر لطفى، التعاونيات الزراعية المصرية لتقديم الائتمان اللازم للفلاحين بدلاً عن المرابين والبنوك الأجنبية.

«والحركة الشيوعية المصرية -هدم من حزب ١٩٢١ وحتى والحركة الديمقراطية للتحرير الوطني» وباتى المنظمات الشيوعية التى قامت بعد الحرب العالمية الثانية- تضع قضية عدم تملك الأجانب لأرض مصر، كقضية رئيسية فى برامجها وحركة نضالها الفلاحى الوطنى.

* والحزب الاشتراكي (مصر الفتاة)، يطالب -برنامجياً ونضالياً- بإلغاء ملكية الأجانب لأراضى مصر.

* وشاعر الشعب، «ببرع» -التونسي مولداً ولقياً المصرى انتماءً ووجداناً- يعبر بصدى فى العديد من قصائده عن هذه القضية الوطنية... مختاراً من مخاطرها.

«حاسب من الذى داخل بالنشطة يا فلاح

جانب شباك من بلادك والجندع طراح».

«كاشفاً نتائجها.

«والقطن برضه لخراسي ولقردها

وابن البلد يقعد ماحي قى بلاده يتجم.

«مقبلاً الخل «ادخل نقابة الزراعة.. وهى دى

غريان نصيف

النفوذ الاجتماعى والسياسى، ومن أبرز هذه الفئات، المتأمرين الأجانب الذين أتيح لهم حق تملك الأراضي الزراعية مقابل ما أغرقوا به مصر / الحنجرى من ديون وللمرابين الأجانب الذين ارهقوا الفلاحين بالديون - باهظة الفوائد- ثم تملكوا الأرض سداً لها.

ومن هنا، تراكب الصراع الاجتماعى فى الريف المصرى بين الأجراء والمستأجرين وبين كبار الملاك بالنضال الوطنى بين الفلاحين وكافة القوى الوطنية تجاه ملكية وهيمنة الأجانب على أرض مصر الزراعية ومن أجل تغيير الأوضاع القانونية والظروف المتعلقة بعملية الإنتاج الزراعى التى تيسر للأجانب هذه الملكية وهيمنة للأرض والمصالحات وتدعم من نفوذهم السياسى بالتالى فى مقدرات مصر.

«فبترتاج القوة العربايتضع فى أولوية حماية الفلاحين من المرابين الأجانب الذين «يشبهون أطرافهم فى أجساد الفلاحين» -وفقاً لنص وثائق الثورة وحماية -أيضاً وأساساً- لأرض مصر الزراعية من استيلاء هؤلاء المرابين عليها.

* والحزب الوطنى بقيادة محمد فريد -وفى مواجهة الخطر التمتاى آنذاك بملكية الأجانب للأراضى الزراعية- الذى وصل إلى حد أن إحتل المؤسسات الأجنبية وهى البنك المقارى قد انتزعت سداً لديونها

لاشك أن د. كمال الجنزورى يدرك جيداً -بحكم نشأته بأحدى قرى مصر وأرتباطه بها وبأهلها حتى الآن- أن الفلاحين المصريين لم تصل بهم درجة «الحداثة» -سواء بفهم النقد الأدبى والفنى البسيط فى هذه المرحلة، أو بفهم البنك الدولى وبرامجه التكيف الهيكلى والشركات متعددة الجنسية- إلى الحد الذى يجعلهم يفتخرون فيه ببيع مصر للأجانب، تمهيداً لغير ذى معنى، وفقاً لمفهوم سيادته.

والبصار -كجملة وكثير فكري وسياسى أصيل بمصر- لا يتبع منهج «اقتناص الأنفاط من الآخرين لمجرد معارضة» ولكن للحقيقة، فإن قضية بيع مقومات مصر الاقتصادية للأجانب قد أصبحت فعلاً -فى مفهوم الحكم منذ منتصف السبعينات - غير ذات معنى وتكريس ذلك بشكل تنفيذى- عملى ومباشر- فى الفترة الأخيرة من خلال وزارة د. الجنزورى ولعل ما يحدث بالنسبة للقطاع العام، خير مبرر عن ذلك.

ومن هنا، فإنتا نفهم هذا التصريح للدكتور الجنزورى الذى يصدر هذا المقال -ليس كجملة «عارضة»، ولكن كتعبير عن منهج براه د. الجنزورى كغالب بالإسراع بعملية التنمية، ونراه نحن كغالب بالإسراع -لا قدر الله- بدمار مصر.

أرض مصر للمصريين معركة وطنية منذ البداية

عندما تقرر قانوناً عام ١٩٨١، حق الملكية الفردية للأراضى الزراعية فى مصر لم يكن ذلك- فى الواقع الفعلى- سوى لصالح فئات محدودة، قليلة العدد ولكن كبيرة

تعيينه».

* وجيز الوفد- في آخر حكومة يتولاها- يستجيب لهذا الضال الوطني، ويصور القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٥١، الذي ينص على «منع تلك الأجانب للأراضي الزراعية، وما في حكمها من الأرض القابلة للزراعة والأراضي الصحراوية».

ورغم أن هذا القانون كان يمثل آنذاك موقفا إيجابيا شجاعا- بالنسبة للسياق الاجتماعي والسياسي الذي صدر من خلاله- إلا أنه وفقا لهذه الظروف قد شابه بعض أوجه القصور المتمثلة فيما يلي:

- عدم سريته على الأراضي التي تملكها الأجانب قبل العمل بالقانون.

- الاستثناء لعدة حالات يجوز فيها- بعد نفاذ القانون -تلك الأجانب للأرض الزراعية وما في حكمها.

* ثم كان القانون ١٥ لسنة ١٩٦٣، الذي حسمت به ثورة ٢٣ يوليو الموقف

، وتوجت به حركة النضال الفلاحى- والوطنى عامة- على مدى ثلاثة أرباع القرن، حيث نص هذا القانون على ما يلي:

١- يحظر على الأجانب- سواء كانوا أشخاصا طبيعيين أم اعتباريين- تلك الأراضي الزراعية وما في حكمها في الأراضي المحلولة القابلة للزراعة والهور والصحراوية.

٢- تحول إلى الدولة ملكية الأراضي للأجانب وقت العمل بهذا القانون، مع تعويض ملاكها وفقا للقانون.

٣- تتسلم الهيئة العامة للإصلاح الزراعى هذه الأراضي لتوزيعها على صغار الفلاحين.

.. وانتهى بهذا القانون وضع شاذ وشديد الخطورة على مقدرات بلادنا فالملكية الكبيرة للأراضي الزراعية في مصر ليست فقط قضية

هناك تعبيرات كان لها وقعها

وجاذبيتها من قبل مثل بيع

مصر للأجانب- أصبحت غير

ذات معنى،

د. كمال الجنزورى

جريدة الاهرام ٢٠/٩/١٩٩٦



تميز اقتصادى، ولكنها -بالأساس- قضية سيطرة اجتماعية وهيمة سياسية.

الاتفاق حول القانون وتقليص نطاق نفاذه

مع توجه الحكم فى مصر -منذ البعثيات- إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الاستثمار.. الأجنبى، ومع الصعوبة السياسية لالغاء مثل هذا القانون، تم الاتفاق حوله وتجميع قواعده، كما يلي:

(١) القانون ٨١ لسنة ١٩٧٦:

- الذى يبيع لمجلس الوزراء تملك الأراضي المصرية للأجانب في الأحوال التالية:
- التي تقتضيها مصالح البلاد القومية.
- التي تقتضيها متطلبات التنمية الاجتماعية.

- التي تقتضيها واعتبارات المجاملة!!.. والمرجع لهذا القانون، لم يكتف بعدمية النص وعدم تحديد أى مدلول مبادى أو قانوني من الممكن أن يحكمه في الحالات الثلاث الأولى، ولكنه أيضا- والحق يقال- كان يتمتع بروح تشريعية شديدة «الحدائة» وهو يفتح «اعتبارات المجاملة» كتبرير لتملك الأجانب للأراضي المصرية.

(٢) قانون الاستثمار الأجنبى:

حاولت الحكومة المصرية عام ١٩٧٧ -رأيت دعاوى الانفتاح والتنمية بالاستثمارات الأجنبية- أن تقرر تهجيد- إن لم يكن الغاء- القانون ١٥ لسنة ١٩٦٣.

وعلى الرغم من رفض مجلس الشعب آنذاك-من خلال قيادات المعارضة التي كانت أعضاء به-لهذه المحاولة-، ومعارضتها للمشروع المقدم من الحكومة بهذا الشأن، والذي ينص على «لا تسرى أحكام القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣ بعدم جواز تلك غير المصريين للأراضي الزراعية والصحراوية، على العقارات والأراضي التي تقل جزءا متكاملا من الأصول-الرأسمالية للمشروعات التي تترها هيئة الاستثمار».. على الرغم من عدم اقرار مجلس الشعب لهذا المشروع، إلا أنه-في الواقع الفعلى- تم إعماله، واستولى المستثمرون الأجانب- تحت دعاوى «تكمال الأصول الرأسمالية لمشروعاتهم» وبأساليب تستهدف «تطويع القانون طالما لم يُلغ»- على مساحات كبيرة من الأراضي المصرية.

(٣) فتح سبيله أمام الصحاينة: في البروتوكول الزراعى الذى تم الاتفاق عليه بين كل من د. يوسف والى وزير

عفواً

دكتور

جنزوري

وقد وافق المجلس «بسرعة لافتة للنظر» -وفقاً لتعبير «رأى الأرقام» في ٢٠ / ٢٠ / ١٩٩٦ على مشروع القانون هذا الذي ينص على «تقليد الأراضي الصحراوية للمستثمرين بالمجان أو تأجيرها بإيجار اسمي».

وما أسهل ما يورده البعض .. «علام تلك الضجة التي تثيرونها؟.. وما أهمية تلك الصحراوات القاحلة؟».

ولكن ما أصعب أن يقتنع هذا البعض بأنهم قد أخذوا الكثير من امكانات ومقدرات مصر:

* إهدار إمكانيات زراعية كبيرة؛

فقطاعات كبيرة من الأراضي الصحراوية ثبت أنها قابلة للزراعة وفقاً لتوافر إمكانيات الري، على التفصيل التالي المستقى من الإحصاءات والتقارير الحكومية والرسمية.

- ٧٥٠ مليار متر مكعب مخزون للمياه الجوفية في بعض المناطق الصحراوية.

«خطة وزارة الأشغال حتى عام ٢٠٠٠».

- ٢٠ ألف مليار متر مكعب من المياه الجوفية، شبكة المياه الجوفية العميقة في مصر»

١. د. محمود أبو زيد -رئيس المركز القومي لبحوث المياه-.

- المياه الجوفية بصحراء مصر تكفي لزراعة أكثر من ٣ مليون فدان.

٢. د. فاروق الباز -العالم المصري بجامعة بوسطن-.

- ٤٠٠ ألف فدان من الأراضي الصحراوية بسيينا، قابلة للزراعة بمياه ترعة السلام

٣. تقرير وزارة الزراعة -مارس ١٩٩٦-.

- ٥٠٠ ألف فدان قابلة للزراعة بالوادي الجديد من خلال توصيل المياه بترعة جديدة من أمام قناطر إस्ता.

٤. السيد محمد عزت -محافظ الوادي الجديد-.

- ٤ مليون فدان من الأراضي الصحراوية من الممكن زراعتها بالمياه المطرية على الساحل الشمالي.

٥. دراسات مركز بحوث الصحراء»

.. ولعل هذه الأرقام الرسمية -كمجرد

فناذج للإمكانيات المائية والزراعية لأرض مصر الصحراوية -لنؤكد مدى الخسارة التي تلحق بمصر، ومدى المكاسب التي يمكن أن يجنيها المستثمرون الأجانب والشركات متعددة الجنسية، بناء على القانون ٥ لسنة ١٩٩٦، التي تبرعت الحكومة المصرية للأجانب بقضاء بصحراء مصر.

٦. إهدار خطير للأمن القومي؛

لا تكمن أخطاء هذا القانون على المستوى الاقتصادي فحسب، بل تعد لتشمل أيضاً الأمن القومي بمعناه المباشر.

فنص القانون خال من أي ضوابط متعلقة بالمواقع الاستراتيجية وذات الأهمية الخاصة للأمن القومي.

فلم تكنف الحكومة باقامة اسرائيل لمركز لاستصلاح الأراضي بمنطقة شرق العوينات التي تتميز -بجانب ما تحتضه من مياه جوفية هائلة- بالوضع الاستراتيجي المؤثر على الأمن القومي ليس لمصر فحسب، بل وثلاث دول عربية أخرى هي السودان وليبيا وتشاد ولكنها بهذا القانون تبوح لأي جهة أجنبية أن تمتلك.. ومجاناً أيضاً! .. أي موقع ذي أهمية استراتيجية وأمنية طالما أنه «الأراضي الصحراوية»!.

٧. وأخيراً.. ' إن الأرض الزراعية المصرية -بل والمسالمة الزراعية بأكملها - يتم إهدارها منذ منتصف السبعينات من خلال محاولات الهيئة الأجنبية عليها من ثلاثة محاور:

٨. اشتراطات البنك والصندوق الدوليين، وبرامج التكيف الهيكلي.

٩. تقليص المحاصيل الرئيسية الغذائية والاستراتيجية، تحت دعاوى «المعونات الأمريكية».

١٠. الاخراق الإسرائيلي للعلاج الزراعي في مصر: تحت حجة «الحاجة» «الطبيعية».. والآن.. وبهذه التوجهات المباشرة لتمليك الأجانب للأراضي المصرية يكون المربع، قد أحكيت أضلاعه على الزراعة المصرية، بكل ما تعنيه من واقع اقتصادي واجتماعي وسياسي.

ولكن الواضح أن المستولن عن السياسة الزراعية وعمر مصائر الفلاحين المصريين لم يقرأوا جيداً تاريخ النضال المصري، فهو -في مجمله- نضال من أجل «الأرض» المصرية.. ضد الطبقة في الديانة، ثم بعد ذلك ضد الاستغلال والهيمنة الأجنبية.

الزراعة المصري، ونظيره الإسرائيلي «يعقوب تسور» عام ١٩٩٢، فترة رئيسية حول إقامة إسرائيل مجتمعات زراعية على أرض مصر المستصلحة -بغيرها- إسرائيليين وعائلة مصرية- وخاصة في سيناء (٥٠ ألف فدان).

بالإضافة إلى هذا البروتوكول، والعديد من الاتفاقات التي تمت مباشرة من خلال اللجنة الزراعية العليا المشتركة المصرية / الإسرائيلية، ذات الاجتماعات الدورية، أو من خلال الوفود التي يبعث بها د. وإلى إلى إسرائيل والتي أثمرت العديد من المشروعات والاتفاقيات للتواجد الإسرائيلي على أرض سيناء.. فهاك ما هو أكثر خطراً والتمثل في تهديد نصيب الاستثمار الأجنبي من الأراضي المنزرعة بمياه «ترعة السلام» وهي أكثر من ٤٠٠ ألف فدان -بحوالي ٦٠٪/.

وليس خافياً أن الجانب الأكبر من هذا الاستثمار سيكون إسرائيلي.

١١. التبرع للأجانب بالأراضي الصحراوية؛

في زمن لم يتجاوز الساعة الواحدة إلا بقليل في إحدى جلسات مجلس الشعب في يناير من هذا العام، وعلى هامش إقرار قانون الاسكان الجديد الذي استقرت المناقشات حوله أغلب الجلسة -صبر القانون رقم ٥ لسنة ١٩٩٦.

حرية تكوين الأحزاب والجمعيات السياسية... في مصر

عشرون عاماً من التعددية

السياسية القيد

نظام

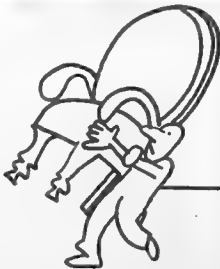
الحزب

الواحد

في

قالب

تعددي



د. مصطفى كامل يدير

ال نقاش وعصام حسن يشجل

ملاحظات

صلاح عدلى يشرح وجهة نظره فى

الحزب الدينى والدولة الدينية



دور الجماهير واليسار

لقد فرضت الدراسة بالمحايا فى الفصل الأول «حرية تكوين الأحزاب فى الشرعية الدولية والدستور المصرى» على أن تكون الأحزاب جاء بقرار من أعلى وفق إرادة رئيس الجمهورية ولعب الدفع من أعلى دوراً محورياً فى ميلاد خمسة من هذه الأحزاب، أن تبدأ الندوة أعمالها بمناقشة ظروف وعوامل النشأة.

وقد سلم الجميع بما قالته الدراسة من أن «المسيرة التعددية الجديدة» جاءت محكومة بنشأتها من أعلى وفق إرادة رئيس الجمهورية ولقى إطار فلسفة التنظيم السياسى الوحيد الذى رسم حدودها الضيقة وطابعها المتدرج وهو ما جعل هذه التعددية فى إطار مقيد يقهود صارمة».

ولكن الخلاف تركز حول وجود ظروف وعوامل أخرى- غير إرادة ورغبة رئيس الجمهورية- فرضت هذا الشكل من التعددية. قال حسين عبد الرازق: هناك إلحاح فى هذه الدراسة على أن الأحزاب تم انشاؤها من أعلى ودون أن تكون تعبيراً حقيقياً عن إرادة شعبية. وأعتقد أن ذلك ليس دقيقاً تماماً.

أ- فهناك مجموعة من العوامل أدت إلى قيام الأحزاب السياسية، فلم يكن هذا التعدد الحزبى المقيد فى مصر مجرد قرار ادارى أو منحة من الحاكم يهبط على الحركة الجماهيرية.. ولكنها -فى الحقيقة- جزء من التطورات الاقتصادية والاجتماعية التى مرت بالبلاد منذ انقلاب ١٣ مايو ١٩٦١ وبصفة خاصة عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣. ويمكن تحديد هذه العوامل فى ٣ عوامل..

١- تطور نضال وتضحيات الحركة الجماهيرية المصرية وجهاتها إلى التعبير المستقل عن مطالبها، ومحاولتها بناء أشكال تنظيمية مستقلة، خاصة بين صفوف عمال المصانع والمهنيين والمتقنين وطلاب الجامعات وفى بعض مناطق الريف التى شهدت مراجعة حادة بين فقراء الفلاحين وكبار الملاك، ورفض الحركة الجماهيرية العمل فى إطار تنظيمات الاتحاد الاشتراكى التى خضعت لقيادة وسيطرة الرأسمالية الطبقية والبيروقراطية. -انتفاضة الجامعة ١٩٧٢- ٧٢.٧٣.٧٤- الانفجارات الجماهيرية ٧٢.٧٣.٧٤- الانفجارات فى صفوف الطبقة العادلة يتأخر ومارس ١٩٧٥- التعبير السياسى المستقل من خلال نقابتيى الحامين والصحفين ٧١-١٩٧٥- انتخابات الاتحاد الاشتراكى ١٩٧٣- تكوين تنظيمات سياسية سرية وماركسية أساساً. ٢- ازدياد التمايز الاجتماعى واتساع نطاق الفوارق بين الطبقات الكادحة والطبقات المستغلة واستفحال النتائج الاجتماعية السلبية لظاهرة ازدياد الفقراء فقراً وازدياد الأغنياء غنى، مما حتم الاعتراض بقدر من التمايز السياسى لضمان

استمرار نفوذ الشرائع الرأسمالية الكبيرة. ٣- تهيئة المناخ المناسب لتشجيع الاستثمار الأجنبى، خاصة وأن سياسة الانفتاح الاقتصادى لم تحقق حتى ذلك الحين ما كان متصوراً من تدفق رؤوس الأموال الأجنبية، وأعتقد بعض الرأسماليين أن صيغ المجتمع بصيغة ليبرالية وإحكام قبضة الرأسمالية سوف يطمئن المستثمرين الأجانب.

إن دور القوى الجماهيرية واليسار فى فرض قدر من التعددية حقيقية يصعب تجاهلها. وأذكر أن أول من دعى إلى قدر من التعددية السياسية والحزبية كان اليسار المصرى (الجمهورية- الطلبة.. مارس ١٩٧٢ خالد محيى الدين وصعود الخليف من خلال لجنة تطوير الاتحاد الاشتراكى..).

ب- مارس حزب التجمع مجرد قيامه نشاطه كحزب سياسى مستقل وقبل صدور قرار السادات بتحويل التنظيمات إلى أحزاب فى نوفمبر ١٩٧٩.

ج- أزمة انتخاب السكرتارية العامة المؤقتة فى ١٠ أبريل ١٩٧٦ وإصرار الهيئة التأسيسية على أن لا يكون التجمع حزبا شعبيا كما أراد السادات.

المهندس أبو العلا ماضي:

وكيل مؤسس حزب الوسط

-نطرح مفهومنا

بشريا للإسلام ..

ونرفض الدولة

الدينية .. ونقبل التداول

الحقيقي للسلطة.

عادل عيد

عضو مجلس أمناء المركز:

الدستور هو أساس الداء يتكريسه

للشمولية وهيمنة مؤسسة الرئاسة

-أزمة.. المذكرة السوفيتية -للحكومة المصرية ٢ أبريل ٧٨ ورفض خالد إصدار بيان بناء على طلب الحكومة.

- أزمة مساندة الثورة الفلسطينية في لبنان يوليو ١٩٧٦ وانتهام الحزب بأنه يدعوته للتطوع في صفوف الثورة الفلسطينية في لبنان بمعنى تكوين ميليشيات مسلحة. ويخالف مبدأ التزام كل الأحزاب بالسياسة الخارجية للرئيس.

- الإصرار على حق الاضراب.

- برنامج انتخابات مجلس الشعب (أكتوبر ١٩٧٦) والذي كان في جوهره.

- برنامج حزب مستقل يطرح نفسه من أجل الحكم.

وعبرت فريدة النقاش عن نفس الاتجاه قائلا:

لم تضع الورقة الخلفية الاجتماعية الاقتصادية التي قامت في ظلها هذه التعددية المقيدة والقانون ٤٠ لسنة ١٩٧٧ .. مثل ترسانة القوانين المقيدة للحريات والمنحدرة من نظام ثورة ٢٣ يوليو، والتي ازدادت تعقيدا في ظل السادات ، أو دور المؤسسات المالية التي طالبت بقدر من التعددية السياسية كضمان للمستثمرين متابع

هاجرة
المجهولية
الاقتصادية والشمولية

السياسية

التي تمزج

الحكم في

مصر وكذلك الواقع الفعلي أو

الشرعية

الواقعية التي

تميزت

بوجود قوتين أساسيتين

نشطتين منذ الثلث الأول من هذا

القرن ..الاخوان المسلمين

والشيوعيين رغم حجب الشرعية القانونية

عنهما، ودورهما في فرض حق تعدد

الأحزاب.

لجنة منع الأحزاب

انتقل الحوار بعد ذلك وخلال الجلسة

الأولى كاملة لموضع القيود القانونية علي

حرية تكوين الأحزاب.

وقد رصدت الدراسة بتفصيل دقيق القيود

المفروضة على تأسيس الأحزاب، سواء من

ناحية المطاعن الدستورية، أو الشروط

الاجرائية لتأسيس الأحزاب، أو الدور السلبي

للجنة شئون الأحزاب من حيث التشكيل

والاختصاصات.

فمن الناحية الدستورية قبلت المحكمة

الإدارية العليا الطعن بعدم دستورية الفقرة

الواردة في المادة الرابعة من قانون الأحزاب

والتي تشترط لتأسيس الحزب تميز برنامجه

وأسياساته وأعماله في تحقيق هذا البرنامج

تميزا ظاهرا عن الأحزاب الأخرى ورغم أن

المحكمة الدستورية العليا رفضت الطعن

وأقرت بـستورية هذا الشرط، إلا أن

الدراسة ترى أن هذا الحكم «يظل

قاصرا عن معالجة المشكلات العملية

التي يثيرها تطبيق هذا الشرط

والتي تؤدي في نهاية المطاف إلى

حرمان بعض المصروعات السياسية

من حقها في تكوين أحزابها..

وأعمال هذا القيد يضرب مبدأ

التعددية السياسية في الصميم

ويجعل المادة الخامسة من الدستور

التي تقتضي بأن يقوم النظام

السياسي على أساس تعدد الأحزاب

خاوية من أي مضمون. كما أن

التمسك بهذا النص من شأنه أن

يعاظم من الانشقاقات والانقسامات

داخل الأحزاب».

وتسجل الدراسة أن المحكمة الدستورية

قضت بعدم دستورية الشرط الوارد في القانون

بأن « لا يكون من بين مؤسسي الحزب

وقياداته من تقدم أدلة جديده على قيامه

بالدعوة أو المشاركة في الدعوة أو التصدية أو

الترويج لمبادئ أو اتجاهات أو أعمال

تتعارض مع المبادئ التي وافق عليها الشعب

في الاستفتاء على معاهدة السلام وإعادة

تنظيم الدولة بتاريخ ٢٠ أبريل ١٩٧٩ (جلسة

٧ مايو ١٩٨٨)، كما قضت المحكمة بعدم

دستورية العزل السياسي الوارد في المادة

الرابعة من قانون الأحزاب.

وترى الدراسة أن هناك مقالا في

الشروط الاجرائية لتكوين الأحزاب

في مصر طبقا للقانون ٤٠ لسنة

١٩٧٧ وتعديلاته. فقد أضعف القانون

قيام الحزب. لنظام الترخيص بدلا من نظام

الإخطار، ورغم تمتع الحزب بالشخصية

الاعتبارية على قرار لجنة شئون الأحزاب،

وأضاف جهات رقابية أخرى عندما أعطى

اللجنة حق الاستعانة برأي رئيس مجلس

الشعب ومجلس الشورى والمدعى العام

الاشتراكي قبل إلغاء قانون حماية الجبهة

الداخلية. بالإضافة لاستمرار القيد المتعلق بأن

يكون ٥٠٪ من الأعضاء المؤسسين للحزب

من العمال والفلاحين بما يشمله ذلك من إخلال



حسين عبد الرازق يتحدث وعادل عبد وسعيد الجمل يفتان

حسين عبد الرازق

أمين اللجنة السياسية بحزب التجمع:

من حق كل حزب أن يختار مرجعيته وأيديولوجيته

ومن الخطأ فرض مرجعية أيديولوجية دينية

أو مدنية على الدولة والمجتمع

الحزب الحاكم. ويصبح طبيعياً أن ترد القيود... ونظام انتخابي مشروط... تجريم للنشاط السياسي الجماهيري... المثير أن التدرج في مصر يتم عكسياً... فالقانون يستخدم لإحكام الحصار ومنع أي تطور إيجابي للأحزاب.

«تناصر أمين أمين لفت النظر إلى أن النصوص الواردة في المواثيق الدولية والتي وقعت عليها مصر يتفق الحكم في أزمة، فهذه النصوص تصبح جزءاً من القانون الداخلي. ويحدد ثلاثة أنواع من القيود:»

«قيود أذاعية، تتمثل في شرط عدم تعارض مبادئ الحزب مع الشريعة الإسلامية، وشرط الالتزام بالاشتراكية...»

«فمن نتيجة هذه الشروط استحالة قيام حزب علماني أو مسيحي.

«قيود تحكيمي، يتحكم في شرط تميز برنامج أي حزب جديد عن برامج الأحزاب القائمة، فهذا الشرط فضفاض يعطي الحرية المطلقة للجنة الأحزاب لتقرر ما تشاء.

«قيود الأمن القومي، مثله في منع التشكيلات العسكرية، وأن لا يكون الحزب

مجتمعي، صحيح أن السلطة أكثر عشاقاً وغشومية، لكن منح التسلط موجود في البيت والمدرسة والأحزاب جميعاً.

«عبد الفقار شكر قال أنه يستحيل معالجة هذه القضية في إطار قانوني فقط، وإنما في إطار مجتمعي اقتصادي اجتماعي، فالديمقراطية كما استقرت في العالم الرأسمالي، تبلورت في سيادة القانون والتعددية -والحريات والحقوق المدنية والسياسية- تبادل السلطة... واستقرت هذه الأسس في ظل صراع طويل تجنباً لحرب أهلية.

في مصر التعددية بدأت من أعلى في ظل بحث السادات عن شرعية جديدة... لم يكن مقتنماً بالتحول إلى النظام الديمقراطي. وفي رسالة للباحث أحمد حسن عن التعددية المقيدة، أشارت إلى أن نظم التعددية المقيدة في العالم الثالث تقوم على ثلاثة أسس... تبدأ من أعلى- التدرج- هيمنة السلطة التنفيذية على الحياة السياسية أي أن جوهرها حزب مهين يتحكم السلطة، إلى جوار أحزاب صغيرة لا يسمح لها بالتطور لتناسب

«مبادئ المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات» عبارة على أنه يمثل نوعاً من التوسية على الأحزاب، ويتعارض مع نص المادة الخامسة من الدستور التي أخذت بهذا تعدد الأحزاب «بإسراع لكافة فئات المجتمع أن تؤسس أحزابها».

وتختتم الدراسة هذا الجزء بالقاء الضوء على تشكيل واختصاص لجنة شؤون الأحزاب، التي تمثل أخطر قيد على حرية التعددية الحزبية في مصر، منتبهة إلى أن «لجنة شؤون الأحزاب بتشكيلها شبه الحكومي وبسيطرة الحزب الحاكم على آليات إصدار القرار فيها باتت قفلاً لسلطات واسعة تمنح لها الحق في إضفاء المشروعية أو حجبها عن الأحزاب تحت التأسيس، فضلاً عن حجبها في طلب حل أي حزب، وسلطانها الواسعة في وقف إصدار صحفه أو نشاطه أو قراراته. وبعد أن كانت اللجنة مقيدة بالبلو، إلى القضاء لاستصدار مثل هذه القرارات فقد أصبح من حقها اتخاذ قرارات الوقف ويات على قيادات الحزب وأعضائه المتضررين أن يلجأوا للقضاء». وتشير الدراسة إلى أن الطعن على قرارات لجنة الأحزاب، يتم أن كان مقرر أمام محكمة القضاء الإداري، إلا أن تعديل قانون الأحزاب بالقرار بقانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٧٩، قد أفضى إلى حرمان الأحزاب من المثل أمام القاضي الطبيعي (مجلس الدولة) الذي استبدل بمحكمة تشكلت هيئتها بصورة استثنائية تجمع بين عناصر قضائية وأخرى غير قضائية، وحرمانها من استئناف القرارات التي تصدرها المحكمة.

الدستور .. وترساته القانونية

وأثارت المناقشات عدداً من الملاحظات الهامة:

«فلنهندس أبهى العلا ماضى قال: إن القيود الدستورية والقانونية ليست هي الأساس، ولكن جوهر المشكلة في نظام الانتخابات، فالمرشح هو الذي يملك إصدار وتعديل القوانين، وأيضاً يعدل الدستور. ومن هنا فلو أن هناك انتخابات حرة وبرلماناً حقيقياً يعبر عن الشعب لما كان هناك مشكلة وهاجس الحكم الحقيقي هو الانتخابات الحرة. ورغم أهمية موضوع «الرقم القومى» للدولة من نواحى أمنية وضرائبية فإنه يحرص على تأجيله حتى لا يتم ضبط جداول القيد.

وأضاف أن التسلط... عرض

فرعاً لحزب آخر، وعلامة مبادئ وأهداف الحزب. ورغم أهمية بعض هذه القيود، إلا أنني لا أوافق على الشرط الخاص بأن لا يكون الحزب فرعاً لحزب آخر.

*** صلاح عدلي** قال: إن غياب مقومات المجتمع الديمقراطي في عصر يشكل أهم المانع لوجود تعددية حزبية حقيقية. وقال إن مصر من أوائل الدول التي مارست الديمقراطية منذ الثورة العربية وثورة ١٩١٩ وأثبتت الجماهير دائماً انتماءها في كل انتخابات حرة للحزب الشعبي المتحاز لقضايا الوطن والناس، ولكن هذه التسمية ووجهت بنوع من التصر والاحتلال وأحزاب الانقلابات، وسادت ثقافة سياسية معادية للديمقراطية. بل ساهمت قوى وطنية- للأسف- في هذه الثقافة، فالشروع تعرضوا للقمع من الوفد (سعد زغلول) ومن الثورة ومن السادات. ومع ذلك فهناك وعي ديمقراطي كامن في الشعب المصري. غير عن نفسه يوضح في كثير من الأحداث ومنها، أحداث قمره الأمن المركزي عام ١٩٨٦. فلي ظل غياب كامل للسلطة تحت الجماهير بوعيها الوطن كله.

*** عادل عيد** تحفظ على عنوان الندوة: نظام الحزب الواحد في قالب تعددي. وقال لا أوافق على أننا نحكم حكم الحزب الواحد، فالذي يحكمنا ليس حزبا بالمفهوم الصحيح للحزب، ولكنه تنظيم تحففي وراءه السلطة التنفيذية. وأخطأ في عنوان الندوة جرننا إلى ما زلنا الحديث عن التعددية الحزبية وعن تداول السلطة.

كذلك فالحابت لم يتناول في دراسته الوثيقة الأساسية التي تحدد معالم نظام الحكم في البلاد- وأعنى بها الدستور- وهو القانون الأعلى أو «أب القوانين» التي لا ينبغي لها أن تخرج عن إطاره أو تخالف شيئا من أحكامه- بل إن قانون الأحزاب نفسه- رقم ٤ لسنة ١٩٧٧- الذي تركزت عليه الدراسة وتناوله بالكثير من النقد، لا يعدو أن يكون أحد القوانين المكمل للنسور، وبعبارة أخرى: فإن هذا القانون ملتزم بروح الدستور الذي صدر في ظله فهذا القانون -إن- هو أساس الدائم. إذ أنه يكرس الشمولية ويهمل دور المؤسسات ويجعلها في الواقع مجرد أجهزة معاونة للمؤسسة

المستشار سعيد الجمال

عضر الهيئة العليا لحزب

الوفد

مطلوب ديمقراطية

حقيقية دون أن

تلبس ثوبا إسلاميا

أو مسيحيا

الكبرى صاحبة الهيمنة المطلقة والكلمة الأولى والأخيرة في مقدرات البلاد، ونعني بها مؤسسة الرئاسة، ومنصب الرئيس فالدستور يسمح بأن يظل شافله، مددا متشابهة بغير حد أقصى- أي مدى الحياة- وبأن يجمع في يده سلطات غير محدودة -ودون أن يرسم- في المقابل- أي طريق لمساكنه أو حسانه.

ومثل هذا الدستور الذي صدر في عهد التنظيم السياسي الواحد المسمى بالاتحاد الاشتراكي- الذي لم يكن يعرف أو يتصور فكرة تداول السلطة- لا يصلح بطبيعة الحال لأداء دوره في صياغة نظام الحكم بعد الأخذ بنظام التعددية الحزبية التي تقوم- على الأكل من الناحية النظرية و التنظيمية- على فكرة التداول، لذلك فإن الإصلاح السياسي الجاد بهدف الوصول إلى التعددية الحزبية الحقيقية لابد وأن يقوم أساسا على تعديل الدستور. ومن هنا نبدأ.

وإذا كنا نرى ضرورة البدء بالدستور باعتباره حجر الزاوية في النظام القائم الذي يرفض بطبيعته مبدأ المشاركة أو تداول السلطة- فائنا لا نقفل أن هناك عددا من القوانين- غير قانون الأحزاب- تراكمت الشمولية لقررة بالدستور، وعلى رأسها قانون مباشرة الحقوق السياسية رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ الذي صدر في ظل التنظيم

السياسي الواحد- وكان وقتها الاتحاد القومي -والذي يجعل العملية الانتخابية- سواء لاتنخابات مجلس الشعب أو مجلس الشورى، أم للاستفتاء- على رئاسة الجمهورية، تحت هيمنة وسيطرة وزارة الداخلية بأجهزتها المتفرسة على الشعب وتوتيرها إرادة الناخبين، بدءا من التيد في الجداول واستخراج البطاقات الانتخابية ثم تحديد الدوائر الانتخابية وتعيين مقر اللجان واختيار رؤساء وأعضاء اللجان المشرفة على الانتخابات واللجنة العامة لخطوط بها الفرز وحتى إعلان النتيجة- لهذا كله في يد وزارة الداخلية، وإن كانت- ذرا لمراد في الميون- تستعين ببعض رجال الهيئات القضائية- ممن يقع عليهم اختيارها- لرئاسة اللجان العامة دون أن يكون متاحا لهم أن يقوموا بأي دور فعلي لصون العملية الانتخابية من العبث والتلاعب، فهذا القانون في الواقع هو الآلية التي تضمن لرئيس الجمهورية وللحزب الحاكم استمرار البقاء في السلطة.

وفي إيجاز فإن هناك منظومة من القوانين التي تكبل التعبير عن الرأي وتحول دون الممارسة الحزبية الجادة الصحيحة التي لا تستطيع الأحزاب- بدورها- أن تؤدي دورها أو أن يكون لها وجود مؤثر في الحياة السياسية، نذكر منها على سبيل المثال قانونين هامين:

الأول وهو قانون الأحكام العسكرية.

والثاني قانون حماية القيم من العبث رقم ١٠٥ لسنة ١٩٨٠ بنصره المضادة التي يمكن أن تتسع للبش بأى مواطن وتقديمه لمحكمة القيم التي تحكمه محاكمة سياسية تنتهي بتوقيع عقوبة سياسية هي الحرمان من مباشرة حقوقه السياسية.

وكما قلت فهناك سلسلة أخرى من هذه القوانين مثل قانون السجون، قانون المرافعات، قانون العقوبات، قانون المحكمة الدستورية، قانون العبد، قانون العداء، والتطبيق العلني دائما أسوأ من التصور.

الدولة الدينية..

والديمقراطية

وتوقفت المناقشات طويلا- خلال هذا المحور- عند قضية هامة خلافية نجربها صلاح عدلي -وهي قضية الحزب الديني والدولة الدينية والمجتمع المدني- قال صلاح عدلي تعليقا على القيود الواردة في قانون الأحزاب، إنه يوافق على القيد الخاص بمنع قيام أحزاب لها تنظيمات

عسكرية أو شبه عسكرية. ولكنه معترض على استخدام كلمة العنف. وإذا فائنا نسحق في ظل تعريف معنى كلمة العنف لامتداد هذا الخطر إلى الاضراب والعصيان المدني باعتبارهما عنفا، رغم أنها من الأساليب الديمقراطية المعروفة للاحتجاج. وأضاح صلاح عدلى .. «إنه يستحيل الموافقة على قيام أحزاب دينية». لقد كان الشيوعيون دائما يطالبون بسرعة قيام حزب شيوعي وحزب للإخوان المسلمين ولكن في ضوء التجربة فإن قيام حزب يستند إلى الدين كأيديولوجية -وهي تختلف عن أى أيديولوجية أخرى- وفى ظل وجود مصريين يدينون بالمسيحية، ويدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية وهي أمر خلاقي بين المسلمين. أمر لا يجب السماح به حفاظا على الديمقراطية». وطالب صلاح عدلى بالفرقة بين شيئين. قيام أحزاب تستند إلى مرجعية خاصة بها أم كانت. على أن تقبل جميع الأحزاب بمرجعيتها عامة وهي الدستور. وأن يكون هذا القبول بالقول والفعال.

«مرجعيتك كل حزب، ودينى -ماركسى- ليبرالى..» أمر يخصه، أما مرجعية الدولة فتشئ مختلف وأشار صلاح عدلى إلى الجهود التي بذلت لصياغة ميثاق الرفاق الوطنى واستمرت أكثر من عام ونصف ثم توقفت أمام إصرار «الأخوان المسلمين» على ضرورة أن تكون مرجعية الجميع و مرجعية الدولة هو الدين الإسلامى. كذلك فممارسة الأحزاب الدينية التى وصلت إلى الحكم كانت سلبية سواء فى إيران أو باكستان أو افغانستان أو السودان». وأعترض سعيد عبد الحافظ على فرض الخطر على قيام الأحزاب الدينية. وقال أنه طالما تم الاتفاق على الاعتراف بالآخر فلا

يجوز منع قيام الأحزاب الدينية.

وقال مجدى قرقى: «نرفض قيام الأحزاب على أساس ديني إذا كان ذلك يعنى التفرقة بين أبناء الأمة، أو يسمى لقيام دولة ثيوقراطية يكون الحكم فيها لرجال الدين. أما أن يكون الدين -الاسلام- مرجعية للدولة والمجتمع فهذا لا يمس أى حق ديمقراطى».

المستشار سعيد الجمل قال «إن مصطلح الدولة الدينية يحتاج إلى شرح. فالظاهر أن هناك حكومة دينية فى إيران. فطبقة الفقهاء والملاي هم الذين يحكمون. إذا انتقلنا إلى مجتمعنا ونظرة عميقة لثقافته، فنستد أن هناك ثقافة دينية اسلامية متجددا، وأخرى تخرج الدين تماما من العملية السياسية، وتعتبر عن كل منهما مدرسة متميزة. ولا أستطيع أن أقف ضد أى من المدرستين. فالدعوة للفرق

فريدة النقاش

رئيس تحرير مجلة أدب

الليبرالية الاقتصادية

والشمولية السياسية

ظاهرة تميز الحكم

فى مصر

الاسلامى لا تمنى حكومة دينية. المطلوب حقيقة أن تقوم فى مصر ديمقراطية حقيقة دون أن تلبس ثوبا اسلاميا أو مسيحيا لا على أساس عرقى ولا دينى - بالمتى العقائدى - ولا طبقي. لا يقبل أن يحكم الدين فى قضايا سياسية. فى مصر. هناك ايدولوجيتان قويتان، الايدولوجية الاسلامية والايدولوجية الشيوعية. ونقطة الاتفاق يجب أن تكون اطلاق الحريات كافة، وليست على أساس دينى أو ماركسى.

وقال حسين عبد الرازق: يدولى أن هناك اتفاقا على رفض الدولة الدينية، بمعنى حكم رجال الدين. كذلك رفض قيام أحزاب دينية بمعنى أن تكون عضويتها قاصرة على التمسك إلى دين معين دون التمسك إلى الأديان الأخرى. وهذا الاتفاق إلى حد ذاته خطرة هامة.

ومن وجهة نظرى يجب أن نفرق بين شروط قيام الأحزاب، ووضع الدولة والمجتمع.

بالنسبة للأحزاب السياسية فمن حق أى حزب أن يختار أيديولوجيته ومرجعيتها أمّا كانت هذه الايديولوجية دينية أو علمانية وماركسية أو ليبرالية أو قومية.. الخ.

أما الدولة فمن الخطر ومن الخطأ فرض مرجعية أيديولوجية عليها، سواء كانت دينية أو دنيوية فلو قبلنا بأن يكون للدولة مرجعية أيديولوجية تكون بذلك قد أعلننا رفضنا للديمقراطية وتداول السلطة. فنعلمنا بقوى حزب «اسلامى» بأغلبية فتكت من تعديل الدستور - والقوانين الاساسية بالتالى - فلا شك أنه سيجعل مرجعية الدولة والدستور - والقوانين هو تفسيره ورويته للإسلام والشرعية. فإذا أتى بعد حزب «اسلامى» آخر فسيفر كل شئ باعتبار أن الحزب الاسلامى السابق خرج من الاسلام. وإذا وصل للحكم حزب ليبرالى، فسيفرض على المجتمع والدستور أيديولوجيته ويقلب كل شئ رأسا على عقب. ونفس الشئ إذا وصل للحكم حزب شيوعى فسيفرض الماركسية (اللينينية) على المجتمع. وبالإضافة إلى الانقلابات التى تتسبب المجتمع فى مقتل، فهناك دائما خطر الانقلاب على الديمقراطية ذاتها بحجة المرجعية والخروج عنها.

إن جوهر القبول بحق كل حزب فى اختيار مرجعيته وأيديولوجيته، هو القبول بأن الدستور هو المرجعية الوحيدة للدولة وليست أى أيديولوجية دينية أو دنيوية. المهندس أبو العلا ماضى قال إنه يخشى أن إثارة موضوع الأحزاب الدينية يتم



فريدة النقاش تعرض وجهة نظرها وأبو العلا ماضى يبتسم



عبد الغفار شكر

أمين التفتيق بحزب التجمع

يستحيل معالجة قضية الأحزاب بعيداً عن الإطار الاقتصادي والاجتماعي

الفتاح في التطور الديمقراطي في مصر يتم عكسياً

مجدي قرقر

الأمين المساعد لحزب العمل

نرفض قيام الأحزاب على أساس ديني

إذا كان ذلك يعني التفرقة بين أبناء الأمة

واحدة حتى ولو كانت المرجعية الإسلامية والدعوة للالتزام بمواثيق حقوق الإنسان الدولية تأخذ في الاعتبار أن هذه المواثيق لا تستند إلى مرجعية أو أيديولوجية واحدة ، بل هي في الواقع خلاصة للتراث الانساني بما في ذلك الثقافة الإسلامية والمسيحية. وتوسيع المرجعية ليس انتقاصاً أو هجوماً على الاسلام. وأقترح على مركز المساعدة تخصيص حلقة بحث حول الخصوصية القومية وعلاقتها بالمرجعية العالمية لمواثيق حقوق الانسان وحقوق المرأة بالذات.

وبانتقاء مناقشة القيود القانونية على حرية تكوين الأحزاب، انتقل الحوار إلى الجزء الآخر الخاص بأداء الأحزاب السياسية والاقتراحات.. وهو ما سنعرضه في العدد القادم.

حتى لو كان يرفض الإسلام، ولكن لا نقبل باسم الديمقراطية الطعن في الإسلام أو في ثوابت الشعب المصري. نحن مع تداول حقيقي للسلطة. ودولة تلتزم بالقوانين التي يصدرها مجلس الشعب ، ويختار الشعب الحزب الذي يريده أيما كانت مرجعيته.

وهناك خوف لدى البعض من ديمقراطية المرة الواحدة. حزب يصل إلى الحكم بالديمقراطية وينقلب عليها. وليس هناك حل لهذه المشكلة الا بوجود أحزاب قوية حتى لا يحتكر أحد السلطة. وهذا الأمر لا يخص قوة بعينها ولكنه ينطبق على جميع القوى في الساحة السياسية.

وختتم فرقة النقاش الحوار الإيجابي حول هذه القضية قائلا: «المشاكل والصراعات والحصومات مع القيادات الإسلامية وليست مع الاسلام. وأظن أنه من الخطأ الشديد أن نفرض على المجتمع والدولة مرجعية

من طرف أقرب ما يكون إلى فكر الوصاية والتسلط والحجز على المشروع الاسلامي، ويبدو منه نفس الانتصاء. وأضاف أن تاريخ المسلمين أصبح ضحية لموقفين. موقف ابتائنه الذين لا يرون في التاريخ الاسلامي أي خطأ. وموقف خصومه الذين لا يرون في هذا التاريخ أية ميزة.

ونحتاج جميعا إلى فهم واتفاق حول مواضيع الدولة الدينية والمرجعية والحزب الديني والثوابت.

الجميع يرفض الدولة الدينية بمعنى حكم رجال الدين.

بالنسبة للمرجعية فمن يملك الحق أن يقول هذا مسموح به وذلك غير مسموح ، حتى استنادا إلى المرجعية الدينية.

والمرجعية أمر يختلف عن الثوابت. الشعب المصري شعب مثدين.. ونحن في حزب الوسط مثلاً نطرح مفهومنا بشريا للإسلام. ونترجم ثوابت الشعب المصري، و مرجعيتنا كحزب الاسلام بالمفهوم الواسع. ونحن نوافق مثلاً على قيام حزب شيعي أو أي حزب آخر

عماليات

طالبنا "بويد الأهرام" في ١٤ أكتوبر الماضي برسالة بعنوان "بعون عودة" جاء فيها : "أنتم مفسولون .. هكذا فاجأنا السيد مدير شركة .." الأمريكية العاملة في مجال خدمات البترول عندما توجهنا إليه نحن العمال الأربعة بالشركة ، وأعضاء اللجنة النقابية بها ، لاعتماد أوراق ترشيحنا للدورة النقابية الجديدة ، والغريب أن السيد المدير سلمنا قرارات الفصل على الرغم من أننا نعمل بالشركة منذ عشرين عاماً ولم نعرض على لجنة ثلاثية لاتخاذ هذه القرارات ، فضلاً عن أن الملفات الخاصة بنا ليس بها إنذار واحد لأي منا . تدخل السيد أحمد العمادى وزير القوى العاملة والهجرة طالباً إلغاء قرارات الفصل وسرعة تسليمنا شهادات تثبيت عملنا بالشركة لتفقيدها فى أوراق ترشيحنا للانتخابات النقابية لكن جهوده لم تسفر عن عودتنا لأعمالنا بكل أسف . نلتصم من الدكتور حمدى الببسى وزير البترول اصدار أوامره بوقف قرارات الفصل وعودتنا إلى أعمالنا ."

وحدة الإرادة هى سلاح العمال الأكيد فى مواجهة :

الخصخصة والمستثمر الأجنبي

قيادات نقابية بالتماس على صفحات الجرائد إلى وزير البترول ، بعد أن فشل مسمى الوزير المسئول عن نصرته العمل النقابى ، لكن بعيداً إلى عملها ويساعدها فى الحصول على الأوراق التى تمكنها من إعادة ترشيح نفسها فى الانتخابات النقابية . والعمل النقابى الأصيل لا يعرف كلمة " نلتصم " لأنه فى الأصل عمل تضالى يقوم على التصدى بكافة وسائل المواجهة السلمية من تفاوض وتحكيم

واضراب ، أى محاولة من جانب سلطات الإدارة الخاصة والعامه والحكومية ، للتصدى على مصالح العمال وحقوقهم المشروعة . فما بالك والأمر يتعلق بالتعدى على حقوق قيادات نقابية ؟ ولم أن هذه القيادات النقابية تعرف مسئولياتها والتزاماتها وحقوقها ، لما سمحت لنفسها باستخدام هذه الكلمة علانية على صفحات الجرائد ، وفى ذلك اعتراف منها بعجزها وعجز الأجهزة النطوى بها حمايتها ! ولو أنها كانت قيادات حقيقية تقود جماهيرها العمالية فعلياً لما استطاعت الإدارة أن تواصل قهرها لها ولكان بمقدورها أن تحرك هذه الجماهير لموازنتها بدلاً من التوسل إلى وزير البترول والتماس نصرته!

وفى رأينا أن هذه الرسالة مؤلفة ومهيئة فى حق التنظيم النقابى المصرى وفى حق وزير القوى العاملة والهجرة ورئيس الاتحاد العام لنقابات العمال سابقاً . غير أنها قد تكون جرس إنذار على إفاقة القيادات النقابية التى سارت مصالحها الخاصة فأبدت بكل قوة برنامج الحكومة فى خصخصة منشآت القطاع العام " سلاح ملاح "

وروجه الإهانة هنا ، فى المقام الأول ، أن يفشل وزير القوى العاملة ، بكل ما لمتصّب الوزير فى مصر من " هيلمان " فى نصرته أربعة نقابيين واضع من كلامهم ، إن كان مذكوره هو الحقيقة كلها ، أنهم فصلوا من عملهم فى هذه الشركة الأمريكية ، التى أمضوا فى خدمتها نحو عشرين عاماً لم يصدر فى حقهم خلالها إنذار واحد ، بدون أن يرتكبوا مخالفة للوائح العمل تبرر فصلهم ، بل وأنهم فصلوا بالمخالفة لقوانين العمل السارية ، وكل جريرتهم أن إدارة الشركة الأمريكية ، وهى من واقع الرسالة شركة للخدمات البترولية وليست شركة بتعقيب واستخراج بترولى عملاقة ، أرادت ، فيما يبدو ، أن تعطى للقيادات النقابية فى شركتها درساً من أجل المستقبل أما الوجه الحقيقى للإهانة فهو أن تنقسم

ياعمال

مصر

.. اتحدوا

محمد جمال امام

وحدة الإرادة العمالية

لا تتعارض مع

الدعوة إلى التعددية النقابية



حنى الحنى



أحمد السعيد

فى عدد شهر أكتوبر للأستاذة فاطمة فرج بعنوان "المستثمرون يفضلون المرأة"، وفى ظروف البطالة وتدنر فرص العمل، ورسالة القوانين واللوائح التى ستشأ لحماية الإستغلال "الاستثمارى واقتصاد السوق"، فستجد تلك المصانع وفرة من الأيدي العاملة الرخيصة تدعم بها أرباحها وتستغنى بها عن العمالة المرتفعة التكلفة فى البلدان المتقدمة.

وإذا كان وزير القوى العاملة قد جئز عن حماية أربعة نقابيين فى مواجهة إدارة متعصبة فى شركة أمريكية للخدمات البترولية، فمن سيجمى القوى العاملة فى منشآت مثل شركة "نايك"، أو الملك الجديد لعمر أندى وصيفناوى؟ أو رأينا أن ما فمن قس تستطيع أن توفر تلك الحماية فى مثل هذه الظروف سوى "وحدة الطبقة العاملة". ولو أننا نادينا عمال مصر قائلين "يا عمال مصر المجدوا" لربما استلقى بعض القراء على ظهورهم من شدة الضحك، أو اكتفى البعض الآخر منهم بمجرد ابتسامة مستهزئة، بعد أن انتهكت وسائل الإعلام والكتابات المرتزقة، فى الداخل والخارج، نيل مثل هذه العبارات النضالية بالسخرية والاستهزاء عقب هزيمة المنظومة الاشتراكية، من أجل تحريض الجماهير الكاذبة المناضلة من الأفكار التى تعينها على مواجهة لك الإستغلالى الكاسح. غير أننا لازلنا فى حقيقة الأمر فى حاجة إلى توجيه هذا النداء تكراراً ومراراً استنهاضاً لهممهم واستنفاراً لجهد الطبقة العاملة لحماية حقوقها ومصالحها.

ولاحسن أجد أنا نتوجه بهذا النداء إلى العمال البدوين أو أصحاب المزارع الفتيمة والمتوسطة فحسب. لا، إننا نتوجه به إلى كل صاحب أجر ليس له من مورد بغيره لإعالة

ومحاول الحركة النقابية الأمريكية أن تكتسب إلى جانبها تأييد وسائل الإعلام الأمريكية باستغلال قضية حقوق الإنسان. وكيف أن هذه الشركات تستغل العمال فى بلدان العالم النامى بتشغيلهم بأجور متدنية، بالمقارنة مع أجور العمال فى الولايات المتحدة نفسها، وفى ظروف عمل قاسية، بالمقارنة أيضاً مع ظروف تشغيل العمال الأمريكيين.

ومن مثال ذلك ما نشرته مؤخرًا صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية عن قيام شركة "تايبك" المشهورة لتصنيع الملابس الرياضية بإنشاء مصنع كبير فى إحدى المدن الأندونيسية تستخدم فيه نحو ١٨٠٠٠ عامل أندونيسى، معظمهم من النساء، مقابل أجر يقل عن ثلاث دولارات فى اليوم للعامل الواحد فى المتوسط. وبينما لا يمكن أن يقبل أى عامل أمريكى مثل هذا الأجر، فإنه يعتبر بالنسبة للمعال الإندونيسيين غير المهرة الذين يستخدمهم المصنع أجراً مغريا للغاية يستطيعون من خلاله أن يعولوا أنفسهم وأسرهم بما فى ذلك إياهم وأخوتهم. وبينما يتظاهر ممثل الحركة النقابية الأمريكية الذين زاروا هذا المصنع بصحبة بعض رجال الإعلام الأمريكيين بأنهم يدافعون عن حقوق العمال المهضومة، فإن العمال الإندونيسيين المعبئين سعداء بما يحصلون عليه ويتمتعون وادهم. وتغلب معنى مصنعا عائلا يعرض فى مصر أجراً شهرياً يبلغ ثلاثمائة جنيه، لأن يتخلف الألوغ من خرمي الجامعة المتعطلين عن العمل للفرز بفرصة للعمل فى مثل هذا المصنع. حتى ولو كان عملهم يمثل فى لصق نعل الأظفلة الكاوتشوكية، ومنها كانت كموة ظروف العمل فى مثل هذه المنشآت (راجع فى هذا الشأن الموضوع الذى نشرته "اليسار"

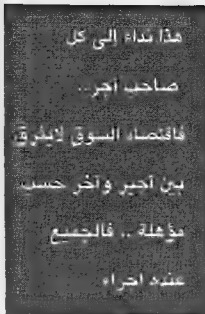
ولقد حدث هذا الاجترار المكين كما أشرنا من شركة للخدمات البترولية لامتداد أن لها نقلاً اقتصادياً كبيراً، كما نالنا ونحن مقدمون على مرحلة جديدة من الاتفاقات مع صندوق النقد الدولى يقال أنها تتضمن إصلاحات قانونية تدعم التغييرات الاقتصادية المتتالية والتوجه التزايدى نحو اقتصاد السوق. ولأنك أن ذلك سيشمل سرعة استصدار قوانين الجهد الفئدة أجمعت معظم الدوائر العمالية على فساده وخطورته على مصالح الطبقة العاملة. فضلاً عن أن هذه المرحلة تتضمن الإسراع فى خصخصة جزء كبير مما يتبقى من القطاع العام الصناعى والتجارى والمالى، ومن بينه وحدات إنتاجية كبيرة سبق لأعلى المراجع فى البلاد أن أكدت أن المخصصة لن تطورها فضلاً عما يقال عن البيع "مستمر وثيق"، والتى قد يكون فى أغلب الأحوال ما يسمى بالشركات العابرة للقومية، أو ما كان يسمى فيما مضى بالشركات المتعددة الجنسية.

ولكى نذكر تماماً مدى شره تلك الشركات إلى اكتساب مواقع واسعة لها فى بلداننا، تشير فى عجلة إلى قضية تشغل فى الوقت الحالى جانباً كبيراً من اهتمام الحركة العمالية فى الولايات المتحدة، حيث تشهد انتقال صناعات هامة، خاصة فى مجال الصناعات الخفيفة التى لا تحتاج إلى مهارات تكنولوجية عالية، إلى بلدان العالم الثالث سعياً وراء الوفورات التى يتيحها رخص الأيدي العاملة فى تلك البلدان، وما يتبع ذلك من فقدان لفرص العمالة فى الولايات المتحدة ذاتها، فضلاً عن إغارة تضرير منتجات تلك الصناعات الهاربة إلى الولايات المتحدة بما فى ذلك من مزاحمة للمنتجات الوطنية.

التأصلي إلى مواجهة توجهاته وإصدار " الميثاق" وتشكيل تحالف قوى الشعب العاملة ، إلى آخره ، وأن سلسلة الإضرابات التي هزت نظام حكم السادات والنظام الذي خلفه بدأ من إضراب عمال الحديد والصلب في إسدان السبعينات ومرتورا بالاتفاضة العمالية في عام ١٩٨٧ في مواجهة قرارات الحكومة الاقتصادية وإضراب سائقي قطارات السكك الحديدية ورفض عمال الحديد والصلب استبدال تافوق السبعينات ومرتورا بإسرائيل ، وبما أن أخرى كثيرة مماثلة ، كانت كلها تحركات تمت بفعل وحدة الإرادة العمالية وبعيدا عن تدخل القيادات النقابية الرسمية.

وفضلا عن ذلك ، فإذا كان البعض من يدخلون إلى سوق العمل حديثا يتخفون من الانضمام إلى صفوف الحركة النقابية تأيا بأنفسهم عن صور الفساد المستشري في بعض صفوفها في الوقت الحالي ، فإن هذه الصور لن تنهت من تلقاء نفسها ، بل ستزداد مع تضائل مآثرها من مقاومة ، ولن ينعج حدا لها سوى دخول دماء جديدة وأعية إلى صفوف الحركة النقابية تدر أن لها مصلحة أئيدة في وجود حركة عمالية قوية تنظم حركتها في مواجهة آليات السوق والصور الجديدة من النشاط الرأسمالي الذي لا يمكن التصدي لها على الإطلاق بصورة فردية ، بل وقد يتطلب الأمر تنسيقا دوليا في حالة الشركات العابرة القارات التي تشبه الحية ذات الرؤوس المتعددة.

ومجمل القول أن "وحدة الإرادة" أمر لامناص منه إذا ما أرادت الطبقة العاملة المصرية بكافة فئاتها وتصنيفاتها المهنية ، وبغض النظر عن أشكال العمل النقابي المتبعة ويا في ذلك جانب مهم من عضوية النقابات المهنية القائمة ، أن تدافع عن منجزاتها ومكاسبها ، وعن حقوقها ومصالحها مستقبلا ، وعن نصيبها المشروع في المشاركة في رسم مسار هذه الأمة وذلك في مواجهة مد من أجلها لتغفل نفرة قوى المال شديدة الشر والبأس ، تعتبر في أغلب الأحوال تحالفا لصالح رأسمالية محلية وأجنبية ومسلحة بدعم هائل من " النظام العالمي الجديد " بكافة مؤسساته الإيدوية وما تفرضه على الدول المستضعفة من اتفاقيات ونظم تكبلها به إلى عجلة هذا النظام وسادته . وتنصح الذي لاتطاوله نفسه على المشاركة في هذه الوحدة التي ندعو إليها بأداة قراءة قصة الثيران الثلاثة في كتاب " كلية ودمية" الشهير.



تلك الطائرت المتأجرة ، وهو ما أجهد الإضراب بالفعل.

والوحدة التي ندعو إليها في الأساس هي وحدة الإرادة العمالية حتى لا يفرق أحد أننا نتناقص مع أنفسنا ومع مبادئنا إليه من التعددية النقابية . فهذه التعددية كما سبق وأن أشرنا في مرات عديدة فيها إثراء للعمل النقابي وضمان لفاعليته وحصانة له من الانشواء تحت سيطرة جهة ما من خارج الطبقة العاملة . ولكن عندما يتعلق الأمر بمصلحة مشتركة لمجموع العاملين في منشأة ما أو مهنة ما أو على الصعيد القومي فإن الوحدة ووحدة الإرادة يصبحان ضرورة لا يزيغ عنها سوى القيادات النقابية المزيفة ، وهو الأمر الذي يشهد في كثير من البلدان التي تأخذ بالتعددية النقابية حيث يجدها تشارك في الكثير من الأعمال النقابية المرحدة مثل الإضرابات العمالية المشتركة ، عندما يتعلق الأمر بمصالح مشتركة مثل مواجهة سياسة تقشقر اقتصادية حكومية تعتمد أساسا على الانتعاش من الحقوق والمزايا العمالية.

وعلى كل . فإنا نقول ذلك وانتخابات الدورة النقابية الحالية توشك على الانتهاء والوضع النقابي الذي أفرزته سيظل قائما ، بعونه وصره ، خمس سنوات مقبلة ، والتعددية النقابية لاتزال حلما بعيد المدى ، ومن هنا تصبح وحدة الإرادة العمالية مسألة هامة بغض النظر عن موقف العمال من التنظيمات النقابية القائمة ، وربما يكون من المهم أن نذكر من يتشككون في ذلك بأن حركة عمال حلوان في عام ١٩٦٨ ، أثر ما يعرف بأحكام قضائية قادة الطيران ، هي التي دفعت نظام الحكم

نفسه وإعالة أسرته ، ومن بينهم خرجوا الجامعات وأصحاب الوظائف المكتبية والمهنية المرموقة فالتصا السوق لا يفرق بين أجير وآخر حسب مئذلة ، فالجميع عنه أجراء لا يفرقهم عنه إلا قدر احتياجهم إلى أخدمهم ، والمسألة الخاصة عنه هي الربحية ومردودية التكاليف . وفضلا عن ذلك فإن قوانين العمل ولوائحها في ظل اقتصاد السوق لاتتعلق بنوعية الوظيفة أو مهول شغلها ، بقدر ما تحكم مجموع العاملين في المنشأة بوصفهم أجراء لدى صاحب العمل . وعندما تواجه بعض الشركات أزمات مالية في بلدان اقتصاد السوق ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة ، فإن أول من تستغني عنهم هم أصحاب المرتبات العالية والمؤهلات العالية من بين الأجراء لديها . وعادة ماتكون حينها في ذلك أن مؤهلاتهم العلمية أعلى مما تحتاج إليه الوظيفة التي يشغلونها . فإن لم يكن أولئك ملتصحين بالحركة النقابية أشد الالتحام فلن يجدوا من يدافع عنهم ، لآوزير ولاغير ، وقد يكون من المهم لهم ، ومعظمهم يزهو بمعرفته بلغة أجنبية ويتبر غراما بتماذج اقتصاد السوق في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية . أن يتبعوا الأخبار الاقتصادية لتلك البلدان حتى يأخذوا حذرهم ما يحدث لنظرائهم في تلك البلدان .

ولإضافة إلى ذلك ، فإنا نذكر هؤلاء المترفعين عن الانشواء إلى صفوف الحركة العمالية جنبا إلى جنب مع عيني المذهلات أو أصحاب المذهلات المترسطة ودون المترسطة ، بما حدث قبل عشر سنوات عندما أضرب طيارو شركة مصر للطيران للطالبة بعض حقوقهم المشروعة ، لكنهم عجزوا عن الاستمرار في إضرابهم حتى تحقق مطالبهم بالكامل ، نتيجة للجوء الشركة حينئذ إلى ما يعرف في الأدبيات العمالية بمحطى الإضرابات . فقد كانت الجهة التي دعت إلى ذلك الإضراب رابطة للطيارين ليس لها ارتباط مباشر بالركة النقابية العمالية ، ومن ثم لم تسع إلى التنسيق المسبق مع النقابات النقابية لياقي فئات العاملين في مجال النقل الجوي من خدمات أرضية وملاحية وفتية ، وما إلى ذلك كي تكفل تضامنها مع حركتها ، فلنا قررت إدارة الشركة أن تواجه الإضراب باستئجار طائرت بطيارها من شركات أخرى ، لم تجد صعوبة في المضي قدما في منطقتها حيث لم ترفض بقية فئات العمالة في هذا المجال ، نتيجة لغياب التنسيق المسبق ، التعاون مع أطقم

احترام

العالم لنا..

بقدر

احترام

الدولة

لمواطنيها

كرامة الوطن في الخارج

تبدأ من الداخل

وسط أحداث حاسم من بلطجة أمريكية في الخليج وضغط أمريكي على مصر وفتونة إسرائيلية بحماية أمريكية في القدس، مرت عدة حوادث في الداخل لم يلقها الكرام لم يلق عندما الكثيرون وتعاملوا معها كحوادث عادية، ولكن دلالتها خطيرة وتعطي الإجابة عن السؤال الكبير: هل إسرائيل وأمريكا تستضعفان مصر لدرجة ما يحدث الآن من تراجع عن اتفاقيات السلام ومعاصرة مصر؟

سألت الشيخ عبد ربه التانه:

متى يصلح حال البلد؟ فأجاب: عندما يؤمن أهلها بأن عاقبة الجبن أَوْخَم من عاقبة السلامة..

(لحبيب محفوظ في أصداء السيرة الذاتية).

العالم الخارجي بنفس المنطق: إن كرامة الوطن في الخارج تبدأ من الداخل، ولن يعمل لنا أحد حساب طالما أن الدولة لا تعمل حساباً لمواطنيها في الداخل وتجعل كل من هب ودب ينتهب ثروتها بدون حساب ويدوس على رقاب مواطنيها بدون عقاب..



حينما عرفت أخبار الضربة الصاروخية الأمريكية للعراق، توهيت أنها فرصة تجمع العرب على إرادة الرضخ حتى ولو بالصرع، عندما تراجعت إسرائيل عن السلام في فلسطين ولم تنفذ بنود الاتفاقية وحطرت لقلعاً تحت المسجد الأقصى كعنوا للاستخفاف بالعرب وبالعالم توقعت أن يتحرك العرب، لكن الحقيقة أن العرب فقدوا إرادة الرضخ لدرجة أن قلدوا صرخهم، الذي يميزهم كظاهرة صوتية للأذى فأصاب الحزن الجميع ما عدا أطفال الحجاز الذين كبروا مع الحدث، وضجعت حتى البكاء عندما قرأت خبر تعهد الكويت للإدارة المصرية بعدم دخول القوات الأمريكية العراق عبر حدودها البرية المشتركة معها، واشتعلت الية الجنود الأمريكيين الذين يتدفقون على الكويت أنهم سوف يمشون مرة ثانية على أمريكا لكي يستطيعوا أن يدخلوا العراق من هناك حتى لا يجرح المشاعر العربية الرقيقة، ويمكن توفيراً للوقت يستغلهم الجنود الأمريكيين الموجودين في الكويت نفق تنقيته لدخول العراق، وضجعت أكثر على إعلان الحدود إقامة سياج مكهرب على طول تلك السياج نجد الحدود العربية لا تحتاج سياج مكهرب لأنها ملقمة طبيعياً بشاعر عدم الثقة والشك وأحياناً الطبع والكرامة، وأمريكا لعبتها واضحة فهي تحت مزاعم حماية مصادر البترول وعروض النفط تفرغ خزائن الخليج، ولم تسخن الموقف وتقتل.

المصالح العليا. إن حياة وكرامة وكثيراً المصريين أهم من السياسات والمصالح العليا، فالكفيل لا يجد غضاضة في استغلال المصريين وامتنان كرامتهم حتى داخل بلادهم لأنه متأكد أن مؤسساتهم لن تتحرك، واستمرار هذه التوعية من الحوادث التي يحدث للمصريين في الخليج ونشر بعضها في الصحف وتقتل فيها كرامة وحياة المصريين هي نتيجة تنازل الدولة عن حقوقهم في الخارج باسم العروبة والمصالح العليا.

والحادثة الثانية هي حادثة المركب حيث قتل غرقاً حوالي ٩٠ شخصاً في النيل، والحادثة الثالثة انهيار عيارة مصر الجديدة وتوقع موت الكثير، وقليلها ظاهرة الحراك ونهب المليات من ثروة الوطن، وأكاذيب الحمى الشوكية، والجامعات الخاصة التي تقترض من البنوك لتكسب من الطلبة، ومصادرة الصحف الأخيرة.. إلخ تلك السلسلة من الحوادث التي تميز الحياة المصرية، فهي كوارث تقليدية ولديها تتكرر في حياة المصريين عبر التاريخ وفي كل موقع وتكون النتيجة فاجعة، فمن يتأمل أحوال الوطن، يجد شيخ الموت بدون مرور يتعرض المصريون في كل خطوة داخل الوطن وطارجه، وتنتهب ثرواته وتقتل ابداعاته. نتيجة غياب دور الدولة والرقابي وفساد ادارتها المحلية ومسيادة منظومة الإهمال والتقصير والطمع، وتوقع موقفها من حرية التعبير، وكل تلك الحوادث تعكس غياب هبة الدولة في تنفيذ القوانين وفي حماية أدمية المصريين في الخارج والداخل، وعدم احترام حرياتهم في التعبير، وإذا كانت حياة المصريين وكرامتهم وحرمتهم وثروة وطنهم رخصة جدي في الداخل، فلماذا تطلب الآخرين في الخارج باحترامهم، وطن تنهتار المسكين فوق رؤوس مواطنيه، وتنتهب أمواله وتقتل إبداعاته هل يمكن أن يعمل له حساب.

فأسياب تعنت إسرائيل واستضعاف أمريكا لمصر، وهو نتيجة منطقية وطبيعية، لأن قوتنا في الخارج وأمام دول العالم تنبع من داخل الوطن، واحترام العالم لنا مبني على مدى احترام الدولة لمواطنيها في الداخل، ولكن نصبح قوة تعمل لها إسرائيل ألف حساب، يجب أن تتبع تلك القوة من داخل الوطن من مدى احترام الدولة لأدمية الإنسان داخل الوطن، فالقوة التي تعامل مواطنيها مجرد ديكور للسلطة سوف يتعامل معها

الاجابة تجدها في الحادثة التي وقعت في نفس أسبوع الاحتفال بالعيد الوطني للسعودية حيث انفجرت. وسائل الاعلام المصرية بتحقيقات صحفية مدقوقة الأجر مثل إعلانات مساجيق الفضيل عن دور المملكة الاقليمية والعالي، ومضى أزياء وعمق العلاقات بين الشعبين، وقرأنا كلمات عاطفية للمستولين هنا وهناك، وفي وسط تلك الزفة الكتابة والضجج على العقول حملت لنا الاتهام. أن مواطناً مصرياً بسيطاً يقال أنه وضع نفسه في صندوق صاج خاص بالشحن وطنه، ومات مختنقاً داخل الصندوق لأنه تسي أن يفتح فتحات التهوية، كلام ساخج ومريب ويشير الشك ويذكرنا بحكاية الطفل المصري ابن الطبيب الذي ادعت الفاحشة انه كان يخلم بالفاحشة، ثم تبين من التحقيقات كما نشرتها الأهاالي (٢٥-٩-٩٦) أن الشاب المصري مات قبل أن تبحر العبارة بأفكسها الخلق، وطلبت أسيرة العودة فتح ملف القضية لوجود شبهة جنائية في ان الكفيل السعودي قام بتعذيبه وقطله بسببته مطالبة المضري بأجره، وانها العمل واستعداد جواز سفر للعودة لصر، وان وزير الخارجية المصري وزير الداخلية اعطيا تعليماتهما بالتحقيق في الحادثة.

ومع الاعتراف بحق السعودية عن تتخذ ما تراه مناسباً داخل حدودها علي الصلابة الاجنبية بشرط عدم إهدار حقوقهم الانسانية التي كفيلها لهم الإسلام، والدساتير وأعلان حقوق الإنسان، فلن نل أن نكرر مرة ثانية وثالثة أن نظام الكليل هو أحد معطيات ثقافة المعرفة والعنجهية، ويحمل أحد آليات السلسلة هناك، وأصبح وسيلة لتكسب، حيث يمكن لأي مواطن عاطل هناك أن يستقدم عدداً من العمال ويحصل منهم ثمن تأشيرته الدخول، ويشترط عليهم أن يدفعوا له مبلغاً معيناً كل شهر حتى لا يلغى تأشيرتهم أو يضلهم في السجن، ويطلب العمال يعيشون عن لمة العيش في الشوارع بأي ثمن لكي يدفعوا للكليل، بل إن بعض الكفلاء يبيعون العمال لبعض كثر، بل يجب أن يفتح ملف جديدة، وكثيراً ما دعونا إلى أفضع ملف المصريين في الخليج. بل يجب أيضاً فتح ملفات الأمراء الذين يعيشون في القاهرة بحراسة عصابات اجنبية، ويستقبلون كروساء دول، ويعتدون على مواطنين مصريين ويتم التعتميم على تلك الحوادث تحت مزاعم

أمير سعودي
يرصد مليار
دولار..

ليضم المغني

مايكل

جاكسون

إلى صفوف

الإسلام!!

الأزمات، وتضرب هنأو هناك فيرتفع شعر
البرول، فقتلن خزانة الخليج لكي تفرغ مرة
ثانية على القوات الأمريكية هناك، أو على
هواجس القضاء على الماركسية حيث
يرى هيكل في الجزء الثالث من كتابه
الأخير نقلا عن مذكرات دوبر
ماكفرلين مستشار الرئيس ريجان للأمن
القومي أن الملك فهد في زيارته
لأمريكا قدم ٢٥ مليون دولار
مساعدة لمجاعات الكونغرس بوجهها
الرئيس ريجان كيفما يشاء دون حاجة إلى
الكونغرس واعتماداته وحساباته وذلك بناء
على طلب أمريكي قبل الزيارة.

وهنا يجب أن نعترف ونقر جميعا أن
أمريكا سوف تستمر تعريض الخليج والدول
العربية كما تشاء طوال القرن الواحد
والعشرين على الأقل وبعد ذلك سيصبح
العرب مثل الهندو الأحمر ونصبح مادة علمية
للعلماء الاثريولوجيا التاريخية. وإذا كانت
حماية الخليج في مهمة الأمريكان، فهم
هناك متفرغون لدعم وتقوية الإسلام
بطريقتهم، فتجد المطوعون يدعون نعمة وتأثير
في صلاة الراعي في شهر رمضان: اللهم
لا تغفلنا بين أفخاذ النساء... اللهم
لا تغفلنا بين أفخاذ النساء...
ويرد المصلون بقوة وحساس ويكافأ وراء
الإمام المشيخ أمين... آمين. وتبكي النساء
بحرقه وراء الإمام حين يردد الدعاء. وانطلاقا
من التضامن العربي يتوجب أن ندعو لهم في
صلاتنا ونقول اللهم لا تغفل المجاهدين في
الخليج بين افخاذ نساءهم، وقوى عزم الرجال
الأمريكان على الحدود، بل يزيد على ذلك أن
أميرا سعوديا اتفق فنيا مع مايكل جاكسون
على شرط أن يدرس مايكل جاكسون الإسلام
ويتنقل ويهاجر للإقامة هناك ويقوم في قصر
أسطوري حيث يدير مشروعا ترفيهيا
عملاقا، وسيقوم الأمير بتزويجه زوجة عربية
مطبعة ورهن اشارته، وأن مايكل بدأ يقرأ عن
الإسلام، وأن الأمير أعلن استعداده لإنفاق
مليار دولار على إعادة صنع جاكسون من
جديد (روز اليوسف ٢٢-٩٦). فالإسلام
سوف يزداد قوة بجاكسون النهم دائما
بالشذو الجنسي وغرامه بالأطفال. والتشيخ
جاكسون سوف يحل مشاكل الترفيه للمسلمين
بإنشاء مشروع ترفيهي عملاق هناك، وقتها
يستطيع الجاهل والمتمرد بعد تأدية الفرائض
أن يقضوا أوقاتا ترفيهية ممتعة عند الشيخ
مايكل ومن جاكسون في مشروعه
المعلق، طبعاً الجنود الأمريكان أيضا سوف

يستمتعون بأوقات ترفيهية ممتعة عند الشيخ
جاكسون، يشربوا يا مسلمين بدخول مايكل
الإسلام. والحقيقة أن الشيخ مايكل اختار
أنسب مكان حيث لا يمكن فيه أن يتهم بفعل
الفساد مع الصبيان كما حدث له في
أمريكا المتخلفة، فبرخا مايكل في ديار
المسلمين ونحن بدورنا نشكر الأمير المجاهد
الذي ركز اهتماماته على دعم الإسلام
بأمريكا موجودة في الخليج والدول العربية
إلى ما شاء الله بكل أسلحتها بداية من
أحداث صاروخ إلى أحدث أغنيته للشيخ
مايكل جاكسون. ولأن حل رأيتهم كيف يستعد
العرب للدخول إلى القرن الواحد
والعشرين انهم يستعدون بين أفخاذ... وأ...
لهمنا تصعب من الصالحين والكتاب الذين
يستنكرون بشدة ما يحدث من تشويه صورة
الإسلام في أفغانستان على يد حركة
الطالبان من شق و قتل المعارضين في
ميدان عام وسجن النساء في البوتون هرق
الاقلام واطلاق اللحي وكسر الاقلام باسم
الإسلام. ان ما يحدث هناك هو صورة
مكررة لما يحدث منذ فترة في دول الخليج
بدرجات متفاوتة، كل ما هناك الآن يتم في
إطار من الرفاهية والغنى وعوائد النفط، ولم
نسمع من المشتبهين الآن اتهاماً لدول الخليج
بتشويه الإسلام.

ونقرأ أن الدول العربية تتنافس على
دعوة الشيخ مايكل، وتسمع الآن في مصر من
يدعو الشيخ مايكل جاكسون للفناء وأنه يعقد
صفقة سريعة بعشرات الآلاف. من المنبهات
للبحث عن خمار مصري وكرر خمار مصري
يظهر معه في اغانيه الجديدة، وهو يشترط
مواصفات جمال معينة في الخمار المصري، ما
رأيكم تشجيعا للسياحة أن ندعو الشيخ
مايكل لمصر ليس للفناء، لأننا نملك منه
نسخاً مشوهة كثيرة، بل ندعو تشجيعا
للسياحة ونستقبله في احتفال رائع مثل
مهرجانات الاسكندريات، ويستقبله حاكم
الأقليم، ويجمع له حمير البلد كلها في الأستاد
لكي يختار منها ما يشاء، ونعطي الفرس
المتساوية لكل خمار جميل حتى لا تستغل
الحمير ذات النفوة لدى حاكم الأقليم الفرصة
وتتفق مع الشيخ مايكل حفظه الله من وراء
ظهر الحكومة، وبعتبر ذلك فرصة إغارة نفطية
للخمار المصري فهو تحمل زنازل وفساد
الكثيرين من النخبة الحاكمة عبر التاريخ،
فمن حق أن يرتاح في عمل استعراض مع
الشيخ مايكل بن جاكسون حفظه الله.

خاتم سليمان في ايديه

في أحد البرامج الرضائية بإذاعة الشرق الأوسط العام السابق، كان مديعوا على الاقطار وزير مسئول عن قطاع استراتيجي في البلد وسالته المديعة وزميلها بذكاء وخبت شديدتين عن خاتم في أصبع الوزير لفت نظرهما، وهنا انتفخ الوزير وقال بكل فخر واعتزاز وزهو محاولا التواضع: إنه خاتم التخرج من الجامعة الأمريكية التي استكمل فيها دراساته العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم استرسل في وصف أشكاله وألوانه وصرح أنه لا يخلعه أبدا من أصبعه مهما كانت الظروف، وقتها ذكرت مقولة كتبت قراتها في كتاب **Communication and Cultural Domination** لؤله هيربرت شملر وله ترجمة بالعربي في سلسلة الألف كتاب الثاني تحت عنوان «الاتصال والهمنة الثقافية» يقول الكاتب: يشكل المتخرجون من هارفارد وهوراتون وغيرها من الجامعات الأمريكية عندما يعودون إلى أوطانهم مجموعة مؤثرة ومهيمنة في مجتمعاتهم ويزداد انفصالهم عن الإطار الوطني ولا يعبرون إلا عن الفلسفة الأمريكية السائدة.

سيطرت على عقل الأفكار السابقة وأنا أتابع الضغط الأمريكي على مصر في عقد القعة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في القاهرة، لأن مصر حاولت نزع خاتم التخرج الأمريكي من أصبعها، لكن العلاقات الخاصة بين الادارة المصرية والأمريكية هي علاقة تبعية كاملة لا تختمل التمرد، بذليل ما نشر هذه الأيام عن بدء تدريب الأقصى الحديدية وهو اسم التدريب المشترك بين القوات الأمريكية والقوات المصرية ضمن خطة تدريب مشترك بين مصر والدول الشقيقة والصديقة كما يقول أحرام يوم ٣١-٩٦، إذا كنا نتدرب مع أمريكا حليف إسرائيل وحاميها فمن هو العدو الذي سوف نجاريه عندما نخلع خاتم التخرج من أصبع الوطن.

العدد القادم :

هجوم

إدارة الأحزاب بين
الريفية والوطنية

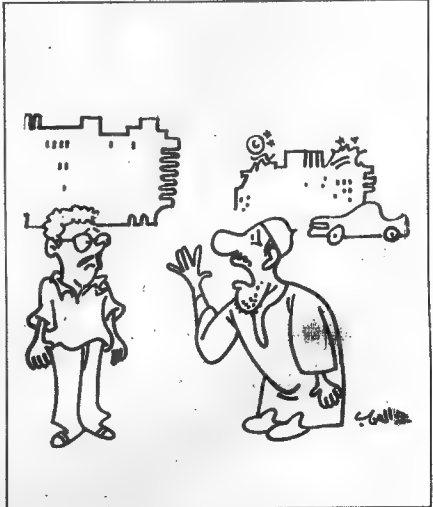
المحتضر.
والسؤال هل الظاهرة الخريفية في مجتمعنا تتناهى مع الوطنية، ولتأكيد مصريتها تحتاج كل فترة إلى تصريح سيادي، لقد تعودنا على اتهامات السلطة للمعارضة إذا خرجت عن خط الحكومة التي رسمته لها بأنها عميلة تتلقى قويا ودعما من الخارج، متحرفة مشاغفة، تثير حتى الناس، هدتها الإثارة، تهدد السلام الاجتماعي، غير وطنية، تريد الاستيلاء على السلطة بالقوة، مستمرة، لها أهداف خبيثة، شيوعيون، ماركسيون، كفر، علمانيون، إرهابيون، مرتزقة. الخ تلك القائمة، فالموضوع ببساطة أن التاريخ بين لنا أن حاكم مصر سواء الفرعون أو الخليفة أو الملك أو الرئيس هو المصري الوحيد الذي يمارس حريته، وأنتا نتظاهر بالديمقراطية، لأن البنية الفكرية للنخبة الحاكمة في أصلها بنية عسكرية لا تؤمن بالحرية.

جميع الأحزاب

مصريته وكلنا مصريون

هذا نص التصريح السيادي الذي نسمعه من فترة لأخرى، وآخرها كان في أغسطس الأسكندرية، ثم عقبه تصريح رسمي يقول «أن هناك حركات من بعض القوى السياسية شابتها بعض الظروف في أوقات معينة ونأمل أن تشير الأمور في اتجاهها الصحيح». هذا معناه أن بعض الأحزاب المعارضة خرجت عن الخط المرسوم وعليهم أن يرجعوا إلى الخطية، فكلنا مصريون ولنا حاكم واحد وعلونا لعب عيال وحكاية الديمقراطية، فهي مجرد ديكور لزوم الاستهلاك المحلي والمنظرة أمام العالم

محاولات لاحتضار هدى عيد المنعم من اليونان



ونستوره حرامية من برة ليه؟ البلد مليانة



جارودي والإسلاميون

خليل عبد الكريم

المستبد (في هذه الخصوصية جاء التعليق) الخميني إلى ماخيه الماركسي) وتقدمه لسلاسل حكام دول النفط العربية بالذات أنهم يحتاجون (في أساس البلاغة للزبشر) / اجتمع فلان وحجته عن كذا = صرلته أرصدها ولا يستخدمونها في سجل تقدم شعوبها (ولهذا من أهم الأفكار التي هيبت الضغائن عليه...) الخ الخ.

ولزيد من التفصيلات عليك بـ (كتاب) لا يا جارودي للدكتور سعد هلام- دار المنار بمصر الجديدة. والنقل الأخير الذي يحمل عنوان (انطباعات نقدية عن فكر جارودي في تطوره الأخير) من كتاب (لماذا أسلمت) جارودي- دراسة أعدها محمد عثمان المحنت- مكتبة القرآن- القاهرة- تلك كانت إخلالة خجلي على ما يمكن أن نسميها (المانشعرات) الرئيسية لرؤاه الإسلامية التي آلت عليه الإسلاميون- (من كل لون) لطفوا بهاجونه بطروا بلت حد التشكيك في صحة إسلامه بل أن أحدهم غالي في مناراته ووصفه بأنه دسيسة شوعية لتفسير الإسلام من الداخل بعد أن أخلق (فشل) الرفاق في تدميره من الحاراج واقترح أحدهم سحب نصف جائزة الملك فيصل (توبيل العرب) متنبهاً لا ما دأب ويل أن هناك فتوى أصدرها كبير فقهاء إحدى الدول المجاورة بـ تكفيره - ومن ثم فالذين يراقبون ما يجري على الساحة الإسلامية مثلي كانوا يشترعون أن يعرض الإسلاميون عن بكرة أبيهم ويعومهم القسطنطينية عن (الرجاء) ويعد

فان الذي غفلوا عنه أن جارودي (وهذا ينطبق إلى حد ما على مراد هورمان) ابن حضارة مختلفة وعاش في بيئة مغايرة ورضع لبن ثقافة مهابنة وورس في ظل فكر أقرى وثناً في مجتمع غرب عنهم أي أن تركبته الفكرية أو ما يمكن أن نطلق عليه (العقلية) مغايرة تماماً لـ عقلياتهم المصونة ولذا فإن من الطبيعي أن ينظر إلى الإسلام من زوايا لم تخطر لهم على بال خاصة وأنهم يعيشون باستعمار في حلم دسيسي يمتحنون أعاجته في كتاب لنا من ثلاثة أسطر تحت الطبع- وما يظهر على العرض أشتباا بالوثائق أنه لم يكن ذنباً ولا حاجة أ. هـ) ومنهج (الرجاء) يقطع بمرور الإسلام وقابليته لاستيعاب أو على الأقل التكيف مع سائر الحضارات ومختلف المدنيات وذلك ما حدث بدءاً من نهابات القرن الأول الهجري وبعد قليل أثمر الحضارة الإسلامية (مبعث لغار المسلمين) والتي كان للأعاجم آنذاك مساهمتهم الفعالة فيها التي لا يتكرها إلا الخصيم الشكس- ويول أن يتحاور الإسلاميون مع (الرجاء) ويتفهموا رؤاه ويعتبروا النظر في طروحاته ويعتبروه ومن على شاكلته الفرصة لآراء الفكر الإسلامي والإسلام في تجميد وتوتير إذا بهم يعطونه ظهورهم المجلدة حتى في أدق الظروف وأشدّها حروية ولكن مهابات فهم: كاتع صخرة يوميا ليوفنها فلم يضرها وأعيها قرينه الرعل.

بكل الماييس فان وقفة جارودي في مواجهة الكيان الصهيوني العنصري وحاميته أمريكا تستحق عظيم الاحترام ومن ثم فهو في حاجة ماسة إلى المساندة ولقد أحسن أ. سعد الدين وهبه واتحاد المفتين (يقال خطأ للفنانين) في استضافته ولو أننا نعتب على أبي السعد أنه طوش (في القاموس المحيط للفرز أبادي / طوش غربه أي مطله- والغامة تقول طوش - أ. هـ) اليسار الإسلامي ولم يدعه لاية ندوة أو احتفالية مع أنه الأقرب إلى فكر جارودي- ومهما يبلغ الخلاف معه حول رؤاه الإسلامية فيتمين تناسيه بعد أن أثبت الرجل أنه ملك شجاعة فائقة خاصة في مثل سنه. بيد أن الإسلاميون من القطعائن الأعلى والحدومي (حصراً) وتعدداً برئاسة شتون التقديس- والمجالس الأعلى للشئون الإسلامية) تجاهلوه مع أنهم ظلوا لمن هو أقل قيمة فكرية منه سوا- من الأعاجم أو الفرقة (الذين أسلموا) وأقرب مثل هو مراد هوفمان إذ دفعوا حكومة الحزب الوطني السنية لاستقادة وتكرهه واجازته في حين أن قياس القامة الفكرية لرجاء أو روجية بالكتابات العجاف لهذا الهرمان مستحيل. ومن الغريب أنه قبل تدليله مباشرة هاجسته مجلة المعهد الحقن- المشهور في وسائط الميديا أو الإعلام بالآهر- فما الذي أغضب الإسلاميون بفرعهم المباركين على جارودي؟ كل جريته في نظهم أنه قدم طروحات مهابنة أو قريبة مما يقمعه المكونون الإسلاميون المستبشرين (استشارة حقيقية لا مضطعة ولا مدعاة) وقبل أن نوزجها قد يضيئ جوانب الموضوع أن نذكر أن هناك كتابين ترجعا للفرنسية هما (الإسلام السياسي) للمستشار العشماوي وآخر أحوى على دراسات له والدكتور وبعث السعيد ولكاتب هذه السطور وأن عدداً من مؤلفات العشماوي وغيره من ذات التياز وصلت إلى أيدي جارودي ومعلوم أن زوجته الحاجة سلمى تتولى الترجمة إلى الفرنسية. أما أهم أفكار جارودي بإيجاز شديد فهي: وقتية الأحكام وخاصة المتعلقة بالحدود وفي مقدمتها حد السوقة ثم مبرات المرأة وتاريخية النصوص وكلام عن الحجاب والتأليب ومشاماً والأعاجب بالإسلام الحضاري (التاريخي) على حساب العبادي أو الظرفسي الذي يراه حاملا لبعصات البيئة السابقة خاصة شميرة الحج وإن لم يصرح بذلك والإسلام هو التمس للعقيدة الإبراهيمية وجاء يكمل فرعها السابقين عليه: اليهودية والمسيحية وليس تناقضاً لها والتبشير بـ مجتمع إنساني عالمي يحتمل الملل جميعها بما فيها المذكية والبردية... الخ ومن ثم يأتي القول بنبذة الأديان وأن الاكتفاء بالإسلام دون سائر الديانات والتحل والمذاهب... جهل بالناسيل الحار والعلو والمجذبات التي حتما لا بد أن تتحاور لا أن تتصادم وحوارها ليس مطليا رئيسا فحسب بل هو ملح عاجل لمستقبل البشرية وخيرها والهجوم على الكثر والاكتناز وعلى رأس المال الطافي

مطلوب اعتراف دولي بقيام الدولة الفلسطينية

في الضفة الغربية وقطاع غزة

رسالة القدس

السلام ذاته وعن مرجعيته بهواجهوا
واشترطات الأمن الإسرائيلي القوي ، مع
الإشارة طبعاً ، إلى أن هذا الاتصال ابتدأ
منذ فترة حكم حزب العمل ، وجاء حزب
الليكود بعد فوزه في الانتخابات ليطور هذه
العملية وفق برنامجيه الخاص.

ومع ذلك ، وباعتقاد العديد من الأوساط
الفلسطينية فالفارق بين المفاوضات الحالية مع
تحالف الليكود اليسنى المتطرف وبين
المفاوضات التي جرت مع تحالف حزب العمل
وميرتس في السابق ، يكمن أساساً في
الاختلاف بين برنامجي هاتين الحكومتين أو
فيما يسميه رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي
تقنياً ، باستعداد حكومة حزب العمل
لتقديم التنازلات للعرب وتراجعها أمامهم ،



هنا ما نعتلنا إياه بحجبه المفاوضات حول
الخليل ، وهذا ما يجب أن نستخلصه ونتأهب
كفلسطينيين للرد عليه خلال الأيام والأشهر
القادمة والتي سيقى نستخدم خلالها بالموقف
الإسرائيلي الرسمي الذي يبتعد كثيراً حتى
عن تسوية الحد الأدنى التي يمكن
للفلسطينيين القبول بها.

إن مانشهد الآن ، ومانشهد في
المستقبل أيضاً ، عملية تفاوضية انفصلت عن

تؤكد بحرية المفاوضات حول إعادة
الانتشار من الخليل ، بأنها ليست مجرد
استئناف لعملية المفاوضات السابقة وإنما هي
مفاوضات ذات طبيعة أخرى وأهداف جديدة
، يسعى تحالف الليكود الحاكم في إسرائيل
لفرضها على الجانب الفلسطيني.

فالحكومة الإسرائيلية الحالية ، تحاول
إعادة العملية التفاوضية إلى خطة شامير في
مفاوضات واشنطن قبل أربع سنوات ،
باعتبارها مفاوضات ليست سياسية وإنما ذات
طبيعة إدارية أمنية ، وبدون أي سقف زمني
ويعزل عن أية مرجعية سوى ماتراه هذه
الحكومة مناسياً لتأكيد تطلعاتها وأحلامها
فيما تسميه أرض إسرائيل الكاملة.

فلسطينيات يتظاهرن في رام الله مطالبات الإسرائيليين بسحب قواتهم من الخليل والإكراج عن المعتقلين بالسجون



ومن وجهة نظره طبعاً فإن اتفاق اوسلو الأول والثاني مع الجانب الفلسطيني هي تنازلات يجب وقفها ! واتفاقات يجب تعديلها ! وهذا الفارق بين الحكومتين يشمل أيضاً ما كان يسمى ولا يزال بالإجماع القومي الصهيوني وتغليب اعتبارات أخرى اجتماعية واقتصادية وحزبية على اعتبار الإجماع وهذا تابع من الاختلاف بين هذين الحزبين في تحديد جدول أولوياتهما على الصعيدين الداخلي والخارجي . مع التأكيد أن هذه الاختلافات والفوارق التي ابتدأت تتعمق مع بدء العملية السلمية لاتنسخ أو تنفي قطياً الاتفاق بينهما حول العديد من القضايا.

فيالنسبة لحكومة واين - بيرس السابقة ، فإنها لم تكن ترفض من حيث المبدأ قيام دولة فلسطينية ، وإن كانت تصر على عدم العودة إلى حدود عام ١٩٤٧ وعلى ضم أجزاء طبعاً أنها هامة لأمن إسرائيل . وقد أقدم حزب العمل أثناء انعقاد اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني لتعديل الميثاق في شهر نيسان الماضي على حذف البند الذي يعارض إقامة دولة فلسطينية من برنامجها ، وهذه الخطوة عبرت عن إعاجة ايحايه أراد أن يوجهها بيرس إلى القيادة الفلسطينية . وبالمقابل فإن حكومة الليكود لاتزال تطرح شعار أرض إسرائيل الكاملة وترفض

من حيث المبدأ قيام دولة فلسطينية.

ويكتنح تتبع هذا الفارق أيضاً على صعيد الموقف من الاستيطان حيث ميزت الحكومة السابقة بين مكائات تصفها بالاستيطان السياسي والاستيطان الأمني . ووضعت العديد من القيود على النشاطات الاستيطانية وإن لم توقفها بشكل تام.

أما الحكومة الحالية فقد وقعت جنيح القيود المذكورة وأعلنت عن تعديل سلم أولوياتها باتجاه تشجيع النشاطات الاستيطانية وابتدأت بحملة مصادرات جديدة وصدت أكثر من ٦٠٠ مليون شيكل في ميزانيتها لدعم النشاطات الاستيطانية عدا عما رصدته للاستيطان في القدس الشرقية . كما أعلنت الإدارة الأمريكية عن نيتها لاقطاع ٣٠٠ مليون دولار (أكثر من ٩٠٠ مليون شيكل) من ضمانات القروض الممنوحة لإسرائيل عن هذا العام وهو حسب تقديرات هذه الإدارة نفس حجم المبلغ الذي رصدته حكومة الليكود للنشاطات الاستيطانية .

حجم المقتطعات المذكورة أثناء العام الأخير من حكم حزب العمل بلغت ٦٠ مليون دولار أو حوالي ١٨٠ مليون شيكل . ولعل إصرار حكومة نتياهو على عدم تقديم أي تمهيدات تتضمن جدولاً زمنياً لتنفيذ باقي الاستحقاقات المطلوبة منها بعد إيجاز صيغة الاتفاق حول الخليل كما يطالب

صائب عريقات وجده عبد الشافي في ملاويزات مؤتمر مدريد



الجانب الفلسطيني وإصرارها على تقديم تصريح عام غير ملازم يكشف المزيد عن نوايا هذه الحكومة خلال السنوات القادمة أي خشي نهاية فترة ولايتها في عام ٢٠٠٠ .

ولم تكف هذه الحكومة بمجرد الامتناع وإنما حدثت أيضاً آليات نشاطها المباشر في تجاهين أساسيين ، الاتجاه الأول على الأرض من خلال إطلاق موجات الاستيطان ، والاتجاه الثاني على صعيد العلاقة مع السلطة باطالة أمد المفاوضات المرحلة إلى أجل غير مسمى والتقدم بالمزيد من الشروط والمطالب بالنسبة لما تسميه بالانتهاكات الفلسطينية للاتفاقات .

وقد تحدث رئيس الوزراء الإسرائيلي نتياهو عن مدة هذه المطالب في اجتماع خاص أمام لجنة الداخلية والأمن التابعة للكنيست ولخصها رئيس قسم التخطيط في الجيش الإسرائيلي شاول موفاز في ورقة عمل على الشكل التالي:

- ١- المطالبة بإدخال التعديلات المطلوبة على الميثاق الوطني الفلسطيني حيث انتهت الأشهر الستة على انعقاد المجلس الوطني دون إدخال هذه التعديلات
- ٢- مصادرة الأسلحة غير القانونية في مناطق السلطة الفلسطينية.
- ٣- تسليم المطلوبين في مناطق السلطة إلى إسرائيل .
- ٤- إقامة مناطق فاصلة خالية من أفراد الشرطة الفلسطينية المسلحين حول المدن الفلسطينية.
- ٥- تقديم أفراد الشرطة الفلسطينيين الذين أطلقوا النار على الجنود الإسرائيليين أثناء الهبة الجماهيرية إلى المحاكمة .
- ٦- إقامة مناطق أمنية عازلة حول المستوطنات .
- ٧- عدم إدخال أي أسلحة إضافية إلى الضفة وغزة رغم أن الاتفاق يسمح بذلك .
- ٨- عدم قيام السلطة بأي نشاطات تحريرية ضد إسرائيل .

وخلصت ورقة العمل الإسرائيلية إلى النتيجة بأن إسرائيل تطالب بإدخال هذه التعديلات الأمنية في الضفة وذلك على ضوء الأحداث الأخيرة ، كما أنها تصر على تأجيل البحث في جميع المواضيع الأخرى مثل المرحلة الثانية من إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي ومفاوضات الحل النهائي ما لم تتم الاستجابة للمطالب المذكورة .

هذه هي الأسباب الكامنة وراء الامتناع الإسرائيلي عن الالتزام بجدول زمني لتنفيذ باقي الاتفاقات ، وهي نفس الأسباب التي تقف على الجانب الفلسطيني التصمس بمواقفه والامتناع عن الموافقة على أي اتفاق يتيح للحكومة الإسرائيلية المتضي في مطالباتها إدخال تعديلات أمنية شاملة والسعي لإعادة

فتح ماجرى التوصل إليه من اتفاقات خلال
العامين الماضيين.

إذن فالقضية الرئيسية ليست فى موضوع
الخليل وحده وإنما فيما سياتى بعد ذلك ..
وكيف ... لأننا نحن الآن أمام حكومة قوت
التمادى حتى آخر مدى فى مطالبها ومواقفها
وتريد أن تمارس طقوسها على حساب من
حولها ، وفى مواجهة معهم ، حكومة تسعى
لتقسيم مدينة الخليل بدعى الحفاظ على
أمنها ، وتعمل كل ما تستطيع لتكريس ضم
القدس وتوحيدها باسم فرض سيادتها عليها .

وإزاء هذا الواقع ، بكل مايتضمنه من
اختلافات بين طبيعة المرحلة الحالية من
المفاوضات عن طبيعتها فى المرحلة السابقة ،
يكون من الصعب جدا على المفاوض
الفلسطينى أن يخفض عينيه وأن يحتفظ
بمرونته السابقة وكان شيئا لم يكن . كما يكون
من الضروري أن يعطى موقف السلطة الحالية
بأكبر مساندة وتأييد كى تواصل رفضها لى
اتفاق أو خطوة تسهل على الطرف المقابل
تحقيق أهداف تتعارض كليا وبشكل مطلق مع
الأهداف التى تسعى لتحقيقها . وهذا يتطلب

من الناحية العملية أن تضاعف السلطة
الفلسطينية جهودها ومساعدتها على مختلف
الأصعدة الداخلية والخارجية من أجل تعزيز
مكانتها التفاوضية وتحييد الدعم والتأييد
لهذه التحرك من الاحتلال وإقامة الدولة
المستقلة . كما يصبح من الضروري أن تلجأ
إلى مختلف الوسائل والأساليب من أجل
استثمار مظاهر الدعم والتأييد عربية أو
أوروبية أو دولية وتوظيفها لصالحها ، وفى
الضغط على الحكومة الإسرائيلية للتراجع عن
مواقفها .

وعلى هذا الصعيد يبدو أن الوقت قد حان
للبدء بحملة سياسية وإعلامية واسعة على
مختلف الأصعدة من أجل تأمين اعتراف عربى
ودولى للاعلان عن قيام دولة فلسطينية من
طرف واحد فى الضفة والقطاع .

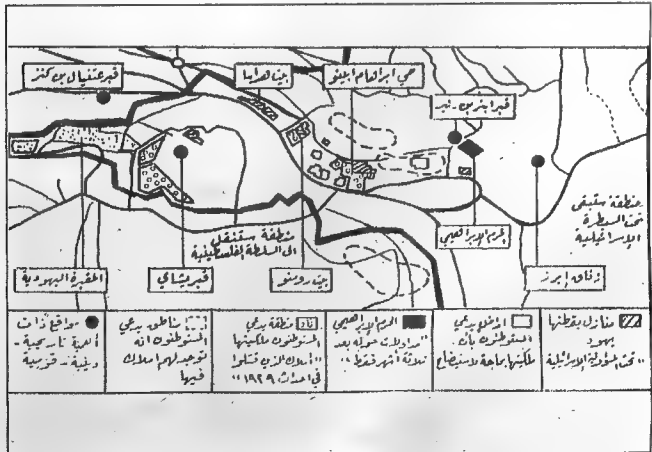
كما يبدو أيضا أن الوقت قد حان لمطالبة
الأمم المتحدة فى دورتها الحالية للاعتراف
بقيام الدولة الفلسطينية واعتبار الاحتلال
الإسرائيلى هو احتلال لأراضى دولة
أخرى . وهنا يجب عدم الاكتفاء بشروع القرار
الحالى لدورة الأمم المتحدة الذى يتحدث عن

حق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير دون
تحديد ذلك بقيام الدولة .

لقد نشرت وسائل الإعلام منذ فترة
قصيرة أن القيادة الفلسطينية تدرس إمكانية
الإعلان عن دولة فلسطينية من طرف واحد .
وقد تبغ ذلك تقارير إخبارية نشرت فى الصحف
ومنسوبة إلى مصادر استخباراتية إسرائيلية
لاستبعاد إقدام القيادة الفلسطينية على مثل
هذه الخطوة وذلك بسبب شعورها بأن المسيرة
السلمية تراوح مكانها .

نحن لانعرف طبعاً مايجرى وراء
الكواليس حول هذا الموضوع ولكن الرد على
حكومة نتنياهو يتطلب الاندماج على خطوة
نوعية من هذا القبيل . ولكن التوجه للأمم
المتحدة لمطالبتها مجددا بالاعتراف بالدولة
الفلسطينية بداية لحملة شاملة فى هذا الاتجاه .
ومثل هذه الخطوة ستشكل بالتأكيد ردا
مناسبا على مواقف حكومة نتنياهو ، وطريقة
مناسبة تؤكد أن الجانب الفلسطينى قد
استخلص العبر المناسبة من دروس المفاوضات
حول الخليل باتجاه توظيف جميع عوامل الدعم
والتأييد العربية والدولية لصالحه .

أراضى ومنازل يدعى المستوطنون امتلاكها فى الخليل



٤٥٠ مستوطناً و١٨ ألف فلسطيني في الخليل

أعدت القيادة العسكرية للمنطقة الوسطى في إسرائيل كتباً بخصوص إعادة الانتشار في مدينة الخليل، يتضمن معطيات فيدانية وسكانية، ونشرت صحيفة «هارتس» (هذه) المعطيات التي سلمت للجنرال آمون شاحك رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي والأوساط السياسية. تبلغ المساحة العامة لمنطقة الخليل حوالي ٢١ ألف دونم. تمتد المنطقة H1 - أي الخليل ١ التي سيعيد الجيش الإسرائيلي انتشاره منها على حوالي ٨٠ ٪ من مجموع مساحة المنطقة أي تبلغ مساحتها حوالي ١٧ ألف دونم. أما المنطقة H2 - الخليل ٢ - التي ستبقى تحت السيطرة الإسرائيلية فتبلغ مساحتها حوالي ٤ آلاف دونم.

يقطن في منطقة H1 مائة ألف فلسطيني ويقطن H2 ٤٥٠ مستوطناً و١٨ ألف فلسطيني. ورغم أن هذه معطيات رسمية، يقولون في القيادة العسكرية الإسرائيلية للمنطقة الوسطى أن عدداً كبيراً من الفلسطينيين توجهوا في السنوات الأخيرة للسكن في منطقة الخليل وبلغ عدد هؤلاء تقريباً ١٠ آلاف فلسطيني، كما دخل الأحياء الاستيطانية في المدينة مستوطنون إضافيون.

ويتضح من الوثيقة العسكرية أن البؤر الاستيطانية في H2 تستمر بالحصول على خدمات بلدية من بلدية الخليل، أيضاً بعد إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي. ويدور الحديث عن توفير المياه والكهرباء والعناصر الأخرى من البنية التحتية. ولن تستثمر أموال البلدية في هذه الأحياء باستثناء حفر آبار مياه جديدة. ويستطيع المستوطنون التحرك بحرية في الأحياء الاستيطانية، لكن لن يسمح لهم بالتوجه إلى الأحياء الفلسطينية بدون تصاريح.

وقالت مصادر عسكرية إسرائيلية أنه طوال فترة المداورات مع الفلسطينيين لم تعرض إسرائيل أي اخلاء لأي من الأحياء اليهودية في مدينة الخليل.



نشرت صحيفة «يديعوت إهرونوت» خارطة أصدرتها لجنة المستوطنات اليهودية في الخليل تحت عنوان «خارطة تقسيم الصلاحيات في الخليل».

وتتضمن الخارطة إشارة إلى مناطق وأماكن يدرى المستوطنون أن ملكيتها بحاجة لاستيضاح وهي عبارة عن أرض واسعة مساحتها مئات الدونمات حول أحد القبور، الواقع في الطرف الشرقي للمنطقة التي ستقع تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية. ووفقاً لادعاءات المستوطنين فإن لديهم ما يشير إلى قيام يهود بشرآ - هذه الأراضي في القرن التاسع عشر.

كما تضم خمسة منازل في حي القصبة في الخليل منها مبنى استخدّم في الماضي كمتندق.

منازل وبيوت في حي القصبة في منطقة القبر يدعى المستوطنون أنها تعود إلى عائلات قتل أفرادها في أحداث ١٩٢٩.

يدعى المستوطنون أنه أصبح لهم حق ملكية في أكثر من عشرين منزلاً وأراض في ثلاث مناطق في الخليل: منطقتان في حي القصبة وأخرى في أطراف حي أبو سنيّة.

ويص الانفاق الخاص بإعادة الانتشار على أن يكون هذا الحى خاضعاً للسيطرة الفلسطينية.

وقالت مصادر إسرائيلية أن المستوطنين قاموا بحملة سرية للاستيلاء على مزيد من المنازل والأراضي في الخليل وذلك بتمويل رجال أعمال فرنسا والولايات المتحدة وخصوصاً الهاخام اسحق غورتيج. كما قام المستوطنون في الآونة الأخيرة بحملة لجمع التبرعات من مؤيديهم في إسرائيل.

وقالت المصادر أن المستوطنين ضاعفوا في الشهرين الماضيين من نشاطاتهم ومحاولاتهم للاستيلاء على عقارات بين مستوطنة كريات أربع والخليل وفي منطقة السوق في البلدة القديمة.



**** العنف الشديد الذي يمارسه جنود الاحتلال ضد الفلسطينيين يرتد بسرعة على المجتمع الاسرائيلي وينعكس في مظاهر عدة على الفئات الضعيفة: ضد المرأة ، ضد الأولاد في الشارع.. والخ.. فهل تنجح الهبة الشعبية والحكومية لوقفه؟**



العنف في المجتمع الاسرائيلي

محكمة العدل العليا تمنح للمختبرات الإسرائيلية تعذيب المعتقلين العرب

رسالة حيفا

نظير صيطي

ونحتاج إلى علاج أكثر جدية وجزرية فهناك ظاهرة عنف أيضا ضد الأولاد، من ذويبهم ومن أترابهم ومن مرضى العنف والجانحين عموما وهناك ظاهرة عنف في المدارس؛ معلوم بضربون الأولاد، والأولاد يضربون بعضهم البعض وبعض الأولاد يضربون معلمين والأهل يهاجمون المدرسة ويعتدون على المربين وهكذا. وهناك ظاهرة عنف في الشارع: في ملاعب كرة القدم، في النوادي الليلية، في الحارات وفي الحانات... إلخ. وجاء ذلك البحث في نفس اليوم الذي كانت فيه راحيل ديان، زوجة نائب رئيس الكنيست النائب حاييم ديان، تقدم شكوى عليه في المحكمة بأنه ضربها وتسبب لها في أضرار جسدية اضطرت جراحها لتلقي العلاج في المستشفى (فيما بعد سحبت الشكوى من الشرطة، واعتلت والدتها أن سبب الشكوى تم نتيجة تهديد الزوج لزوجته بالضرب، لكن الشرطة قررت التحقيق في الموضوع). وقررت كتابة توصية «الهيمنة» التي ينشئ إليها النائب ديان، أن تنتظر نتيجة التحقيق فإذا تبين أن النائب ديان قد اعتدى فعلا على زوجته، فسيبحر أمره. وقد يظنون منه الاستقالة من الكنيست. أما هو فقد أعلن أنه لن يحضر إلى الكنيست لمدة أسبوع على الأقل، ولن يدير الجلسات المقررة له أن يديرها، وبينها تلك الجلسة الخاصة عن العنف ضد النساء.

أما الأمر الذي لم ينجب غالبية أعضاء الكنيست، فهو أن العنف في المجتمع الاسرائيلي هو أحد الانتكاسات

إسرائيل الآتات يعاني العنف وإن هناك ١٥٠ شكوى في الأسبوع، تسجل في الشرطة حول موضوع العنف وأنه في الفترة منذ بداية السنة (١٩٩٦)، قُتل ١٧ امرأة من جراء العنف داخل العائلة.

رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو أعرب عن الزعاجه الشديد من هذا الواقع. وهاجم ملك القضاء الذي يعطى أحكاما سهلة على الرجال الذين يعتدون على النساء. وأعلن عن إقامة «سلطة وطنية لمكانة المرأة»، رصد لها ميزانية مليون دولار في المرحلة الأولى، لتلاحق الموضوع.

وزير القضاء تساجي هتسفي، أعلن عن تشكيل لجنة تراجع القوانين المتعلقة بالعنف وتقدم اقتراحات لتعديلها، بحيث يتم تشديد العقوبات على من يمارس العنف ويجبر المحكمة على أن تصدر أحكاما لحد الأدنى التي لا يجوز إصدار أحكام أخف منها.

وزير العمل والرفاهة إيلي يشاي، أعلن عن فتح ملجأ للرجال الذين يضربون نساءهم، لكي تتم فيه معالجتهم وتخليصهم من مرض العنف.

لكن الصور الشاذ الذي أسع في الكنيست ولم يحب الكثيرون مساعده، كان صوت عدد من نواب اليسار الذين أشاروا إلى أن العنف ظاهرة عامة في إسرائيل

شهر نوفمبر / تشرين الثاني الماضي، كان شهر العنف في إسرائيل لم يطلق عليه أحد هذا الاسم، لكن كثرة الحديث فيه عن العنف والعنف المضاد، وانشغال الكنيست والمؤسسات التربوية ووسائل الاعلام المحلية والعالمية فيه، جعلته هكذا. ومن يراقب الأحداث في البلاد، يشعر أن هناك هبة جماهيرية واسعة ضد العنف بمختلف أشكاله، لأن الشعور السائد هو أن العنف بات يهدد المجتمع الاسرائيلي تهديدا حقيقيا. وتقتصد بكل وضوح: العنف السياسي والعنف الاجتماعي والعنف العائلي أيضا. وفي كل المجالات المذكورة، تحقق إسرائيل أرقاما قياسية، بالنسبة لدول الغرب التي تعتبر إسرائيل نفسها واحدة منها. ولنبدا من النهاية:

في التاسع عشر من نوفمبر، أحييت الحركات النسائية في إسرائيل اليوم العالمي لمكافحة العنف ضد النساء. بمختلف النشاطات الثقافية (معارض صور ورسومات) والتربوية (حلقات دراسية) والاجتماعية (اللقاءات، مظاهرات، ندوات)، وكان في مركزها جلسة خاصة للكنيست ظهر فيها النواب من جميع الكتل البرلمانية موحدين في الموقف ضد العنف. وهنا من المرات النادرة التي تجتمع فيها الكنيست موحدة حول أمرا.

في هذه الجلسة كشف النقاب عن أن هناك ٢٠٠ ألف امرأة مضروبة في إسرائيل، تعمرض للعنف ولو مرة واحدة من طرف الزوج أو أحد الأقارب أو المعارف، وهو رقم مفرق. إذ أنه يدل على أن حوالي ٨٪ من سكان

الأساسية لممارسات العنف
الاسرائيلية ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة وعلى الحواجز العسكرية وفي لبنان وغيرها. فالكثير من الساسة الاسرائيليين يرفضون الاعتراف بوجود رابط بين الامرين، مع أن تحليلات العاملين الاجتماعيين والاحصائيين النفسيين، كلها، تؤكد أن من يمارس العنف خلال خدمته العسكرية، لا بد وأن يعود إلى بيته وهو يعمل الكثير من المحفزات لممارسته ضد أهل بيته أو جيرانه أو زملائه في الشارع أو ضد خصومه أو مع من يقضيه بشكل عام.

ومن لا يعترف بوجود هذا الربط فإنه لا يطمح رأسه في الرمل وحسب، إنما يساهم في ارتكاب جرائم العنف بواسطة التغطية عليها بدلا من مكافحتها.

وقد شاعت هذه الصدف أن يجري بحث الموضوع في ظل الكشف عن عدد من مظاهر العنف السياسية ذات الاثر البالغ وهي:

في ١٨ نوفمبر، عرض التلفزيون الاسرائيلي شريطا كان صوره هاد فلسطيني ويظهر فيه جنديان من حرس الحدود وهما يضربان سبعة عمال فلسطينيين في مدينة رام الله. ويتكلم بنهم بهما بشاعة الجنديان هما دافيد بن آبيو، وتسامي شمعوني. في الماعش من اكثير / تشرين الأول الفائت كانت قوة مهنتها منع عمال فلسطين من التصلل إلى اسرائيل منعنا عن العمل والزرق، لأنهم لا يحملون تصاريح. فنصبوا الكمان للعمال. وأمسكوا بستة منهم. وراح الجنديان يتكلمان بهم: ضربات على الحصىتين، شتام قذرة وإهانات، اجبارهم على ممارسة تمارين رياضية: وانطبع على ظهره. إنحن. قلب أجلس.

أريد أن أركبك. أريد أن أفعل بك كذا وكذا .. الخ .. ونحن أقرب أحد المواطنين منها محتجا .. صنعنا أحدهم على وجهه صفة رائنة.

المصور هو شاب من القدس الشرقية، اسمه هدام مرقه، عمره ٢١ عاما ويعمل صرافا. لاحظ التنكيل من أوله، فنشاور آلة التصوير وراح يخذل المشهد. لكنه أبقي الشريط معه أكثر من شهر ولم يبلغ أحدا به: فقد اعتقدت أن أحدا لن يهتم في الموضوع، فأنا أشاهد مثل هذه الممارسات يوميا. وأنا بنفسى كنت تعرضت لتعذيب مشابه عدة مرات.

واللعل، فقد اعترف قائد وحدة حرس الحدود، بمسرايل ساوان، بأن هذا ليس حادثا عابرا إنما حدث مثله وأقصى منه في الماضي وأكد أن همه الآن سيكون اقتلاع الظاهرة من جذورها.

في الحقيقة أن ساوان ومثله من أهم المسؤولين الحكوميين والأمنيين في إسرائيل أدانوا جريمة التنكيل هذه، من رئيس الحكومة نتشاهو وفي وزير الأمن الداخلي وغيرهم. وأمرؤا باعتقال الجنديين ومحاكمتهم. وهذا يحد ذاته أمر إيجابي ومشار تقدير. ومن الصعب أن نرى مثيلا له في دول العالم الثالث ودول منطقتنا. كذلك التلفزيون الاسرائيلي أقدم على خطوة شجاعة عندما عرض الشريط عدة مرات ارتقلته عنه كل الوكالات وشاشات التلفاز. لكن علينا أن ننتبه للاعتراف، بأن الحديث ليس عن حادثة عابرة بل ظاهرة متكررة.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الحكومة وقيادة الجيش كانتا قد قررتا قبل عدة أشهر أن تكون قوات حرس الحدود هذه مسئولة عن جميع المعابر والحواجز بين الضفة الغربية وقطاع غزة وداخل القدس، أي أنها

سكنون صاحبة الاحتكاك الأول مع السلطة الوطنية بشرطتها.

في الشهر نفسه ثورت محكمة العدل العليا الاسرائيلية السماح، بقرار رسمي، لمحلفي المخابرات العامة (شاباك) أن استعمال الطعنة الجسدي المجتدل على معتقلين اثنين فلسطينيين، بحجة ضرورة سحب معلومات أمنية خطيرة منها من شأنها أن تمت جذور انفجار عبروات نافسة في مراكز أساسية في إسرائيل.

لأول وهلة يظهر الأمر وكأن اسرائيل دولة قانون، والمخابرات فيها لا تريد أن تخون القانون لذلك لجأت إلى المحكمة العليا حتى تأخذ الاذن «بالضبط الجسدي المعتدل» فقط لكي تمنع عملية ارهابية. وطالما أن الأمر يتعلق بالأرقام ويكافئها الارهاب فإن المخابرات ستحتل بتعاطف كل من يدين الارهاب، أي معظم الناس، من جميع الملل والاحزاب والانحياز.. في البلاد وفي العالم، وبالطبع ستحتل بتعاطف القضاء، ولكن نظرة واحدة للقضية، تزيد من دهشتنا واستغرابنا، فالمخابرات لم تعرّده في ممارسة أبشع أنواع التعذيب ضد المعتقلين الفلسطينيين في الماضي والحاضر، من دون أن تحتاج إلى إذن من أحد. وعلى سبيل المثال. ١٩٩٥ قتل المواطن الفلسطيني عبد العمر حريزوان، تحت التعذيب في التحقيق. ولم يكن الأول.

٢٧ جمال هندي مزارع فلسطيني عمره ٣٧ عاما من قليطية دخل إلى التحقيق سليما معالي وخرج مغرورا، وفي الأبدية الأخيرة ٣٠٪ من الأطباء أنه مغرور نفسيا وجسديا بنسبة ٣٠٪ مدى الحياة.

الشاب حسن زبيدة، صاحب حانوت بقالة في قرية نيشا قضاء طولكرم. دخل إلى التحقيق انسانا عاديا، وخرج بعد أشهر انسانا آخر، بل حطام انسان. فتمتد أربع سنوات وحتى اليوم، لم يتفوه بكلمة واحدة. ولا يحسن القيام بأي عمل بقضى ايامه ولياليه ما بين النوم وبين البطالة التي يقضيها شاخصا في السبواء.

معيد جميل (وهو شقيق الشاب محمد جميل، الذي مات تحت التعذيب في سجون قوات الأمن الفلسطينية قبل عدة أشهر. ففي السجون الفلسطينية قتل خلال سنوات الحكم الذاتي الثلاث سبعة فلسطينيين) معيد جميل، اعتقلته اسرائيل قبل شهرين وجرى تعذيبه طيلة شهر كامل. الطالب الجامعي مصطفى أبو ناضر



نتشاهو

نتشاهو يعرب عن انزعاجه

لامتداد العنف إلى داخل

الاسرة الاسرائيلية ويهاجم

القضاة لتساهلهم مع

الازواج

السلطانية (٩ ديسمبر / كانون الأول ١٩٨٧ وحتى نهاية أغسطس / آب ١٩٩٦ ، قام جنود إسرائيليون بقتل ١٢٥١ فلسطينيا ، بينهم ٢٢٢ طفلاً وقد زعموا جميعاً أنهم نفذوا تعليمات قيادة الجيش بأن من معهم وواجههم إطلاق النار ، لكن فقط في حالة وجود خطر يهدد حياة الجندي.

من تلك الحالات قدم ، إلى المحاكمة مرتكبو ٥٥ جريمة فقط (أقل من ١٠٪) ، والبقية (١٩٩٦) حالة ، لم يحاكم أي جندي. وأما الحالات التي قدمت القضية للمحاكمة فكانت الأحكام فيها سهلة ، إذ أنه في:

٣- حالات ادين الجنود بالقتل غير المتعمد.

٦- حالات ادينوا فيها بالتسبب بالموت نتيجة للاهمال.

بحالات (٧) ادينوا بالتفكيك والتسبب بأصابات.

في ١٢ حالة ادينوا باستعمال السلاح بشكل غير قانوني (كما حدث للمعتدين الأربعة).

حالة واحدة ادينوا بالسلوك المشين.

حالة واحدة ادينوا بتهمة الاهمال في القيام بالوظيفة.

١٠ حالات برز الجنود من أية تهمة.

حالة واحدة الغيت لائحة الاتهام قسماً.

من الواضح إذن ، أن هناك عفا سياسياً شديداً ، واسعاً وخطيراً ، يمارسه الرجال الإسرائيليون ضد الفلسطينيين . تراكم هذه الممارسات خلق ظاهرة عامة وطامة من العنف عموماً ، وصل في مراحل عدة وباشكال عدة إلى المجتمع الإسرائيلي ، جارفاً ولعل قتل رئيس الحكومة اسحاق

راباين هو الدليل الواضح على أن دورس العنف تفقرها من المناطق المحتلة ومنطق

العنف جاء من منطق الاحتلال ، فيعد عشرات الستين من التريبة على العالم للعرب

والاستعلاء عليهم ومن الممارسات العنيفة التي تعامل العربى على أنه ليس إنساناً ، أصبح من الطبيعي أن يروا في رئيس

الحكومة (حتى لو كان جنرالاً عريقاً مثل رابين) عدواً للدوا يجوز قتله لانه يريد صنع السلام مع أولئك العرب . وكل هذا يتجسّد على المجتمع

بالطبع ، أن هناك ظاهرة إيجابية ، تمكن في بقية المجتمع الإسرائيلي لأخطار

العنف وفي اهتمام الحكومة بالدفاع عن نفسها واتخاذ خطوات ضد هذا العنف . ولكن ما جرى في الماضي أصبحت له جذور

، ولا أحد يضمن علاجها بشكل قاطع الآن .



صورة من صور المثلث الإسرائيلي اليوم ضد الفلسطينيين

نائب رئيس الكنيست يضرب زوجته التي تشكوهُ للقضاء

مثل أمام المحكمة العسكرية في تل أبيب -إيفا، أربعة جنود قاموا بقتل الشاب الفلسطيني إيهاد محمد عواد في ١٣ يناير / كانون الثاني ١٩٩٣. كان الجنود يومها يرتدون زياً مدنياً ويستقلون سيارة يدينية ويقومون بمهمة سرية في بلدة سلبيت. الشاب إيهاد وصديقه كانا في السيارة ، فعندما شاهدوا الجنود حسباً أنهم مستوطنون ، أنهم لم يرتدوا البزة العسكرية ، فترجأوا بسيارتهم ، وفي الحال ، أطلق الجنود الرصاص ، فقتلوا إيهاد ، بينما صديقه تمكن من الهرب ، النهاية العسكرية الإسرائيلية لم توجه للمتهمين تهمة القتل المتعمد أو غير المتعمد ، بل اكتفت بتهمة : عدم تنظيعة أواخر إطلاق النار حسب الأصول . وخلال المحاكمة ، توصلت إلى اتفاق مع الدفاع ، بأن يظلم من المحكمة الاكتفاء بالحكم عليهما بالسجن شهر واحد مع وقف التنفيذ لمدة سنة . لكن القاضي رفض هذا الاتفاق «القاسي» وأصدر حكماً بدفع غرامة «قرش واحد» ، ثم قرش واحد ، على كل واحد من الجنود القتلة.

فعل أكثر من هذا الحكم تشجيعاً على العنف؟

نعم يوجد . فهناك مسلسل طويل من الأحكام السهلة ، بدأت في الأربعينيات ، حين ارتكب جنود الحركة الصهيونية الجرائم بحق

العرب ولم يحاكموا . وفي سنة ١٩٥٨ اضطرت الحكومة إلّا إجراء

محاكمة (كانت عسكرية) للجنود الذين ارتكبوا مذبة كفر قاسم ، فكان الحكم على قائدهم ، يهسغار

ششمي ، غرامة قرش واحد . والكثير من الجرائم بحق العرب مروا عليها

من دون محاكمة أحد . فقط ، خلال الفترة من بداية الانتفاضة

من مخيم جباليا في غزة ظهر في المحكمة العليا قبل أسبوع وهو يشكو من أساليب التعذيب التي اتبعت معه في سجون المخابرات الإسرائيلية: تطبيق اليدين من الخلق لمدة أسبوع ، إجباره على ممارسة «تمارين بدنية» موجعته ، شبحه من يده اليمنى في أعلى الزنزانة ، استعمال طريقة الهز ، التي تصيب صاحبها بالصرع وفي بعض الحالات بالموت.

وهناك طرق تعذيب أخرى متبعة في إسرائيل وليس في إسرائيل وحدها ، بالطبع ، ففي هذه الأمور لم يسمح علناً

العربي لإسرائيل بأن تظل متفوقة : ضرب في أماكن معينة في الجسم لا تترك أثراً

خارجياً ، على الكليتين مثلاً ، الاعتقال داخل زنزانة بحجم التابوت وعلى شكله ، تغطية

الرأس بكيس من الخيش اهتم المحققون بأن تصدر عنه رائحة كريهة ، استعمال التعذيب

بالموسيقى ، إذ يوضع المعتقل في زنزانة مظلمة ويسمع أصوات موسيقى صاخبة ومزعجة

تضرب بالسمع وتؤدي إلى حرمان المعتقل من النوم وغيرها .

والسؤال هو : إذا كانت كل هذه الوسائل متبعة في غرف التحقيق المخابراتية ، ومن

دون إذن ، فهي تعذيب تهدد المخابرات بعد حتى توجهه للمحاكمة العليا؟

أحد نواب اليسار في الكنيست د . عزمي بشارة (الجبهة والتجمع) قال ، أن

قرار المحكمة العليا من شأنه أن يقود إلى اعدام المعتقلين الفلسطينيين . وهناك جمعية

فلسطينية طالبت بعقد مؤتمر دولي قضائي لحاكم فيه المحكمة العليا على قراراتها تلك .

وهناك نوعية أخرى من العنف السياسي المتبع في إسرائيل والذي يجري

الصالح له بشكل خطير . ففي ١٧ نوفمبر

عام بعد بكين

في ذكرى مرور عام على انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة الرابع للمرأة في سبتمبر ١٩٩٥ بالعاصمة الصينية (بكين) والذي ألقى الضوء على أوضاع المرأة في دول العالم المشاركة موضوعاً مدى تأثير السياسات المحلية والدولية على تطور أوضاع المرأة وتصويبها من خطط التنمية، كان من الأساسي أن نتعرف على ماهية المرحلة التي وصلت إليها المرأة العربية خاصة في ظل المتغيرات المتلاحقة التي تهدد للمرحلة الأولى تغيرات سياسية واقتصادية . إلا أن نتائجها التي تعد مؤثرة بشدة على المواطن العربي بصفة عامة تختص المرأة بنسبة عالية من التراجعات، حيث يثبت من خلالها حقيقة أن أشد الفئات تضرراً هي الفئات الأكثر فقراً، وليس خافياً على أحد بأن النساء هن الأكثر فقراً، من حيث فرص العمل والاكثر فقراً في المقايض الدراسية . والاكثر فقراً في فرص الرعاية الصحية.

النساء في ازدياد لكن هذه الأرقام تشير إلى العكس.

-الطبع نسبة التعليم تزداد عاماً بعد عام كذلك فإن الأعداد الإجمالية للملتحقين بالمرحلة الأربع من التعليم النظامي قد تضاعفت من عام ٧٥ إلى عام ١٩٩٦ من ٢٤ مليون إلى ٥٦ مليون إذن فالأمر لا يحتاج إلى جهد كبير للبرهنة على تقدم التعليم العربي في العقدين الآخرين سواء على المستوى الكمي أو الكيفي إلا أن هناك مشكلات كثيرة لا تزال لم تعرف طريقها للحل .. ويأتي في مقدمتها العجز في تعميم التعليم الابتدائي وتوفير الحد الأدنى من التعليم الأساسي للفقراء والفقيرات .

*** إلى أي مدى يتعكس الوضع التعليمي للمرأة العربية على تواجدها في مواقع العمل؟**

-المرأة في كثير من البلاد العربية قد تحملت الجزء الأكبر من انتشار البطالة كنتيجة لتطبيق برامج التعديل الهيكلي التي تتبناها عدد من الدول العربية، وإن كان الترتيق الإحصائي لهذه الظاهرة يفتقر

جيهان أبو زيد

النساء العربيات، وما يعكسه عدم تعليمهن وأميتهن على نشأة أجيال ضعيفة غير قادرة على المنافسة ومواجهة تحديات المستقبل، كما تتعكس أيضاً على حقن وفرصهن في التعليم. كذلك تمثل هذه الأمية تعطيلاً لرسالة التنمية.

وتضيف عزة العطيفي بأنه من المؤسف أن تصل أوضاع الأمية بين النساء العربيات إلى ٧٠٪ في اليمن والصومال والسودان وموريتانيا بينما تعدت ٦٠٪ في مصر والمغرب، في حين أنها انخفضت عن ٣٠٪ في الأردن وقطر وهي أفضل نسبة بين الأقطار العربية.

*** كان المتوقع أن نسبة تعليم**

تتشابه الأسباب ما بين ثرائية واقتصادية وسياسية واجتماعية .. لكن المحصلة شديدة الوضوح .. أنها المصنف ذو الارقام الاخيرة في حركة تقدم الانسان.

-تلقي عزة العطيفي: مدير ادارة شئون المرأة والأمرأة بجامعة الدول العربية بمؤشرات هذا التصنيف من خلال استعراضها مع «اليسار» لأوضاع المرأة العربية في المرحلة الحالية قائلة:

إن الظروف التاريخية أرغمت المرأة في الحضارات التقليدية على أن تصبح قوة عاطلة .. غير أن نمط الحياة المعاصرة يستدعي تغيير وضع المرأة اقتصادياً واجتماعياً وقانونياً ومهنيًا في مجمل الحياة العامة لتصبح طاقة إيجابية في مواجهة متطلبات التنمية . ولكي تتحول النساء إلى طاقة إيجابية علينا أن نتعامل مع نسبة الأمية الهائلة بين النساء . ويكفي أن نعرف أن نسبة الأمية بين النساء البالغات في الوطن العربي تصل إلى أعلى مستوى لها في العالم كله . هذا الوضع من شأنه أن يحد من مكانة الوطن العربي في المستقبل القريب، بل أنه يمثل إجحافاً بحق

العمل يزداد يوماً بعد يوم خاصة في ظل أنظمة اقتصادية تركز التمييز ضد المرأة بدعوى الاعتبارات الاقتصادية وبالتالي فإن فرصتها في تنمية مهاراتها وامكانياتها ضعيفة للغاية، خاصة مع قصر فرص التدريب في الغالب على الذكور فقط. مما يشكل فرصاً متجددة لتطوير امكانيات العاملات من الذكور دون الاناث.

هل هناك معوقات خاصة لبعض الأقطار دون غيرها؟

هنا تجيب هبة خميس الباحثة بإدارة المرأة والأسرة بجامعة الدول العربية: «أنه برغم الحاجة الملحة للأيدي العاملة في منطقة الخليج العربي فإن المرأة كسماهة محصلة في القوة العاملة.. موضع إهمال ومورد غير مستغل.. ويرجع ذلك إلى الإيمان التقليدي بشأن دور المرأة، وانقضاء الحاجة المادية عند المرأة، لاسيما الكويت والامارات.. وتؤكد بأن مجال العمل الأكثر إبرازاً لسهمة المرأة في المنطقة هو التعليم والتدريب. لكن لو اردنا التعرف على مشاركة المرأة بصفة عامة كقوة فانه يصعب الحصول على إحصائيات متكاملة في هذا الإطار كما يرتبط ذلك بالمفهوم المحدد للمرأة العاملة والقوة غير العاملة رسمياً. وفي معظم الدول العربية لم تجد إحصاء يشير إلى نسبة من يعملن من النساء بدون أجر سوى اليمن فقط والتي بلغت فيها ٦٨٪ وفقاً لبيانات ١٩٩١.

«كثيراً ما تتهم المرأة العربية بالسلبيية والعزوف عن ممارسة حقوقها السياسية، فكيف ترمين ذلك؟»

أنتف مع هذا الرأي ولكن أولاً علينا إدراك الأسباب قبل أن يصبح هذا الرأي اتهاماً فهناك عدة عوامل ساهمت في عزوف النساء عنها.

ارتفاع نسبة الأمية وذلك رغم تزايد نسبة تعليم المرأة في العقد الماضي فلا زالت الأمية تستوعب نسبة عالية من النساء بصفة عامة. وفي الريف بصفة خاصة. أيضاً شيوع الأفكار والقيم التي تؤكد على الدور المنزلي للمرأة وعلى ضعف امكانيات المرأة ودورها وقصورها وللأسف فإن نفس تلك

للعمل بهذه الأنشطة. لذلك يتوجه نحو الأنشطة التي لا تمثل فرص عمل حقيقية تنافسية. وربما يعكس ذلك أيضاً الأوضاع والمستويات التعليمية للآلات.

وتشير عزة العطفي إلى الوضع الاستثنائي للمرأة العراقية حيث انخفضت نسبة الإناث النشاطات اقتصادياً من ١٧,٤ من حجم قوة العمل عام ٧٧ لتصل إلى ٦٪ عام ٩٢ والطبيب فإن هذه الظاهرة ترتبط بظروف العراق التي مر بها خلال سنوات الحرب التي فرضت عليه وأيضاً الحصار المفروض عليه منذ عام ١٩٩٠ وحتى الآن.

تضيف بأن حجم المعوقات التي تلاقيها المرأة خوض مجال العمل يزداد يوماً بعد يوم خاصة في ظل أنظمة اقتصادية تركز التمييز ضد المرأة بدعوى الاعتبارات الاقتصادية وبالتالي فإن فرصتها في تنمية مهاراتها وامكانياتها ضعيفة للغاية خاصة مع قصر فرص التدريب في الغالب على الذكور فقط.

وتشير عزة العطفي إلى أن حجم المعوقات التي تلاقيها المرأة خوض مجال

لمعلومات كافية. لكن بصفة عامة فإن المرأة في أقطار الوطن العربي تعمل في عدد من المهن بعد أكثرها استقطاباً وهو قطاع التعليم وإن كان يلاحظ بصفة عامة بأن عمل المرأة العربية يتركز في القطاعات الحكومية أكثر منها في قطاع العمل غير الحكومي. وعلى سبيل المثال فإن ٣٥٪ من العمالة النسائية في مصر تعمل في القطاع الحكومي في مقابل ١٤,٨٪ في القطاع غير الحكومي وهو ما أبرزه إحصاء عام ٨٦.

أيضاً بصورة عامة فإن قطاع الزراعة في كل الدول العربية يستحوذ على النسبة الأكبر من الإناث العاملات في القرى وعلى سبيل المثال في مصر فإن معظم العمالة النسائية تتركز في قطاع الزراعة حيث تبلغ ٦٧٪ ويلعبها قطاع الخدمات بنسبة ١٥٪ وذلك وفقاً لبيانات ١٩٨٨ كما أن هناك اتجاهات واضحة نحو العمل بأعمال البيع وتربية الدواجن والصيد.. في حين هناك انخفاض للترجع نحو العمل بالمهن العلمية والفنية والخدمية. وقد يرجع ذلك إلى عدم وجود فرص عمل حقيقية أمام النساء



على هاتين الصفتين تعرف القارئ بأحد ما تصدره المطابع العربية من عناوين .. لتختار منها ما يضيف إلى مكتبته، أو يحاول قراءتها في المكتبة العامة.. وتلفت نظر الناشرين العرب الذين يرسلون إلينا بأصداراتهم، إلى أهمية ذكر أثمان بيع الكتب ، ليكون القارئ على نور قبل الشراء.

صلاح عيسى

- الكتاب: بين عالمين (رجال الأعمال الفلسطينيين في الشتات وبيناء الكيان الفلسطيني).
- المؤلف: د. ساري حنفي.
- الناشر: دار المستقبل العربي/ القاهرة- مؤسسة مواطن/ رام الله ١٩٩٦.
- ٢٦٤ صفحة.

يشرع مؤلف هذا الكتاب -على مشروع دراسة يكرها مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية في القاهرة «سداج»- لتقييم الامكانيات التي قد يوفرها رجال الأعمال الفلسطينيين المقيمين في الخارج للدولة الفلسطينية في حال قيامها كقطر- لاحق للشخصية والساح المياني- بأعداد دليل بالسير الشخصية لأهم رجال الأعمال من أصل فلسطيني في ١٨ دولة منها ١٠ بالشرق الأوسط و٨ في أوروبا و٥ في الأمريكتين . ويستخلص هذا الكتاب من هذه المقابلات ، اللامع العامة لجتمع رجال الأعمال الفلسطيني في ست من هذه الدول هي (أمريكا الشمالية والولايات المتحدة وكندا) ومصر وسوريا والامارات العربية (فضلاً عن الكيان الفلسطيني نفسه غزة والضفة) ، من حيث مساهمهم المميزة، وحجم ممتلكاتهم ونفوذهم السياسي والاقتصادي وموقعهم من اتفاقيات-أوسلو- ومن احتمالات إقامة الدولة. وتضم ملاحقه الأراضي المحتلة والشتات والشتات المساهمة الفلسطينية التي أنشأها رجال الأعمال. وهو كتاب هام، يتطرق- رداً لأول مرة- إلى موضوع ظل غائباً عن الاهتمام. مع أنه من أهم جوانب المسألة الفلسطينية.

- الكتاب: الاقباط بين الحرمان الكنسي والوطني
- المؤلف: سليمان شفيق. تقديم / د. مصطفى الفقي.
- الناشر: دار الأمان / القاهرة/ ١٩٩٦.
- ٢٢٠ صفحة / قطع كبير/ ١٢ جنيهاً مصرياً.

كان مؤلف هذا الكتاب- وهو صحفي بجمينة الأحياء يباحث يركز ابن خلدون للدراسات الانسانية -طرفاً في الحركة التي اثيرت في عام ١٩٩٤ ، بشأن ادراج الاقباط ، ضمن الطوائف التي ينطبق عليها اعلان الأمم المتحدة لحقوق الأقليات «الذي كان مقررأ أن يعيد حينذاك ، مؤتمر بالقاهرة لمناقشته.. لولا أن أعترض الاستاذ «محمد حسنين هيكل» على ذلك انطلاقاً من رأيه بأن الاقباط ليسوا أقلية ، ولكنهم جزء من السبيكة المصرية، والتسريح الوطني ، مما اثار جوا من عدم الارتياح للمؤرخ، أدى لاتخاذ في ليماسول بقريرص ..

وحكم عمله يركز ابن خلدون ، منظم هذا المؤقر. ومشاركته في تحرير الفصل الخاص بالاقباط في كتاب «الملل والنحل والاعراق في الوطن العربي» ، فانه يعيد طرح قضية الاقباط بعيداً عن استحضار التاريخ لمجرد خلق مناخ من الطائفية واعتبارها أزمة مواطن، قانونية وسياسية وفكرية واجتماعية ، ويستعرض أشكال التمييز ضدهم ، بالقانون والعرف. والمادة..

- الكتاب: من ستالين إلى جورباتشوف..
- المؤلف: د. رمسيس عوض.
- الناشر: على نفقة المؤلف/ كمبيوتر جرافيك للطباعة/ القاهرة ١٩٩٦/ ٣٨٧ صفحة/ قطع كبير.

هذا هو الكتاب الثالث الذي يواصل فيه د. «رمسيس عوض» ، تأريخه لأوضاع الأدب والأدباء ، في ظل الحكم السوفيتي بعد «أدباء روس منشقون في عهد ستالين» (١٩٩١) و «البريسورويكا والأدب» (١٩٩٣). وتعتبر مقدمة هذا الكتاب الإضافية بمثابة فصل أخير للكتاب الأول ، لأنها تتحدث عن السيطرة الثورية على الأدب والفن خلال الحرب الثائية ، وتتركز أمام المتاعب التي لقيها ثلاثة من الأدباء- هم اليكس تولستوي ونيكولاي فوغلين ، وساهم الانقراض الذي أعقب وفاة ستالين في بروز دور الأدب الذي يتخذ التطبيق الاشتراكي فلمع اسما كل من الشاعر «يفتشسكو» والروائي «سولجنتسين» ، لكن المجلد ما لبث أن تراكم من جديد ، بعد سقوط غروشوف في عام ١٩٩٤ . فهاجر ستيافسكي، سولجنتسين، وهرمك الأول بوعاد مناخ الهيمنة يسيطر على الأدب الروسي، في عهده بريجينيف إلى أن تولى غورباتشوف الأمور..

والمؤلف ،وهو الليبرالي، ينتقد بعنف ، ظروف السيطرة التي تعرض لها الأدب الروسي خلال الحقبة الاشتراكية.



- الكتاب : جيلى عبد الرحمن /
شاعر الوقت فى سياق آخر.
□ أعداد وتحرير: إلياس فتح
الرحمن ود. حيدر إبراهيم على.
□ الناشر : مركز الدراسات
السودانية / القاهرة ١٩٩٦
□ ٣٠٤ صفحة / قطع كبير.

تعاون فى إعداد هذا الكتاب، مجموعة من أصدقاء الشاعر السوداني الكبير «جيلى عبد الرحمن»، وضمنوه مجموعة الدراسات عن حياته وشعره، ومجموعة من المحارات التى أجرتها معه مجلات ثقافية مصرية وسعودية ولبنانية وثنية. فضلا عن مجموعة من الشهادات كتبها شعراء وأدباء ونقاد وصحفيين عرب وسودانيين، عرفوه عن قرب ومختارات من دواوينه «قصائد من السودان» (١٩٥٦) «والجواد والسيف المكسور» (١٩٧٦) و«بوابات الموز الصفراء»، وديوان «الحريق وأحلام البلاء» الذى لم ينشر. ومختارات من دراساته النقدية، ودفاعه عن أطروحة للدكتوراة التى قدمها إلي معهد الاستشراق بإكاديمية العلوم بموسكو عام ١٩٧٥، وكانت بعنوان نشأة وتطور القصة السودانية الحديثة.

اشترك فى تأليف الكتاب ٢١ كاتباً مصرياً وسودانياً.

- الكتاب: نشرات السينما فى مصر/ المجاهات نقدية.
□ المؤلف: د. ناجى فوزى/ تقديم: د. مذكور ثابت.
□ الناشر: المركز القومى للسينما/ ملفات السينما ٢.
□ ٥٠٦ صفحات: ملخص بالانجليزية فى ٤٦ صفحة.

يؤرخ هذا الكتاب لصنر هام من مصادر النقد السينمائي هو النشرات السينمائية المتخصصة التى أصدرتها جمعيات أهلية، أو رسمية، أو مختلطة، مثل نشرة نادي السينما بالقاهرة التى أصدرتها جمعية نادي السينما بشكل أسبوعي منذ عام ١٩٦٨، وعجالات ندرة الفيلم المختار التى أصدرتها وزارة الثقافة عام ١٩٥٨ ونشرت جمعية الفيلم ونشرة مؤسسة السينما (١٩٦٧/١٩٦٥) ونشرة المركز الفنى للصور الثابتة. وهى نشرات محدودة التوزيع، يقتصر توزيعها فى الغالب على المهتمين، أو أعضاء النوادي والجمعيات التى تصدرها، وبعضها ينتظم فى الصدور لفترة طويلة، بينما يصدر الآخر بشكل مؤقت كالنشرات التى تصدر فى المهرجانات السينمائية أو التأسيسات الخاصة. ويسبب الجمهور الذى تتوجه إليه، فإن هذه النشرات تنحى إلى العمق والتخصص. وقد لعبت دوراً هاماً فى شحذ حاسة تلوّن الفن السينمائي لدى الجمهور، وفى خلق تيار من النقاد الجدد، أرتفع مستوى النقد السينمائي وبرز بينه وبين الدعاية القليلة. أو الانتباهات العابرة. والكتاب هو الثاني من سلسلة ملفات السينما التى تصدر بإشراف الدكتور مذكور ثابت.

- الكتاب: أزمة الليبرالية المعاصرة.
□ المؤلف: سيد ياسين
□ الناشر: جمعية النداء الجديد/
ندوات النداء الجديد، القاهرة ١٩٩٦

□ ٥٢ صفحة / قطع كبير/ توزيع على الأعضاء والمهتمين.
«ندوات النداء الجديد» هى الإصدار الثالث لجمعية النداء الجديد -«النداء»- للليبرالية المصريين المعاصرين -بعد «رسائل النداء الجديد»- وقد صدر منها حتى الآن ٢٧ رسالة تتضمن كل واحدة دراسة موجزة فى إحدى قضايا الفكر السياسى والاجتماعى، ونشرة النداء الجديد الشهرية، التى صدر منها فى الأخرى ما يقر من ٣٠ عدداً. تتناول بالتعليق القضايا المطروحة فى زمن صدورها.

وأتى الإصدار الثالث «ندوات النداء الجديد» ليسجل المعاضرات والندوات التى تقيمها الجمعية فى مقرها، وما يدور فيها من مناقشات، ويحفظها بذلك من التبدد، ويتيح لمن لم يشهدها الفرصة للاطلاع بما دار فيها.

وقد تناول الأستاذ سيد ياسين فيمحاضراته خمس نقاط فاستعرض الليبرالية المصرية قبل عام ١٩٥٢، ثم احتجاج النظام الليبرالى فى عهد ثورة يوليو ١٩٥٢، ثم إعادة تأسيس الفكر الليبرالى على المستوى العالمى، وإعادة تأسيسه على المستوى المصرى فى جمعية النداء الجديد، وأخيراً تحدث عن الليبرالية فى عصر الكرنية. وتبع ذلك مناقشة موسعة اشترك فيها عدد كبير من اساتذة الجامعات والصفيين ورجال الأعمال..



الخشية من الثورة

كلينتون كما بدا في ختام حملته الانتخابية

تحليل لدلالات الأرقام والحقائق في الانتخابات الأمريكية

رسالة واشنطنون

سمير كرم

«واشنطن بوست» و «لوس المجلوس تايمز» -حصل أيضا على مبايعة «وول ستريت جورنال» أكبر الصحف تعبيرا عن التأييد للرأي في قطاع رجال الأعمال والمؤسسات الاقتصادية.. والأهم في سوق الأوراق المالية.

ولأن «مبايعة» هذه الصحيفة بالذات تحمل هذه الدلالة على أن رجال الأعمال ومؤسستهم يريدون أن يبقى الرئيس كلينتون أربع سنوات أخرى في البيت الأبيض، وهي دلالة لا تكون مباشرة وواضحة إلى هذا الحد حين تأتي المبايعة من أى صحيفة أخرى، فإن وول ستريت جورنال حرصت على أن لا تنشر المقال الافتتاحي الذي أعلنت فيه مبايعتها للرئيس كلينتون إلا في يوم 4 نوفمبر، أى في اليوم السابق مباشرة على يوم الانتخابات. وهذا أمر منطقي ومتوقع، وإن كان قد جاء معاكسا تماما لما فعلته «نيويورك تايمز» -التي لا تقل تعبيرا عن مصالح قطاع الأعمال- حين نشرت مبايعتها لكلينتون قبل موعد الانتخابات بأسبوعين.

قليلة موعدا انتخابات الرئاسة الأمريكية -لاعلان مبايعتها لهذا المرشح أو ذلك. ولا يبدو أن أحدا يعلق أهمية كبيرة على مبايعة صحيفة ما لمرشح ما للرئاسة. فهي لا تعد بأى حال عاملا مؤثرا على نتائج الانتخابات.. شأنها في ذلك شأن عمليات استطلاع الرأي بين الناخبين التي تتوالى طوال فترة الحملة الانتخابية.

في انتخابات الشهر الماضي حصل الرئيس بيل كلينتون على مبايعة كافة الصحف الأمريكية الكبرى ذات الوزن السياسي الثقيل - بما فيها «نيويورك تايمز» و

* بعد اتفاق ٢٠٠٠ مليون دولار على الحملة الانتخابية.. أدنى نسبة للأقبال على التصويت منذ عام ١٩٦١.. وكلينتون انتخب بنسبة من أصوات الناخبين هي الأدنى منذ عام ١٨٧٤.

* هل نجح الاتحاد العام للعامل في التأثير على النتائج.. أم أنه الحاسر الأكبر في أول تجربة للانفاق على حملة ضد اليمين في انتخابات عامة؟

* النمط الواضح الوحيد في التصويت: أصحاب الدخول الأدنى صوتوا لكلينتون.. والأعلى لدول.

* صحيفة حزب العمال الشيوعية: انتهت أغلى انتخابات في التاريخ البشري وحصلت الرسائل الأمريكية على ما دفعتم ثمنه.

* معارك ما بعد النتائج بين البيت الأبيض والكونجرس تنذر بهزات سياسية مخيفة خلال الفترة المقبلة.

وفقا لتقليد قديم سائد منذ بدايات القرن الماضي تخصص معظم الصحف الأمريكية اليومية مقالها الافتتاحي حتى يوم يسبق بأيام

الأمر الذي يمكن تفسيره في ضوء ما ساد كل المحافل السياسية والاقتصادية ونتائج استطلاعات الرأي طوال الأشهر الستة الأخيرة من الحملة الانتخابية من تأكيدات متوالية بأن الفوز سيكون من نصيب كلينتون وأن فرصة حدوث مفاجأة يتقدم فيها منافسه الجمهوري روبرت دول .. وهو ما يزيل شبهة محاولة من جانب نيكوبورك تأييد التأثير على قرار الناخبين.

لكن مباحة صحيفة «وول ستريت» لكلينتون قبل يوم واحد من يوم الانتخابات أنطوت على ما يشبه اللغز. ففي مقالها الانتخابي - وكان طويلا امتد على عتريدين بطول الصفحة - رصدت الصحيفة الصلابة والتواريخ وبدقة كل التحولات والتغيرات التي طرأت على تركيبة إدارة كلينتون منذ تسلمه الرئاسة في ٢٠ يناير ١٩٩٣ تحت تأثير تحقيقات متوالية تتعلق بتصرفات قديمة له وللسياسة الأولى هيلاري كلينتون أو أفراد «الدائرة الضيقة» المحيطة بهما، أو تصرفات جديدة وقعت بعد أن أصبح كلينتون رجل البيت الأبيض.. ما أدى إلى فتح ملفات وإجراء تحقيقات له عدد في قضايا بعضها «أخلاقي» وبعضها «مالي» وبعضها «عائلي».

هكذا بدا من هذا المقال الانتخابي وكأنه يقول: أربع سنوات أخرى من هذا القبيل. ولهذا بدأ أن صحيفة «وول ستريت» تتابع وتحذر في وقت واحد.

فلماذا لم تتابع «وول ستريت» المرشح الجمهوري دول بدلا من أن تتابع كلينتون بكشف حساب طويل «لفضائح البيت الأبيض» خلال سنواته الأربع الأولى.

لم تحاول صحيفة المال والأعمال الأمريكية تقديم إجابة عن هذا السؤال. أبت اللغز كما هو.

غير أن الصفحة الأولى فيها في اليوم نفسه الذي نشرت فيه هذه الانتخابية تحتوي على حل لهذا اللغز. أغلب الظن أن الصحيفة لم تقصده. وإذا كانت قد قصدها فلنصعب تصور حدوث زلزال في أذهان الأمريكيين بين ما قالته في مقالها الانتخابي القابع على صفحة الكرى (ص ٢٢) وما قالته في تحقيق أطول كثيرا عن الانتخابات التي ستجري غدا لكي يختار الأمريكيون واحدا من بين اثنين (كلينتون ودول) ليكون آخر رئيس لهم في القرن العشرين وأول رئيس في القرن الحادي والعشرين.

أما ما قالته «وول ستريت

جورنال» في ذلك التحقيق.. وهنا مفاجأة كبيرة: هو أن هناك «خشية» من الثورة وراء اختيار أميركا بين هذين المرشحين.. اللذين هما نتاج النظام السياسي، وقد سبق اختيارهما فيه وأظهرا قدرتهما على الاستمرار. كل منهما نشأ في بلدة صغيرة في ولاية يتركز شعورها على ذاتها. استخفم القانون منصة للقفز إلى حياة في المعترك السياسي.. وكل منها (على الرغم من الفارق في العمر بينهما) رشح نفسه للمناصب العامة ٢٨ مرة.. أي أن البلد (أمريكا) مستفتر بين مرشحين سياسيين محترفين.

قالت أيضا إن حالة الاقتصاد جيدة والمزاج العام السائد جيد.. ولهذا فإن الناخبين يبدون مرتاحين، لكن لا يمكن الزعم بأنهم سعداء إلى حد مشير للاختيار بين هذين الرجلين.

لكن استخدام عبارة «هناك خشية من الثورة» هو الذي يلتفت النظر له بفجر مفاجأة.. بقدر ما يشير تساؤلات بشأن ما تعنيه صحيفة رجال الأعمال.

عن أي ثورة نتحدث؟ غير واضح. من الذي يخشى الثورة؟ سؤال تتركه الصحيفة أيضا بلا جواب، سوى أن السياق يوحي بأن صحيفة «وول ستريت» تقول في الحقيقة أنه فيما يتجاوز الاختيار بين كلينتون ودول تكمن احتمالات الثورة.. وأنه لا بد أن يخشى الأمريكيون من هذه الاحتمالات، ولكي لا ينهب بنا الخيال بعيدا فإنه ليس من المتصور أن «وول ستريت» تروج للخشية من ثورة عامة جماهيرية على غرار أي من الثورات التاريخية المعروفة. أما الخروج من دائرة الاختيار بين هذين المرشحين، أي الخروج من دائرة النظام السياسي السائد على أي نحو، حتى ولو كان باختيار مرشح مستقل أو مرشح غريب ثالث (وقد كان هناك رسميا ١٢ مرشحاً للرئاسة على قائمة الانتخاب) هو «ثورة» ويمكن ذلك تقدير صحيفة المال والأعمال الأمريكية - أن تحدث من الهزات والقلقل ما تحدث ثورة - وقد كانت فيها الأمريكيون إلى شوارع المدن مطالبين بالتغيير.

مع ذلك فإن هذه الإشارة إلى وجود «خشية من الثورة» تشكل تشخيصا صريحا بل وجريئا. لوضع بشعر الأمريكيون فيه - بأغلبية تفوق تلك

التي انتخبت بيل كلينتون لفترة رئاسة ثانية يوم ٥ نوفمبر الماضي - بأنه لا خيار حقيقيا لهم في ظل الوضع الراهن.. في ظل «النظام السياسي» بالصورة التي وصل إليها.

وإذا كان قد تردد آلاف المرات - قبل قرص كلينتون ويعد - أنه أول رئيس من الحزب الديمقراطي ينتخب لفترة رئاسة ثانية منذ نحو ٦٠ عاما، وكان الأخير قبله هو الرئيس تهودور روزفلت.. إلا أن ما هو أهم كثيرا من هذا أن عدد الناخبين الذين توجهوا إلى صناديق الاقتراع يوم ٥ نوفمبر شكل أدنى نسبة منذ ٧٧ عاما.. حتى أن «هفته دراسة الناخبين الأمريكيين» (وهي جمعية أهلية) أصفرت. تقريراً يوم ١٤ نوفمبر (بعد ٩ أيام) من الانتخابات: أظهر أن ٤٩ بالمائة فقط من الناخبين المسجلين أدلوا بملأ بأصواتهم، مقابل ٥٥ بالمائة في انتخابات الرئاسة الماضية عام ١٩٩٢. وكانت أعلى نسبة في انتخابات الرئاسة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تلك التي سجلت في انتخابات عام ١٩٦٠ التي فاز فيها جون كينيدي على ريتشارد نيكسون، حيث كانت نسبة الذين أدلوا بأصواتهم إلى أولئك المسجلين في قوائم الناخبين ٦٣ بالمائة.

بل أن تقرير اللجنة المذكورة يكشف عن أن الرئيس الفائز بأربع سنوات أخرى في البيت الأبيض قد حصل على نسبة ٢٣.٨ بالمائة من أصوات الناخبين المسجلين، وهي أدنى نسبة في تاريخ انتخابات الرئاسة منذ انتخاب الرئيس كوينسي أدامز في عام ١٨٢٤.. أي منذ ١٧٢ عاما (..).

ولاحظ التقرير - ضمن تفصيلات عديدة تعرض لها - أن نسبة الأمريكيين الذين أدلوا بأصواتهم في انتخابات الشهر الماضي كانت أدنى منها في انتخابات عام ١٩٩٢ في كافة الولايات الأمريكية الحسنة بلا استثناء، حتى أن نسبهم انخفضت في بعض الولايات بأكثر من ٣٨ بالمائة، إذ كانت ٦٦ بالمائة في عام ١٩٩٢. و هيبت إلى ٢٨ بالمائة فقط في انتخابات ١٩٩٦ (أرقام ولاية أوريغون).

ويشد على مربوط حماس الناخبين للأدلاء بأصواتهم في انتخابات الرئاسة إلى حد أن

(٤٣' بالمائة من أصوات الرجال). أما دول فقد حصل على نسبة ٣٨ بالمائة من أصوات النساء (٤٤' بالمائة من أصوات الرجال).

لكن نظرة سريعة إلى طريقة تصويت الناخبين تكشف عن أن أصواتهم ذهبت دائما إلى المرشح الذي فاز بالتراسة ديمقراطية أو جمهوريا. بل تكشف عن أن بعض المرشحين المحافظين الذين لا يمكن اعتبارهم من أنصار قضايا المرأة حصلوا في انتخابات سابقة على نسب أعلى من تلك التي حصل عليها كلتيون هذا العام من أصوات النساء. وعلى سبيل المثال فإن ريتشارد نيكسون حصل على نسبة ٦١- بالمائة من أصوات النساء في انتخابات ١٩٧٢. كما أن رونالد ريغان حصل على نسبة ٥٦ بالمائة من أصواتهن في انتخابات عام ١٩٨٤، وهي نسب أعلى كثيرا مما حصل عليه كلتيون في انتخابات هذا العام على الرغم من أنه يعد أكثر الرؤساء الأمريكيين- في هذا القرن- تأييدا لقضايا المرأة (وبالأخص في معركة الإبقاء على شرعية الاجهاض في وجه معارضة شرسة من السيارات المحافظة). وبينما ساد الرأي القائل بأن أصوات النساء هي التي رجحت فوز كلتيون فإن الآراء اختلفت بين المحللين السياسيين حول

نسبة من ذهبوا فعلا إلى صناديق الاقتراع اكتفوا باختيار مرشحهم المفضل للكونغرس، ولم يأهروا بتحديد اختيارهم للمرشح للتراسة على البساطة الانتخابية ذاتها.

ولابد من تأمل هذه الأرقام في شبروع حقيقتين: أولاها أنه حدث زيادة بمقدار ٧ ملايين صوت في أعداد الناخبين المسجلين على قوائم الانتخاب هذا العام، وأنه حدث زيادة قياسية في قيمة الأموال التي أنفقت على الحملة الانتخابية. واستكمالا للصورة الرقمية لعملية الانتخاب- التي تعد في النظام الأمريكي «أعلى أشكال الممارسة الديمقراطية» وأعلى أشكال المشاركة في السلطة- تبين أن هناك مجموعة من التناقضات المثيرة للدهشة بين النتائج ومقراراتها مع نتائج الانتخابات السابقة.

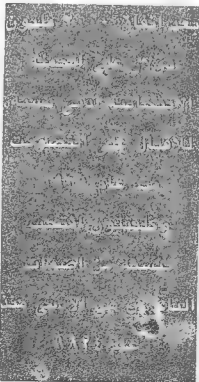
وأكثر هذه التناقضات يكمن في التفاوت الكبير بين ما حصل عليه المرشحان للتراسة من الأصوات الشعبية. أي أصوات الناخبين المباشرة- وأصوات أعضاء الجمع الانتخابي- وهم الذين يملكون القدر الفصل بشأن تحديد من الفائز بالتراسة.

فقد حصل كلتيون على ٣٧٩ من أصوات أعضاء «الجمع الانتخابي» وعلى ٤٩ بالمائة من الأصوات الشعبية للناخبين الذين أدلوا فعلا بأصواتهم. أما المرشح الجمهوري دول فقد حصل على ١٥٩ صوتا من «الجمع الانتخابي» مع أن نسبة الأصوات الشعبية التي حصل عليها كانت ٤١ بالمائة. ويرجع هذا التفاوت إلى أن الدستور الأمريكي يقضي بأن من يفوز بأغلبية الأصوات في ولاية ما- حتى ولو بفارق صوت واحد- يحصل على كل الأصوات التي تحتل هذه الولاية في «الجمع الانتخابي». والأصوات التي تمثلها الولايات في «الجمع الانتخابي» تختلف باختلاف تعدادها السكاني، وعلى سبيل المثال فإن لولاية كاليفورنيا الأكبر من حيث تعداد السكان بين الولايات المتحدة- ٥٤ صوتا في الجمع الانتخابي، أما ولاية أوريجون- مثلا- فلها ثلاثة أصوات فقط فيه.

من ناحية أخرى فإن أقرب التفسيرات لفوز كلتيون بالتراسة ومن الناحية الاحصائية- كان التفسير القائل بأنه فاز بفضل أصوات النساء. إذن أنه حصل على نسبة ٥٤ بالمائة من أصوات النساء.

دلالة تصويت الناخبين المنتخبين إلى نقابات عمالية.. ومع أن هؤلاء صوتوا بنسبة ٥٩ بالمائة لكلينتون و٣٠ بالمائة لمنافسه دول. إلا أن غالبية المحللين أرت اغفال تأثير هذه «الفة» من الناخبين على النتيجة، والالتصام أكثر من هذا بضعف تأثير أصوات الناخبين النقابات العمالية على نتائج انتخابات الكونغرس. بل أن بعض المحللين كتب أن تأثير الأصوات العمالية قد غاب في هذه الانتخابات. وخرجت: «دول سيهوت جورنال» عن أوتانها لتقول إن المحاسن الأكبر في الانتخابات توفهم لم يكن روبرت دول بل جون سوني رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال الأمريكية الذي وقف وراء قرار الاتحاد بانفاق ٣٧ مليون دولار في الحملة الانتخابية وكان هدفه إسقاط دول وحرمان الجمهوريين من السيطرة على مجلس الكونغرس.

وعندما هلت صحيفة «واشنطن تايمز» ذات الاتجاه اليميني المحافظ لنجاح الجمهوريين في الاحتفاظ بأغليبتهم في مجلس الشيوخ والنواب واعتبرته بمثابة «صفعة» من الناخبين الأمريكيين لنقابات العمال روا على جملة الاتحاد العام الاعلانية ضد المرشحين الجمهوريين. وقد استغفرت طريقة اليمين الأمريكي في مهاجمة دور اتحاد العمال في الحملة الانتخابية حتى المحللين الليبراليين. وعلى سبيل المثال فإن الكاتب الليبرالي أ.ي. جي. ديون كتب مقالات صحيفة «واشنطن بوست» (١٢ / ١١ / ٩٦) قال فيه: «إذا أردت أن تسمع صوت انفجار نووي من الجمهوريين فما عليك إلا أن تنطق بكلمة «نقابات». والجمهوريون في حالة غضب عارم بسبب جهود قطاع العمال لإزاحتهم عن الأغلبية في الكونغرس. ويؤازر تعبير «النقابات العمالية الكبرى» عندهم تعبير «اليمين الديني المتطرف عند الديمقراطيين». ومع أن ديون يسلم بأن هناك بعض الضمة في القول بأن نقابات العمال قد أخفقت في حملتها لحرمان الجمهوريين اليمينيين من الأغلبية في الكونغرس إلا أنه يحذر من أن هؤلاء- وخاصة- زعيمهم نيوت بينجيتش (الذي احتفظ بمرکز كبرييس لمجلس النواب- يخون شن هجوم شرس على العمال ونقاباتهم واتحادهم. وأنه لا ينتظر



من الكونجرس ذي الأغلبية الجمهورية أن يوافق خلال السنتين القادمتين (حتى موعد انتخابات الكونجرس التالية في عام ١٩٩٨) على أي تشريع أو مشروع من شأنه مساعدة العمال، بل أنه سيختار حينما استطاع - أن يلحق الأذى بهم. والحقيقة أن نتائج الانتخابات الأمريكية الأخيرة لا تدل أبداً على أن الاتحاد العام للعمال قد فشل تماماً في دوره في الحملة الانتخابية. وقد ذكر ستيف روزنتال المدير السياسي للاتحاد أن حملة الاتحاد ركزت هجومها على ٤٥ من أعضاء الكونجرس الأكثر ميضية.. وتكشفت من إسقاط ١٩ منهم. وإذا لاحظنا أن القاعدة أن ٩٠ بالمائة من أعضاء الكونجرس الذين يعيدون ترشيح أنفسهم لفترة أخرى يفوزون فإن اتحاد العمال يكون قد حقق إنجازاً كبيراً حين تمكن من إسقاط ١٩ من ٤٥، أن هذا العدد يثبت أن الاتحاد حقق نسبة جيدة جداً.

في الوقت نفسه فقد أظهرت النتائج أن نسبة الذين أدلوا بأصواتهم من أفراد عائلات ينتمى رب الأسرة فيها إلى نقابة عمالية قد ارتفعت في وقت انحدرت فيه نسبة الذين أدلوا بأصواتهم من «الغناوة» الأخرى من الناخبين.

لكن الأمر الأجدد بالملاحظة هنا، أنه بينما صرخ الميمين الجمهوري بأعلى صوت مندداً بما يصفه بأنه «محاولة الاتحاد العمال شراء الكونجرس» (بالانفاق على حملة ضد الميمين الجمهوري) فإن أحداً

لم يوجه هذا الاتهام نفسه إلى قطاع الأعمال والمؤسسات الكبرى التي أنفقت على مرشحين بعينهم في هذه الانتخابات مبالغ تفوق عشرات المرات المبلغ الذي يعتمد عليه الاتحاد العمال في محاولة لحماية مصالح الطبقة العاملة من أن تقع ضحية الأغلبية الجماعية مرة أخرى. ويعرف الجميع أنه ليس مقدور العمال الأمريكيين، ومهما كانت ذريعة حماس الاتحاد في عهده الجديد للعب دور سياسي تقدمي، ومؤثر، أن يوفروا من الأموال ما يمكنهم من منافسة الشركات الكبرى والبنوك ورؤساء المال الكبير. يشكل عام في قدرته على التأثير على نتائج الانتخابات، بل شرائها وشراء من يسهم في فوزهم وشراء مواقفهم وأصواتهم داخل الكونجرس.

لهذا يقول الكاتب الليبرالي ديون: الآن وقد دارت نقابات العمال ثقل مصالح أعضائها بنفاق الأموال فإنها قد تكشف أنها يمكن أن تحقق لهم ما هو أكثر بالمد من دور النقود. فإن الاتحادات لن تقدر أبداً على مجاراة الأفراد الأثرياء وجماعات المصالح فيما تستطيع أن تسكبه من أموال في هذا الصراع».

وأي كان الموقف الذي سيتخذه العمال الأمريكيون - من خلال اتحادهم أو من خلال أية تنظيمات سياسية أو جماهيرية - حول طريقة وأساليب خوضهم المعركة والمعارك الانتخابية التالية، فإن الشيء الوحيد المؤكد هو أنهم عازمون على أن لا يدعوا التقري المضادة

لصالحهم تحججه دورهم كما فعلت في الماضي، وإذا كان أي. جي. ديون محققاً في القول بأن نقابات العمال قد تحيد أن من الأجدى لحد من دور النقود، فإن من المؤكد أنها ستستعي إلى الحد من دور النقود التي تخرج إلى المحلات الانتخابية من خزان «رأس المال الكبير» وليس فقط الحد من دور النقود التي تحاول الاسهام بها هذه النقابات نفسها.

لقد فتحت مشاركة الاتحاد العام للعمال في الحملة الانتخابية هذا العام باباً يصعب إغلاقه بوجهها مرة أخرى، وهو باب المشاركة السياسية، وليس باب المشاركة المالية. ولو أننا عدنا إلى أرقام النتائج التي أسفرت عنها الانتخابات لفتينا - بالإضافة إلى كل ما سبق - أن أوضاع أرقام التصويت كانت تلك المتعلقة بالمستوى المالي للناخبين، في حين أن أرقام الأخرى اعترافاً بالتناقض أو التفاوت. وأحياناً غياب النمط الكلية.

أظهرت النتائج أنه ابتداءً من الناخبين في أدنى سلم الدخل المالية (وهو أقل من ١٥ ألف دولار سنوياً) حتى أعلى شريحة فيه (فوق ١٠٠ ألف دولار سنوياً) كانت النسبة الأكبر من نصيب كليبتون وظلت تهيض النسبة التي حصل عليها حتى بلغت أدناها في حالة أعلى مستويات الدخل.

ولنوضح المقصود أكثر فإن ٥٩ بالمائة من ذوي الدخل الأدنى من الناخبين (أقل من ١٥ ألف دولار سنوياً) صوتوا لصالح كليبتون، بينما صوتت نسبة ٢٨ بالمائة فقط منهم لصالح دول. ومنتقل إلى الفئة التالية، وهم الذين تتراوح دخولهم السنوية بين ١٥ ألفاً و ٢٩ ألف دولار فنجد أن نسبة الذين صوتوا لصالح كليبتون بلغت ٥٣ بالمائة (٣٦ بالمائة لدول). ثم تهيض النسبة مرة أخرى إلى ٤٨ بالمائة بين أصحاب الدخل التي تتراوح بين ٣٠ ألف دولار و ٤٩ ألف دولار، وتهيض أيضاً إلى ٤٤ بالمائة بين أصحاب الدخل التي تتجاوز ٥٠ ألف دولار، وإلى ٤٦ بالمائة بين أصحاب الدخل التي تتجاوز ٢٥ ألف دولار، ثم إلى ٢٨ بالمائة بين أصحاب الدخل التي تتجاوز ١٠٠ ألف دولار. (ونطبيعة الحال فإن هذا الهبوط التدريجي والتضييق في نسبة الذين صوتوا لكليبتون مع الصنوة في مستوى دخلهم، واقعاً صعود تدريجي وتطويع أيضاً في نسبة الذين صوتوا لدول لندج أن أصحاب الدخل العليا التي تتجاوز ١٠٠



دول يحطس خلال مهرجان انتحامي وإلى جانبه زوجته

ألف دولار صوتوا لصالح دول بنسبة ٥٤ بالمائة.

وإذا كان مفهوماً أن كليتون -على الرغم من كل تراجعاته وتنازلاته التي أخذته بعيداً عن المواقف التقليدية للحزب الديمقراطي- يبقى مرشح الطبقات الفقيرة، وأن المناصب الجمهوري دول يبقى مرشح الطبقات الغنية.. فإن أوضاع دلائل الأرقام في الانتخابات الأخيرة تشير إلى أن الفقراء لعبوا دوراً لا يمكن إنكاره في نجاح كليتون. وبين هؤلاء العمال النقابيون .. وطبعا غير النقابيين (...).

وقد قيل الكثير - أكثر مما قيل عن أي جانب آخر من جوانب نتائج الانتخابات الأمريكية - عن مغزي فوز كليتون الديمقراطي بأربع سنوات أخرى في الرئاسة، وفوز الجمهوريين مرة أخرى، بأغلبية مقاعد مجلس الكونجرس.

قبل أن الناخبين الأمريكيين أصبحوا يميلون إلى تقسيم السلطة بين الحزبين، حتى لا ينفرد أحدهما، كما حدث كثيراً من قبل، بالسلطين التنفيذية والتشريعية، بمعنى أن الشعب الأمريكي يريد أن يجعل كلا من الحزبين رقيباً على الآخر.

قبل أن الناخبين بهذه النتيجة المزدوجة والمتناقضة. كانوا كليتون على نجاح سياسته الاقتصادية. لكنهم عابوه على اخفائه الأخلاقية والإدارية المتطلة في قذمة طويلة من الفضائل.

قبل أن الناخبين الأمريكيين أصبحوا في معركة مزاجية ساخنة، ولهذا أفرزوا نتائج تبتلي كليتون في البيت الأبيض تحت رحمة أغلبية جمهورية عازمة على أن تواصل التحقيقات السياسية والأخلاقية والمجانبية معه. وربما يصل الأمر إلى حد محاكمته، أو محاكمة زوجته، أو إجباره على ترك البيت الأبيض قبل نهاية فترة الرئاسة الثانية التي فاز فيها. حتى أوضح فإن الرأي العام الأمريكي - حسب هذا الرأي - يبحث عن الاثارة. يريد أن يتتبع مسلسل درامياً مشوا في مسرح الواقع السياسي ربما لا يقل إثارة عن محاكمة النجم الرياضي، والتلفزيوني السابق، أوجي، سيمسون.

وقبل أيضاً أنه لا شيء مقصود من وراء هذه النتائج. إنها عشوائية العملية الانتخابية وغياب الثقة عامة بالمؤسسات، فضلاً عن تراجع أهمية الدور السياسي للحزبين، حيث أصبح الناخب الأمريكي يصوت لأشخاص فرد غير عابيين باسماته الخريب، ينطبق هذا على أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب. ولعل هذا التفسير الأخير أقرب إلى الواقعية، إذ أن من الأمور التي تدحض

القول بأن الناخبين الأمريكيين قصروا إلى تقسيم «الغنية» (وهي في هذه الحالة السلطة) بين رئيس ديمقراطي وكونجرس جمهوري، ما كشفته الإحصاءات. من أن نسبة ٨٤ بالمائة من الناخبين الذين أعطوا أصواتهم لكليتون قد صوتوا أيضاً لمرشحين ديمقراطيين في دوائرهم الانتخابية.

لقد احتفظ المال بدوره في الانتخابات. في انتخابات الرئاسة ولكن بالأخص في انتخابات الكونجرس... وخرج منها الفائز الأكبر لا يختلف الأمر هذه السنة عن سنة ٩٤ عندما استولى الجمهوريون على أغلبية مقاعد مجلس النواب والشيخ (الأول منذ ١٤ عاماً) كما لا يختلف عن سنة ٩٢ عندما فاز كليتون وأصبح بذلك أول رئيس ديمقراطي يدخل البيت الأبيض منذ انتخابات عام ٧٦ (التي فاز فيها كارتر).. أو عن أي انتخابات سابقة.

لقد أعلن «مركز سياسات الاستجابة» - وهو مركز أعلى آخر يرصد العملية الانتخابية والأنشطة السياسية للحزبين الكبيرين والإدارات الأمريكية الفعلية والكونجرس - أن مبلغاً يصل إلى نحو مليار دولار قد أنفق على انتخابات هذا العام (أي سبعة أمثال المبلغ الذي أنفقه الاتحاد العام للعمال) وهو أعلى رقم بالقرعة للانتخابات السابقة في أي سنة. ما يؤكد صحة ما قالته صحيفة «ووركرز وورد» (عالم العمال) الشيوعية الأمريكية (١٤/١١) «ولقد انتهت أغلى انتخابات في التاريخ البشري، وحصلت الطبقة الرأسمالية الأمريكية على ما دفعت فسيحة. لقد تأمر بيل كليتون وروب دول للعب كل القضايا التي تهم العمال والفقراء. لهذا فالانتخابات لم تسفر عن شيء لهم.. أن تدنى أعداد الناخبين المشاركين في التصويت يعني عادة - أن عدداً أقل من العمال الفقراء عامة ذهب إلى صناديق الاقتراع. الأمر الذي دفع لانتخابات نحو اليمين. إن أولئك الذين هم أكثر سخفاً إزاء الأمر الواقع لم يروا حلاً لشكلهم في هذه الانتخابات.. لقد أدرك كثيرون اتعالم الحيار. لهذا فإن نحو ١٠٠ مليون أمريكي من الناخبين المسجلين امتنعوا عن التصويت. وهذا عدد يفوق الذين صوتوا، والذي بلغ ٩٦ مليوناً.. إن حكم الديمقراطي والجمهوريين هذا مصمم لتنفيذ برنامج ضد الطبقة العاملة ويكشف عن تحالف كلا الحزبين مع الأغنياء.. ولهذا فإنه يتحيز قسرة لاتتراجع الحركة العمالية من الديمقراطيين ووضعها على الطريق نحو صراع مستقل».

وفي تحليل ثاقب كتب الحلق السياسي الشيوعي شيلبي إيتنجر «إن قبضة اليمين» وهي قبضة الرأسمالية الحاكمة - محكمة على الصلبة الانتخابية. وعلى الرغم من أن هناك علامات على وجود مقاومة ضد الاجتياح الرجعي، إلا أنه باستثناء جالات قليلة ناد السيسيين الأمريكيين يتراوحون بين اليمين واليمين المتطرف».

والآن ماذا؟ ماذا بعد النتائج ومؤثراتها ودلائلها؟.

السؤال - بين من لا تشغلهم قضايا الناس العاديين بشأن نفقات المعيشة ونفقات الرعاية الصحية ونفقات تعليم الأبناء ونفقات الاسكان .. الخ - هو عن شكل العلاقات بين جناحي السلطة بين البيت الأبيض (كليتون) والكونجرس (بزعامة الجمهوريين). هل تقوم هدنة بين الطرفين باعتبار أن نتيجة الانتخابات - كما

قال كليتون - توجه رسالة من الشعب الأمريكي إلى الديمقراطيين والجمهوريين بأن عليهم أن يتعاونوا. لا أن يتصارعوا... أم أن الجمهوريين سيصرفون على أساس أن نتائج الانتخابات - كما قال أحد معلميهم الاذاعيين - تعني أن الأمريكيين يقولون «لقد أعادنا الحكم بيل كليتون حتى نستطيعوا مواصلة التحقيقات وكشف ما جرى خلال السنوات الأربع الأولى من رئاسته».

المواطن الأمريكي العادي يمتنع - وهو لا يملك إلا أن يمتنع - أن تقوم هدنة تعاون لا مجابهة بين البيت الأبيض والكونجرس خلال الفترة القادمة، لأنه يعرف أنه الخاسر الأكبر من اضاعة الجهد والوقت والمال في معارك الفضائل.

لكن الدلائل تشير إلى أن أمريكا معرضة خلال الفترة التالية لهزات عنيفة ربما كان معها أحد القادة الجمهوريين في مجلس الشيوخ حين وصفها بأنها «سكوتون أحداث فضيحة ووتر جيت (في السبعينيات) بالنسبة إليها مجرد توه».

وربما كانت محقة - بعد كل شيء - ورغم كل شيء - صحيفة «وول ستريت» في قولها القامض أن أمريكا أقدمت على انتخابات ٥ نوفمبر بشعور الخشية من الثورة. أي الاختيار بين مرشحين يجمع بينهما الرغبة في تجنب الثورة.

لكن لا يمكن اعتبار نتائج الانتخابات الأخيرة كحيلة تجنب الثورة.. حتى ولو في وأهدأ أشكالها. وهو البحث عن طريقة لإنهاء الحكم الجمهوري - الديمقراطي؟.



سبتمبر الأسود..

الذي لم يقع

جسدته صورة مارك بونديبل سكرتير القوى العاملة وهو يد يده ليصافح لوي فائيه سكرتير الكونفدرالية العامة واعتبرتها وسائل الاعلام سابقة لم تحدث منذ ١٩٤٧- كان قصير العمر للغاية. قمع مرور الوقت ، عادت العلاقة ولسابق عهدها.

قمن البداية ، تموزت «الكونفدرالية الفرنسية» بتأييدها لأهم ما جاء في مشروع الحكومة وهو الجزء الخاص بالتأمين الصحي وطوال العام المنصرم ، تلاقت مواقفها مع سياسة الحكومة. وكان من نتيجة ذلك «مكافأة» سكرتيرة الكونفدرالية «نقول نوتا» بانجها في انتزاع رئاسة «الصندوق القوي للعامين الصحي» بما يشكل من أهمية من متابعها «مارك بونديبل» الذي كان سابقا مضرا من البمين. وبذلك لم يعد من الممكن أمام «نوتا» أن تتراجع في الشارع مع أعضاء نقابها للتهاف ضد الحكومة. وعندما حاولت الانضمام إلى مظاهرات أكتوبر الماضي تعرضت لاعتقالات استبدت اجلاها على الفور من المكان تحت هتافات «نوتا وجوبه» مشروع واحد».

والوحدة التي فرضتها تلقائية أحداث العام الفائت على كلا النقيبتين الاخرتين لم تعد ممكنة. وبالتالي ، عجزت مظاهرات ذكرى عام على مشروع الحكومة عن أن ترفع لانتات موحدة يضاف إلى ذلك، تفتيت من نوع آخر بقيام نقابتين جديدتين تقضتا عن أحداث العام المنصرم. الأولى خاصة بالسلك الحديدي «الأخرى بالتعليم وإن لم تتضح

رسالة باريس

جلاء العري

يلامه. ولذلك ربما كانت حركة المواصلات مؤشرا أكثر مصداقية ودلالة. فلا يمكن أن ننسى أن توقف المترو في العاصمة في ديسمبر ١٩٩٥ كان اكتمالا للصورة وإحالة الشلل. أما في ١٥ نوفمبر ١٩٩٦، وكانت نسبة التشغيل في المترو - رغم الاضراب الملحن- تتراوح ما بين ٧٠٪ و ١٠٠٪ على بعض الخطوط. وهكذا، أمضى الباريسيون يوم إضراب هادئ جدا. ومضت الذكرى الأولى لمشروع الحكومة دون أن تشهد فرنسا-ركما تنبا بذلك الكتريون- «سبتمبر أسود» أو «موسمًا سياسيًا جديدا أسود لحكومة جوبيه؟ فماذا حدث لحركة ديسمبر ١٩٩٥؟

التركيبة النقابية

وهي من العوامل الهامة لمحاولة فهم ضعف الحشد الجماهيري الذي ميز ذكرى إعلان الحكومة لمشروعها. فالحركة النقابية في فرنسا تفقد ثلاث نقابات كبرى هي: الكونفدرالية العامة للعمل «السي جي . تي» ، «القوى العاملة» ، «الكونفدرالية الفرنسية الديمقراطية للعمل» والصراع مع الحكومة أبرز باكثر من أي وقت سابق الشقاق بين هذه النقابات الثلاث، وهو شقاق بالأساس في قمة الهرم. والتصالح فيما بينها والذي

في الخامس عشر من شهر نوفمبر ١٩٩٥، وقف رئيس الوزراء الفرنسي الجديد- آلان جوبيه- على منصة الجمعية الوطنية ليقدم مشروعه الخاص بتعديل نظام الضمان الاجتماعي ووقف النواب ليصنفوا لهذه المبادرة «الشجاعة» . ولكن ، سرعان ما اشتعل الشارع لتشهد فرنسا حركة احتجاجات وإضرابات شلت البلاد لمدة شهر كامل، عرفت فيما بعد بحركة ديسمبر

وفي الخامس عشر في شهر نوفمبر ١٩٩٦، أي بعد مرور عام بالتمام والكمال على تقديم خطته. لا زال جوبيه على رأس الوزارة رغم هبوط الخط البياني لشعبيته إلى حد لم تشهد فرنسا في تاريخها على الإطلاق. ولا تغلو مناسبة دون أن يؤكد رئيس الدولة جاك شيراك على تسككه برئيس وزرائه. وفي الشارع ، حاولت النقابات أن تثير ذكرى احتجاج العام الماضي. والحصيلة كانت : وضع مئات بوفي أفضل الأحوال . عدة آلاف لا يمكنها بأية حال من الأحوال أن تقاس بموجة الغضب التي اجتاحت البلاد وشلتها العام الماضي. ففي العاصمة «باريس» ، خرج تلبية لنداء النقابات المختلفة يوم السبت السادس عشر من نوفمبر، ووفقا لتقديرات منظمة المظاهرة ٢٥٠ ألف متظاهر. بينما ذكرت تقارير الشرطة عدد الحصة آلاف فقط. فمن المتعارف أن تعلن سلطات الأمن نحو ربع ما يعلنه منظمو المظاهرات. وتقوم وسائل الاعلام بذكر الرقمين- معًا تاركة بذلك لكل من يرغب أن يختار من بينهما الرقم الذي

حتى الآن مكانتهما على الخريطة النقابية.

تركيبية الطبقة الوسطى

وتشكل الطبقة الوسطى القطاع الأكبر من الشعب الفرنسي وتعدد الدراسات الاقتصادية الاجتماعية، بالثبات التي يتراوح دخلها الشهري ما بين ثمانية آلاف إلى خمسة وعشرين ألف فرنك. وهي تضم بذلك الكوادر والمزارعين وبعض المهنيين . أى أنها تشكل هوية موحدة على مستوى الدخل وعلى مستوى المشكلات التي تواجهها والتي يمكن إجمالها في ثلاث: الضرائب المفروضة عليها، ومشكلة إيجاء السكن الملائم واخيرا مشكلة تعليم الأبناء، ولكنها، وعلى الرغم من هوية المشكلات، والدخل، متعددة الأوضاع المهنية بحكم ضمها لفئات غير متجانسة على الناحية الذي ذكرناه سابقا. وقد ظهر عدم التجانس فيها في قيام كل فئة، بتحديد يوم مختلف للتظاهر والإضراب. فخرج موظفو البنوك يوم الخميس عشر من نوفمبر ومعههم الصحفيون ، بينما تظاهر الأطباء قبل ذلك بشهر- ١٧ أكتوبر، وخرج معهم في ذات اليوم، موظفو الحكومة. وكان من تأثير ذلك إظهار مطالب هذه الطبقة، على أنها مطالب فئوية لا مطالب اجتماعية عامة. وانقسم الرأي العام حولها فيما يشبه اتهام البعض للبعض الآخر بمحاولة الحفاظ على مكتسباته على حساب الآخرين. والجدل كان أشد فيما يتعلق بموظفي الحكومة وما أثاره من انتقادات قطاعات واسعة من الرأي العام خاصة من جانب العاملين بالقطاع الخاص- أى الأكثر تهديدا بالفصل- والمواطنين عن العمل . فقد رأوا في مطالب الموظفين مطالب غير مشروعة تحت مبرره أنه حتى ولو كانت المرتبات ضئيلة، فالموظفون يتمتعون على الأقل بضمانة العمل مدى الحياة.

المكتسبات

ومع ذلك -، فإن حالة الغليان لا تزال قائمة. والشعور العام هو الخوف من المستقبل واليأس من السياسة كما عبر عن ذلك مندوبو النقابات في تعليقاتهم على إعلان الحزب الاشتراكي لبرنامجها البديل لبرنامج الحكومة. وهو ما اضطر أحد قادة الحزب الاشتراكي إلى الرد قائلا: إن التحدي الذي تواجهه هو أن تثبت للجميع أن التغيير السياسي- ويعني بذلك وصول الاشتراكيين للحكم مرة أخرى- هو بالفعل سياسة جديدة.

وشعار "سياسة جديدة" بدأ يثق طريقه داخل الأغلبية ذاتها. فالذين تصدوا لآخر عمليات التخصيص- وهي عملية تخصيص مجمعة بترك CIC- كانوا من الأغلبية الحاكمة وعلى رأسهم رؤساء- رئيس الوزراء السابق وعمدة مدينة ليرن . ونتيجة للحملة التي قادها بار- من داخل الأغلبية، تراجت الحكومة عن تخصيص المجموعة بعد أن كانت قد وافقت على العملية لجنة التخصيص. والجدل لا يزال محتدما بشأن بيع الدولة لشركة- طومسون للألكترونيات -إحدى أهم الشركات الفرنسية في مجال تصنيع أجهزة الاتصالات الحربية- وباعتها الحكومة ببلغ فرنك واحد فقط لا غير، مبررة ذلك بالدين التراكم

على الشركة.

ومشروع "جوية" لتعديل نظام التأمين الاجتماعي. وإن كان قد استطاع انتقاد جوفرو، إلا أن تطبيقه تعرضه عقبات كثيرة ويتم بخطى بهيئة للغاية. المسألة الاجتماعية أصبحت في قلب الجدل على الساحة السياسية، وفي قلب الجدل حول الوحدة الأوروبية. وشعار "السياسة الوحيدة الممكنة" الذي ترفضه الحكومة فيما تستخدمه من إجراءات بات مقارنا للخلاف .. وبذلك يكون غضب ديسمبر ١٩٩٥ قد فتح الطريق أمام سياسات أخرى بدله. وإن كانت حتى الآن متعبرة.



صورة من المظاهرات في باريس في ذكرى الاضراب الأولى

النقابات الفرنسية الرئيسية

* الكونفدرالية العامة للعمل: C.G.T. انشئت عام ١٨٩٥. وشهدت أول انشقاق لها عام ١٩٢١، ثم توحدت عام ١٩٣٦، لينشق عنها فيما بعده القوى العاملة عام ١٩٤٧.

* القوى العاملة F.O. نشأت عن انشقاق عن C.G.T عام ١٩٤٧ وتعد قريبة من قوى اليمين.

الكونفدرالية الديمقراطية للعمل C.F.D.T. يعود انشاؤها الى ١٩١٩ عندما قامت الكونفدرالية الفرنسية للعاملين المسيحيين منبرة عن الاشتراكية المسيحية. وفي عام ١٩٦٤ في محاولة لتخفيف الطابع الديني، أعلنت النقابة تحت اسمها الحالي.



إسرائيلي

يحكم مجلس الأمن الروسي!

اليهود

مضطرون

على

الحكم والأحزاب والمال

والصحافة والاعلام

رسالة موسكو

أحمد الخسي

وصلت بقوة الحركة الصهيونية في روسيا
حداً أن مواطني إسرائيل هو يهودي
يهوديوفاستكي أصبح مساعداً للسكرتير
مجلس الأمن القومي في مجال الشؤون
الاقتصادية، مما أثار جميع الاعتراضات
الشديدة جاتنا من الصراع اليهودي الروسي
التاريخي داخل المجتمع.

وما زالت غالبية الروس ترى أن اليهود
هم سبب كل الكوارث التي لحقت
بروسيا، فمقسم كبير من الشيوعيين
يمشرون أن يهود كانوا حسان
طروادة في هدم الاتحاد السوفيتي
والاشتراكية. أما القوميون الذين
يعتبرون أن الاشتراكية كانت «كارثة» فانهم
لا يجدون إلا اليهود قوة رئيسية وراء
البلاشفة بل ولا يتعمقون في منبيل التذليل
على ذلك عن اتهام ليهين نفسه بأنه
يهودي كما في مقال فالنتين
بروساكوف (١) بصحيفة الهراقد
الروسية. وفي المواقف يصبح اليهود تسبب ما
القوة الفاعلة الأساسية في التحولات وفي
أحداثها. فمرة هم سبب الاشتراكية، ومرة
هم سبب تفويضها.

ومع المبالغة التي تنطوي عليها النظرتان
إلا أنهما تمكسان شأن ذلك الصراع والعلاقة
المققدة مع اليهود الذين يقرر عدهم اليوم
داخل روسيا بحوالي ثلاثة ملايين
ويشكلون عشرة بالمائة من سكان موسكو
أى حوالي مليون وثلاثمائة ألف. ولا يدخل
في ذلك بالطبع تعداد اليهود في أوكرانيا
وبغيرها من الجمهوريات السوفيتية السابقة.

ويعد تركز اليهود عديداً في روسيا
ظاهرة تاريخية فبهتت كان عدهم في
العالم عام ١٨٥٠ أقل بقليل من
خمس ملايين، كان نصف ذلك العدد
متركزاً في روسيا، وبولندا التي
خضعت للإمبراطورية الروسية في
حينها. وفي أواخر القرن ١٩ وفقاً لتعداد
السكان الروسي عام ١٨٩٧ وصل عدهم في
الإمبراطورية وحدها لأكثر من خمسة
ملايين من أصل عشرة ملايين ونصف
المليون في العالم.

ولكن عدد اليهود الذي تضائل فيما بعد
في روسيا لأسباب كثيرة لم يمنهم في أغلب
الفترة من التأثير والوصول للثروة الحكم
والسيطرة على المراكز الاقتصادية وسيطرت
ماركس في مقاله حول المسألة اليهودية يقول
بأن «يادير» إن اليهودي الذي
يطبقونه بالكاد في فيينا يقرر

بسلطته المالية مصير الأباطورية كلها. أما اليهودي الذي قد لا يتمتع بأية حقوق في أسطر دولة من الدول الألمانية فانه يقرر مصير أوروبا. ويعان ماركس على هذا بقوله: إنها ليست ظاهرة نادرة. وفي ٢ أكتوبر عام ١٩٠٢. أوردت مجلة «قوسفود» اليهودية نقلا عن الوزارة القصيرة أنه من أصل ٧٧٥٠ مشروعا صناعيا يملك اليهود ٢٩٣٣ يعمل فيها ٣٦٪ من مجموع الأيدي العاملة التي كانت تنتج ٢٨٪ من إجمالي الانتاج. وعام ١٩١٤ كان ٤٠٪ من مديري البنوك في العاصمة بطرسبرج من اليهود، وكانت معظم مناجم الذهب والبلاتين ملكا لهم. وحتى عام ١٩١٧ كان رأس المال اليهودي يملك في روسيا ٣١٥٪ من مصانع السكر، و٣٠٪ من مصانع النسيج، و٩٣٪ من تجارة الحبوب، و٧٠٪ من تجارة الأخشاب (٢). لكن اليهود تجهيزا تاريخيا للاحتفال في الزراعة والصناعة وكل ما يربطهم بالاستقرار، وحتى عام ١٩١٤ كان غدد العمال اليهود في روسيا شيلا بحيث لم يتجاوز ثلاثة آلاف، لكن ثلثي ذلك العدد من سيطرا أنفسهم عمالا ومزارعين كانوا تجارا. وأدى اشتغال اليهود أساسا بالمصالحات المصرفية والتجارية والربوية إلى مراكمة حالة من العداء الشعبي الروسي لهم، وهو ما دفع ليتين لأن يقول عنهم: «إن اليهود تجار في الأساس» (٣).

ويحلل التاريخ الروسي بانفجارات العداء التي كانت تصل لحد المذابح كتلك التي وقعت في أوديسا عام ١٨٧١، ثم المذابح التي تفشى وبأوها عام ١٨٨١، ثم المذبحة الشهيرة التي وقعت في مدينة كوشيفو عام ١٩٠٣، ثم مدينة لوجانسك عام ١٩٠٦. وقد كتب فيختفاجر اليهودي الأصل في روايته «الدقة» أن: «سبب ملائمة اليهود... رأسا لهم وسندا للمبشرين لهم. وهل ثمة وسيلة أضخم من قتل اليهودي الدائن للتخلص من الدين» (٤). وتضافرت طبيعة الأنشطة اليهودية المالية والتجارية مع ظهور الدعوة الصهيونية في أواخر القرن ١٩ مما أدى لزيد من انزعاج اليهود الثقلاني وتزلمهم للمتمدن لتأنيج حلمهم بالحلم الصهيوني. وانتشرت ظاهرة الجيتو في الأباطورية الروسية.



جورباتشوف

وحتى عام ١٩١٧ كان معتقو الديانة اليهودية في الأباطورية الروسية يخضعون لتقييدات تعين لهم «مناطق استيطان محددة» كما كان محظورا عليهم الإقامة في العواصم والمدن الكبرى في روسيا وأكرانيا. وحل محل ثورة أكتوبر ١٩١٧ اخذت تلك القوانين وكان يمكن لليهود أن يذهبوا في روسيا كما كان ليتين يدعو بالحاج، مؤكدا عام ١٩٠٣ على أن «فكرة القومية اليهودية» تحصل طابعا وجعيا قماما ليس فقط عند أنصارها الثابتين بل وعند الذين يحاولون التوفيق بينها وبين أفكار الاشتراكية الديمقراطية» (٥).

وتوضحا لهذه الفكرة قال في «ملاحظات نقدية حول المسألة القومية»: إن اليهود في العالم المتمدن ليسوا أمة حيث أنهم ذابوا أكثر من غيرهم، وكان يمكن لليهود أن يستمروا في الذوبان الذي رصد ليتين لولا قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ الأمر الذي حول اليهودي إلى صهيوني بعد أن وجدت تطلعاته مركزا لها على أرض الواقع. وبعد أن كانت اليهودية ديانة كالدانيات الأخرى انتقلت إلى لب وجوهر لفكرة سياسية. فشعة فاروق حاسم بين اليهودية قبل ١٩٤٨ وبينها بعد انشاء الدولة الإسرائيلية. وعندما طرحت قضية حزب البوند القومى اليهودي في روسيا كتب بلختافوف عن اليونديين: «أنهم صهاينة يريدون ترسيخ صهيون في الدولة وليس في فلسطين» (٦).

وبعد أن كانت مشكلات العلاقة بين اليهود والروس محصورة في الكراهية لقسمة من السكان ينتجبت الإغتراف في مجالات الكدح وإغراس الأنشطة الربوية والتجارية

والربوية. أضاف تلهوز دولة إسرائيل عاملا آخر مستجدا لتلك المشكلات. الولاء المزدوج لذلك القسم من السكان الذي يحمي في روسيا ويتطلع بقلبه ووفائه لدولة أخرى بعيدة لم يرها قط من قبل. وبعد نسكة ٦٧ تزايدت الهجرة من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل. وكان المواطنون الرئيس البسطاء يتخشون ببساطة أن اليهود خدعهم، ويعتبرون عن ذلك بقولهم «عاشوا معنا كل هذه السنوات، فجأة يتركوننا جماعات لدولة أخرى؟».

وعندما يتأمل الوطنيون الروس الآن تاريخ التحولات الأخيرة في الاتحاد السوفيتي فانهم يسكنون مصادفة - وقد تكون مصادفة بالفعل لأكثر - لكنها مصادفة غريبة. لقد كان مهندس اليهوديستيويكا - أبوها كما يقولون الكسندر ياكفيليف يهوديا، ثم كان مهندس الاسلحات الاقتصادية الأول الذي دمر الاقتصاد الروسي بجهور جابادار يهوديا، ثم كان مهندس أوسع عملية نهب تحت عنوان المحسنة وهو أناتولى تشوباييس يهوديا أيضا.

ويروي ريش المخابرات السوفيتية السابق فلاديمير كرميشكوف الذي شارك في الانقلاب على جورباتشوف في أغسطس ٩١ - بملاحظة أنه رئيس للكي جي بي - قائلا: «لا يرجع انهيار الاتحاد السوفيتي لأسباب موضوعية ولكن نتيجة لعناصر ذاتية. رأى سلوك وحركة أشخاص محددين. وقد كشف شخصان اثنان عند رأس عملية الانهيار جورباتشوف والكسندر ياكفيليف.. الذين بألمان في الاحتفاظ بأمرأهما القفرة.. لماذا كان الاثنان يدعوان لفترة طويلة لشرب بيضا قيرمان في الواقع بتقليد جرعة خيانية شعبها.. وما زالت الأكر في حديث مع القائد السوفيتي السابق يورى اندروپوف قول أحدهم «إن ياكفيليف معاد للسوفيت».. وبدا من عام ١٩٩٠ بدأت المخابرات السوفيتية تتلقى معلومات عن اتصال ياكفيليف بالأمريكيين عندما كان يدرس كمبيوتر سوفييتي في جامعة كولومبيا بأمركا، وعام ١٩٨٩ تلقينا معلومات مؤكدة هذه المرة عن علاقته بالمخابرات الأمريكية.. وعندما أدرك أن الكي جي بي على علم بذلك حاول تصويم الأمر وكأنه كان يسعى يمتلك الاتصالات

وفيتالي سالكين «هناك روسيسكى كريديت»، وميخائيل فرديمان بنك «الفا بنك»

«وفي الحركة السياسية يبرز ثلاثة زعماء هم فلاديمير جيرتوفسكى (الحزب الديمقراطي الليبرالى)، وجريجورى بافلينسكى (كتلة يابلوكو)، ثم رئيس الوزراء السابق ييجور جايدار ونزبه خبار روسيا»

وفي المجال الاعلامى فان أكبر أربع صحف روسية تقع بالكامل تحت سيطرة اليهود إما برؤساء التحرير أو بالتفوز فيها وهي: «سيفودنيا» و«كوميرسانت» و«نيزافيسميا» و«زفستيا». علاوة على عشرات الصحف الصغيرة.

وتهدد الأطماع اليهودية «بهرسيخ صهيون فى الدولة الروسية» بانفجارات حادة فى علاقة الشعب الروسى بالثقات اليهودية، خاصة عندما تصل الرقابة حد تعيين مواطن اسرائيلى فى أعلى المناصب القيادية بالدولة مواطن لا يذكر حصوله على جواز سفر اسرائيلى بل ويرح علنا فى صحيفة ازفستيا بأن «كل مواطن يهودى فى روسيا هو اسرائيلى بالضرورة».

إن اليهود الذين يخصون اسرائيل بكل ولائهم يعمدون تاريخهم السابق فى روسيا القيصريية بالسيطرة على مصادر الثروة فى روسيا الآن ويحرقون بذلك التربة لأحياء المذابح القدسية خاصة فى ظروف البؤس الاقتصادى الحاد الذى يعيش فيه الشعب الروسى.

الياهوڤاش:

١- صحيفة يرافدا عدد ١ نوفمبر ١٩٩٦.

٢- ليف كورنييف- جوهر الصهيونية الطبقي- دار ابن رشد عام ١٩٨٦.

٣- ليتين المؤلفات مجلد ٢٤ ص ٣٩٤.

٤- ليف كورنييف - نفس الكتاب ص ٥٩.

٥- ليتين المؤلفات-المجلد ٨ ص ٧٤.

٦- بليخانوف موسكو ليتنجراد ١٩٢٦ المجلد ١٣ ص ٦٥.

٧- فلاديمير كريتشكوف-كتاب «قضية شخصيكو» موسكو ١٩٩٦. الجزء الأول ص ٢٩٣-٢٩٧.

٨- صحيفة زافترا العدد ٢٩ عام ١٩٩٦.



يلتسين بين اختيمه قبيل خضوعه لمراحة فى القلب

الحكومة الحالية ومستشار يلتسين. سابقا للشئون الاقتصادية.

سكاروف مساعد الرئيس.

يوجى ياسترجيمسكى الناطق

الصحفى باسم الرئيس.

أورسون نائب وزير الاقتصاد.

فلاديمير ريسين النائب الأول لرئيس

حكومة موسكو. لوشكوف.

الكسندر شوخين نائب رئيس مجلس

الدما.

الفرد جوخ وزير المخصصة الجديد.

فيجينى بويجاكوف وزير الخارجية

وقبله أندريه كوزيريف (أيضا يهودى).

الجنرال ليف روخلين رئيس لجنة

الشئون الدفعية بالدوما.

ريم فياخروف رئيس مجلس إدارة

أضخم مؤسسة صناعية فى روسيا

«غازيوم».

يورى باتورين -سكرتير- ومجلس

الدفاع.

وفى مجلس الأمن القومى يوريس

بيريزوفسكى.

وفى مجالات المال يسيطر اليهود على

أكبر البنوك فى روسيا بدءا من الكسندر

سوليتسكى. رئيس مجلس إدارة بنك

«ستوليتشنى»، وفلاديمير جوسينسكى

رئيس بنك «. غوسيت. بنك» وميخائيل

خودروكوفسكى. « بنك ميناتيب»

للحصول على معلومات لصالح الاتحاد السوفيتى..(٧).

والآن لنعد إلى مطلع المقال، إلى تعيين

يوريس بيريزوفسكى الذى يحمل جواز

سفر اسرائيلى مساعدا لسكرتير مجلس

الأمن القومى الروسى.

لقد احتج جينادى سمولوتيف رئيس

مجلس الدوما (أحد مجلسى البرلمان)

واحتجت معه على ذلك التعيين لأقلب

الأحزاب والحركات السياسية.

لأن بيريزوفسكى ليس فقط أحد أكبر رجال

الأعمال فى روسيا وأحد أكبر تجمار

النفط والسلاح وصاحب أكبر

احتكار لمصانع السيارات

«لوجوفاز» بل ولأنه أيضا يسيطر على

معظم الوسائل الاعلامية الروسية

وخاصة القنوات التلفزيونية التى يتمتع

فيها بحصة ضخمة.

وتنشر صحيفة «زافترا» قائمة توضح

مدى نفوذ «اليهودى الذى يقرر بسلطته المالية

مصير الأمبراطورية كلها».

وبداية يتربع على قمة الحكم فى مؤسسة

الرئاسة التى تسيطر مع مجلس الوزراء

أناطولى تشوبايس اليهودى نائب رئيس

الوزراء. وأول وزير للمخصصة ومدير الحملة

الانتخابية يلتسين- ويطلق عليه الشعب

الروسى «الكاردينال الأشقر».

الكسندر ليفشيتس وزير المالية فى



مؤتمر النقابات الألمانية يدعو للدفاع عن الدولة الاجتماعية

الدولة أطلقت العنان لقوى السوق المدمرة، والنقابات

تطالب باستراتيجية إصلاح اجتماعي إيكولوجي

خارجي يؤثر إيجابا على نضال الحركة العمالية من أجل مستوى حياة أفضل للعاملين. ولكن محاولته الراحة المتمثلة في مشروع البرنامج الجديد لتحديد موقع النقابات وأهداف العمل النقابي في العالم الذي تغير من الأساس جاءت لتؤكد فحافة الحسارة التي مثلها غياب ذلك العامل الخارجي. يتبين هذا في غياب المطلب النقابي القديم الذي تضمنه برنامج ١٩٨١، بتأميم الصناعات الرئيسية، وهو مطلب لم يكن يعني القضاء على الرأسمالية وإنما إيجاد أداة فاعلة للتأثير على تطور الإنتاج الاجتماعي خارجة عن السيطرة المطلقة للرأسمال.

ومن أكثر الأطروحات التي تعرضت للانتقاد والرفض قبل المؤتمر ما جاء به المشروع الجديد ورفضه المؤتمر في قوله " لتحقيق أهداف النقابات فإن نظام اقتصاد السوق الاجتماعي أفضل من النظم الاقتصادية الأخرى هذه الصياغة التي رفضها المؤتمر أريد بها الإعلان لأول مرة من تبني النقابات لنظام " اقتصاديات السوق الاجتماعية " وكانت الوثائق البرنامجية لاتحاد النقابات الألماني - رغم أنه كان عنصرا أساسيا في الحياة السياسية لألمانيا الاتحادية الرأسمالية - تتضمن توجهها انتقاديا واضحا للرأسمالية. وقد فشل واضع المشروع في فهم هذه الموضوعية أيضا لأن الزمان والمكان الذي جرى فيه النقاش لم يكن مناسباً لإطلاق المبادئ لنظام يقصص يوما بعد يوم من الخسائر

والخسائر الاجتماعية وحكم على نحو ٧ ملايين إنسان في ألمانيا بالبطالة. بدلا من الصياغة السابقة أقر المؤتمر الجملة التالية: اقتصاد السوق الموجه اجتماعيا يمثل تقدما تاريخيا كبيرا بالنسبة للرأسمالية المتفلتة "هذه بالطبع لم يعبئها اتحاد أصحاب الأعمال والتحالف المسيحي الليبرالي الحاكم فانتقد مفهوم النقابات لأنها لم تنجح في أن تتبنى " نظام اقتصاد السوق الحر " بل تردد.

وأحد جوانب الصراع في المؤتمر فشل في الاختلاف من جهة بين الإجماع بالاطار

ليبحث عن استراتيجية جديدة للحركة النقابية الألمانية في مواجهة المتغيرات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية الكبرى بعد الوحدة الألمانية، والمتغيرات التي تشهدها القارة الأوروبية متمثلة في زحف العنصرية أو الرأسمالية المتفلتة بما يعنيه ذلك من القضاء على مكاسب تاريخية للعمال والموظفين.

فشل الموضوع الرئيسي للمؤتمر في النقاش حول مشروع البرنامج الجديد لاتحاد النقابات والذي منذ طرحه في صيف هذا العام أثار حسب تعبير اليومية الليبرالية " تاتس " انتفاضة " وسط القواعد النقابية ". وقد لقيت موضوعاته الرئيسية انتقادات أساسية من رئاسات عدد من النقابات الكبيرة. وتراوحت الآراء بين وصف مشروع البرنامج بأنه ليس سوى عملية " توفيق جملة " مع الرأسمالية، وبين مدحه لأن به تخلص البرنامج من شعارات الصراع الطبقي القديم. وطلب النقابيون باجرا ٥٣٧ تعديلا على البرنامج الذي لا تزيد عدد صفحاته عن ٣٤ صفحة

موضوعات الخلاف

اتحاد النقابات الألماني لم يعترف يوما ما بأهمية وجود نظام اشتراكي عالمي كعامل

رسالة ألمانية

نبيل يعقوب

اختتم في يوم السبت ١٦ نوفمبر في مدينة دوسلدن مؤتمر الاتحاد النقابات الألماني الذي يوجد خمس عشرة نقابة تضم نحو ٩.٥ مليون من العمال والموظفين نقابيا. وجاء انعقاد المؤتمر في فترة صعبة بالنسبة للحركة العمالية الألمانية. إذ تآمرت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ضغطا شديدا على كل الحركة العمالية. ففي ظل البطالة المتفشية والتراجع المتواصل للحزب الاجتماعي الديمقراطي عن الأهداف والمطالب الاجتماعية والسياسية يصعب على الحركة النقابية أن تدافع بنجاح عن إنجازاتها ناهيك عن تحقيق مكاسب جديدة. وتتصكس خسائر الحركة النقابية أيضا في انحصارها التنظيمي إذ تركت النقابات ٢.٥ مليون عضو بين سنة ١٩٩١ وسنة ١٩٩٥. ويعني هذا أن قوتها التمثيلية تتضاءل إضافة لاستفحال المشاكل المالية للحركة النقابية فهي لاتملك مصدر تمويل سوى اشتراكات أعضائها. للمقارنة نذكر أن عدد النقابيين المنظمين في ألمانيا الشرقية وحدها في عام ١٩٨٩ كان يقدر بنحو ٧.٨ مليون عضو مع العلم بأن سكان ألمانيا الشرقية يمثلون فقط خمس سكان ألمانيا الموحدة.

وتأتي الأهمية الخاصة لمؤتمر اتحاد النقابات الألماني من أنه أول مؤتمر للاتحاد مطرح للنقاش قضايا التوجه الاستراتيجي لحركة نقابية كبيرة في دولة رأسمالية متقدمة بعد انتهاء المواجهة بين النظامين العالميين.

" مؤتمر الإصلاح " المؤتمر الذي سمي " مؤتمر الإصلاح " جاء

الجنسيتين القائم الذي تريد النقابات إصلاحه ، إلى احتفاظها بكنظمة اجتماعية مستقلة يحقها في البنى لصياغة الأطر المجتمعية تحقيقا لمصالح من مثلهم ، ومن جهة أخرى بين أن تنبني النقابات النظام وبالتالي سياساته فتفقد بذلك فعليا قدرتها على العمل كممثل مستقل لمصالح أعضائها وتصبح إلى هذا الحد أو ذاك ذيلًا لسياسات الرأسمال .

رغم التنازلات حافظت النقابات

على استقلالها

المشروع الذي أقره المؤتمر يختلف كثيرا عن المشروع المقدم للمؤتمر وقد تفاوتت هيئة الصياغة صراعا أشد . بأن قدمت للمؤتمرين بدائل متخفة من التعديلات الكبيرة التي قدمتها النقابات قبل المؤتمر .

أقر المؤتمرون صيغة عن موقع النقابات ودورها في المجتمع " كنظمة تضالفة تدافع عن مصالح محددة وهي قفل حركة إصلاح اجتماعي . وتتضمن ديباجة البرنامج الجديد على مقاومة النقابات " لانتفاخ النظام نحو البهين وضد السين " نحو رأسمالية منفلتة " . ويحدد البرنامج هدف السياسة الاجتماعية في " الحفاظ على مستوى المعيشة الملحق " ويعكس هذا التحديد الطابع الدفاعي والمحدود لبرنامج واحد من أكبر الاتحادات النقابية المزمعة في أوروبا والعالم ، وتذكر هنا بأن النقابات الألمانية تتعرض باستمرار لانتقادات واسعة بسبب عدم اهتمامها بشكل كاف بالمواطنين من العمل . هؤلاء لن تنفعهم بالقطع صيغة الحفاظ على مستوى معيشتهم المنخفض . وقد بين تركيب المؤتمرين أن العاملين لم يكونوا مثقلين ورغم أن الاتحاد النقابات يضم مليون عضو من العاملين عن العمل .

ولكن اليسار النقابي فتح رغم " روح العصر " في إقرار عدد من الصياغات المنوعة انطلاقا من تقاليد الحركة النقابية الألمانية ، وترثها الطويل في الصراع ضد الاستغلال الرأسمالي . فاقتر المؤتمر صيغة نصف النقابات بأنها قوة اجتماعية معادية تحول دون تدمير الحقوق والمكتسبات الاجتماعية . وبينما أراد المشروع الجديد تقييد الإشارة إلى مسؤولية الرأسمال عن المشاكل الاجتماعية المتفاقمة أقر المؤتمر النص على " مسؤولية رأس المال والسياسة الليبرالية عن الوضع الراهن " .

ومعبر التعبير عن الرأى العام لدى البرنامج الجديد كان يعني توجيه انتقاد ملموس للنظام الرأسمالي أو في تسميته " التلطيفية " اقتصاد السوق " . يقول البرنامج " لفر " ولكن اقتصاد السوق الاجتماعي لم

يحل دون البطالة الجماهيرية ولم يمنع تهديد الموارد . ولم يرق الصلابة الاجتماعية " كما يصفه بأنه لا هو نظام مستقر ولادائم . وكشال عن عمليات الشد والجذب في المؤتمر رفضت الأغلبية النص على أن " اقتصاديات السوق الاجتماعية لتعتبر بالنسبة لنا نهاية التطور التاريخي ..

أطر تنظيمية / وحلول سياسية جديدة

النقاش حول الأطر التنظيمية الجديدة والذي استهدف إعادة تشكيل النقابات المفردة بدمج بعضها اقتصادا في النقابات ، والذي كان يرمى أيضا إلى نقل جملة من اختصاصات الاتحاد العام إلى النقابات المعززة هذا النقاش تأجل إلى المؤتمر القادم .

ولكن المؤتمر قدم تنازلات في مجال صلاحية والنزاع عقود العمل الجماعية (تعريفة الأجور) فقد وصل بعد صراع ممتد إلى صيغة وسط تتيج لمجموعات من العاملين في الفروع الاقتصادية بأن تصل إلى مساومات تخرج عن التعريفة العامة . وتختلف الآراء هنا بين قائل بأن هذه الصيغة تؤذن بفقر نظام المعوق الجماعية لأن أصحاب الأعمال سيستغرقون ببساطة أكبر جبهة العمل الموحدة ويستثمرون فروق المصالح الموجودة بين فئات ومجموعات العاملين . ولكن العديد من النقابيين يظهرون لأن الواقع قد تغير بالفعل وأن العاملين في العديد من المجالات يظهرون بمرور في تطبيق التعريفة الموحدة ليكفوا بمطالبهم انطلاقا من الظروف الراجعة لفرعهم الاقتصادي .

النقابات .. والعملة

هناك من يقول إن البرامج سواء كانت لنقابات أو لأحزاب لأهمية لها ، والحكم يكون على السياسات العملية ، ولكن النقاش الذي جرى وحده حول برنامج اتحاد النقابات وسبل الرسائل التي نشرتها الصحف النقابية متضمنة آراء الأعضاء النقابيين وتعديلاتهم تبين اهتماما واسعا بفكر هذه المنظمة التي قتل أكبر منظمات المجتمع والتي لعبت دورا حاسما في حياة ملايين الناس قبضائلها التاريخي جرى تقييد ساعات العمل ، وفرض إجازات سنوية مدفوعة الأجر ، وزيادة الأجور ، وتطبيق قواعد الأمن الصناعي ، وإجراءات الرعاية الصحية للعاملين وغيرها . والمجدي هو التشكيك الزاهي في أن هذا الدور أصبح يحتاج لمراجعة أساسية لأن الظروف الاقتصادية قد تغيرت مجليا وعالميا .

وفي الواقع أن النقابات مثلها مثل كل المنظمات والحركات الاجتماعية التي تدافع عن المصالح الاجتماعية للعاملين تأثرت كثيرا

بفعل هزيمة الاشتراكية التي كانت قائمة ، بأن إضافة لهذا أنها عقدت مؤتمرها في خضم الضجة الاعلامية المتداصلة عن أن ألمانيا يجب أن تتكشف ولا تستكشف قدرتها التنافسية ، وأن الضمان الاجتماعي لم يعد - من الممكن الحفاظ عليه كما كان لما من دولة تستطيع هذا ، وأن نظام المعاشات تضاعفت تكلفتها من الممكن تسجيل قوله .

وفي طرح وحيد الجانب يراء اثبات أن العمل أصبح مكلفا جدا ولايسيل سوى لتخفيض الأجور والخدمات الاجتماعية . هذا الطرح وحيد الجانب يذكر الأجور ولا يذكر الأرباح ، يذكر تكلفة الإنتاج ولا يذكر ألمانيا تقف في قمة الدول المصدرة في العالم ، ويرتبط هذا بالتهديد اليومي أن على العمال أن يقبلوا هذا ولا رحلت الشركات إلى بلدان الأجور المنخفضة ، ولا تقيب هنا كلمة العملة التي تحتاج للتضخيم والتشفي ولكن في جانب العاملين وحدهم . هذه الأفكار لعبت دورا في النقاش الذي سبق مؤتمر اتحاد النقابات .

أوسكار نيجت أسأذ علم الاجتماع في جامعة هانوفر كان قد حذر النقابات من أن تستط في " فزع العملة " .

قال أوسكار نيجت : وجود الاقتصاد المخطط البيروقراطي والذي انهار هو الذي فرض على الرأسمالية أن تتوطن ، ولأن يعود للظهور العنصر الرأسمالي .. وهذا أيضا في مجال المناقشة حول العملة والتي تدور في إطار مصالح الرأسمال ، يقول : ليست المسألة أن نلقا أعضائنا عن رفقة الواقع ولكن أرضنا أن تطف النقابات - كما أصبح بعض اليساريين يفعلون - مشرولة لألارب أمام أقصى العمل .. والشعار هو : أن الشركات مسترحل أن لم نتخل كل شيء . فلنتخل كل شيء ونصيح عرابا ، ونقدم أنفسنا للتضحية بها ، ولننجز ضعف مانجزه هنا من عمل .. ذلك لتبقى الشركات هنا . ولكن بالسلوك الدليل لن نحصل النقابات على شيء من الأثراء ، بل أن هذا سيكون بمثابة دعوة لهم ليمارسوا المزيد من التهب والدعائية ، وأصحاب الأعمال يعترضون النقابات العمالية وليس العاجزة .

تتابع المؤتمر أبرزت حقيقتين : الأولى أن أعمال العالم - أينما كانوا - يذعنون لأن ثمن هزيمة النظام الاشتراكي الذي كان قائما منها تقاربت نظراتهم له .

والثانية هي أن استقلالية الحركة النقابية عن الدولة وعن أصحاب الأعمال ، وقبيل قياداتها لمصالح العاملين هما الشرط للحفاظ على الحقوق والمكتسبات الاجتماعية للحركة النقابية .

حقوق الالغام في باكستان

بصورة مستمرة. ويزيد من تعقيد الموقف في باكستان وجود العديد من الاجزاب والجماعات المتطرفة التي تتولى: تكفير بعضها البعض، وعلى سبيل المثال: فان حزب «الجماعة الإسلامية» الذي ينادى بتطبيق الشريعة يعلن تكفير الجماعات الأخرى.. وجماعة «دعوى معازة» التي أعلنت الحرب: على «المتردين» تتخذ نفس الموقف، وكذلك حزب «جماعة علماء الاسلام» الذي يعلن عن تكفير حزب «الجماعة الاسلامية». أما حزب «جماعة علماء باكستان» فإنه يعلن تكفير كلا من «حزب الجماعة الإسلامية» وجماعة «علماء الاسلام».. إلى جانب جماعات أخرى مثل «الجهاد» وجماعة «المصطفى» وجماعة «الشايع» الباكستانية.. التي تتصارع فيما بينها.

وثمة صراع بين القوميات الخمس في البلاد، وخاصة بين البنجابية والسندية (وينتمي رئيس الوزراء، الاسبق نواز شريف إلى البنجاب، بينما تنتمي بنظير بوتو إلى السند) والبلوشية.. علاوة على الصراع بين السنة والشيعية واستمرار التوتر الطائفي والمذهبي والعرقى مع المهاجرين الهند المسلمين والنيان والباشتون.. إلخ.

المهاجرون

والمعروف أنه منذ انفصال باكستان عن الهند.. هاجر عدد من المسلمين الذين تركوا اراضيهم هناك ووصلوا إلى باكستان.. معدين بلا أرض يملكونها، واستوطنوا مدن جنوب السند، وعملوا في الوظائف الإدارية وتكونت منهم بالتدريج طبقة وسطى، قد شكل هؤلاء، حركة «مهاجر قومي» التي تشبكت في مصادعات دموية شبه يومية مع قوات الحكومة الباكستانية مما أدى إلى ترقق الحياة في مدينة كراتشي، العاصمة الاقتصادية لباكستان ومينائها الوحيد.

رغم أن مواطني باكستان كانوا يتابعون بقلق تطورات الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية في بلادهم ولا يستبعدون أي مفاجأة غير سارة.. إلا أنهم استيقظوا في صباح الخامس من نوفمبر ليجدوا أن حكومة «بنظير بوتو» قد أقيمت بقرار من رئيس الجمهورية «فاروق ليجاري» في عتمة الليل.



في الحياة.

الطرف الأقوى

وما حدث بالفعل هو أنه منذ استقلال باكستان في ١٤ أغسطس ١٩٤٧ وتقسيم شبه القارة الهندية لإقامة وطن مستقل للمسلمين وخلق هوية منفصلة فبرزهم عن الآخرين (الهندوس في الأساس)، لم تشجع حكومات باكستان المتتالية في إقامة وطن حر، وتوفير الأمن والديمقراطية والاستقرار لمواطني هذا البلد.

وقد حكم العسكريون البلاد ثلاث مرات خلال ٤٦ سنة، واستمر هذا الحكم العسكري ٢٥ سنة من عصر الدولة (وهو ٤٦ عاما). وما زال الجيش الباكستاني هو الطرف القوي على المسرح السياسي الباكستاني ويسك بكل الحيل في يده، كما أن قاداته يحكمون سيطرتهم على الولايات الأربع التي تتشكل منها باكستان (البنجاب -

السند - البالوشستان - الاقليم الشمالي الغربي) ويكتفي أحيانا بدور المراقب، وفي أحيان أخرى يظهر بحجم أكبر في الصورة. وفي جميع الأحوال فان «حكومة الظل العسكرية» التي تقزم بدور الرضى على الحياة السياسية.. قائمة

ولم يقتصر الأمر على ذلك وإنما تعداه إلى حل البرلمان وتشكيل حكومة مؤقتة ووعد باجراء انتخابات عامة جديدة في الثالث من فبراير القادم. ولكن تكتمل «الصورة الباكستانية» فقد احتلت قوات الجيش المواقع الهامة الاستراتيجية في البلاد واغلقت المطارات وتم منع الدخول أو الخروج من منزل رئيس الوزراء (السابقة). وقيل في وصف هذه الأحداث أنه «انقلاب دستوري».

ولم تكن الأوضاع مستقرة في باكستان في يوم من الأيام، فقد شهدت البلاد حتى الآن ست حكومات، وخمس رؤساء حكومات وأربع رؤساء جمهورية وثلاثة من قادة الجيش. وتقع باكستان في قلب قارة آسيا ومحيطها إيران من الغرب وأفغانستان من الشمال والشمال الغربي، والصين من الشمالي الغربي والشمال الشرقي، والهند من الشرق.

وتقد باكستان على مساحة حوالي ٨ ملايين كيلو متر مربع وتضم حوالي ١٢٠ مليون نسمة.

ولم يتحقق حلم محمد علي جناح مؤسس باكستان، الذي قال في عام ١٩٤٧: «نحن أمة متميزة في مبادئ الحضارة والثقافة واللغة والأدب والفن والعمارة والأسماء والاصطلاحات والاحساس بالقيم والمثل والقوانين الوضعية والأخلاقية والعبادات والتقويم والتاريخ والتقاليد العريقة. والمجادة والطموحات. وباختصار لدينا نظرتنا المميزة

ورقة في يد الولايات المتحدة لإعادة صياغة
الأوضاع وترتيبها داخل أفغانستان.

عمق استراتيجي

المعروف أن قوات «طالبان» تمثل في
الأصل طلبة كلية الشريعة المتطوعين في
ممسكرات اللاتين في باكستان. وقد حظيت
الحركة بالرعاية من جماعة «علماء
الإسلام» وهو حزب باكستاني سني موال
لرئيسة الوزراء السابقة بنظير بوتو.

وقامت باكستان بمساندة أمريكية
بتشجيع قوات «طالبان» والتي قامت
السلطات الباكستانية بتحويلها وتسليحها،
على إقامة سلطة في كابل موالية لها
ولا أمريكا تحجب لباكستان. عمقا
استراتيجيا كان ينقضها في مواجهة
الهند. وتسمى باكستان إلى احراز
تفوق في معركة الاختراق
الاقتصادي لآسيا الوسطى، حيث أن
هناك مناطق غنية بالغاز

والبترو-ل وروا موارد أخرى ما
زالت في باطن الأرض- ليست لها
منافذ مباشرة على البحر. ورضي عن
البان أن الطرق التي تستخدمها تلك المناطق
أو الجمهوريات لتصدير ثرواتها مستقبلا
س تكون إما روسيا أو باكستان أو
إيران أو تركيا. وقد تمكنت إيران من فتح
منفذ عبر خط السكك الحديدية من
تركمانستان إلى ميناء بندر عباس
الإيراني. وقد تريد باكستان من خلال حركة
طالبان، إعادة فتح الطريق الذي يربط
تركمانستان بباكستان عبر طريق أفغانستان.

أما المشروعات المأمول انشاؤها، فهي مد
أنابيب الغاز ثم انابيب البترول
طريق هذا الطريق بفضل تعاون
أمريكي سعودي.

وقد أسفر التعاون الأمريكي-الباكستاني
عن وجود مراكز تخصصت أمريكية في باكستان
تتيح الفرصة للولايات المتحدة لمراقبة إيران
وآسيا الوسطى من المحيط الهندي.

وكانت الولايات المتحدة قد ساندت لوقت
طويل حزب وقلب الدين حكمتيار في
أفغانستان- الذي تجاوز كل الحدود في مواقفه
المتطرفة والارهابية- ثم تخلت عنه بعد أن
دخلت قوات طالبان الساحة بدعم من «إسلام
أباد».

منطقة نفوذ

وقد أرادت واشنطن أن تتعاضد لأي
طموحات روسية مستقبلية في المنطقة حتى لا
تستعبد روسيا بشاها الجغرافي-
السياسي وخاصة بعد أن تعززت السيطرة



بنظير بوتو في مقرها الصحفي

معتقداً أنها مسلمة لن يدخل
الجنة!!.

وفي ظل هذه الظروف يحتاج باكستان
بشدة إلى سياسة خارجية تراعى المصالح
الباكستانية في المقام الأول كما تحتاج إلى
ديمقراطية حقيقية وإصلاحات اجتماعية جذرية
غير أن ذلك لم يتحقق.

فقد استخدمت وكالة المخابرات
المركزية الأمريكية باكستان كقاعدة
للقنات ضد الجيش السوفيتي في أفغانستان
وتحولت باكستان إلى ساحة تنفيذ
استراتيجية تستهدف استنزاف
السوفيت ومنع التوصل إلى حل
سلمي للمسألة الأفغانية.

وقد استأجرت المخابرات الأمريكية
والباكستانية طوال سنوات الحرب ضد الجيش
السوفيتي في أفغانستان أباطرة المخابرات
الباكستانيين الذين ظلوا مصدراً
رئيسياً لتمويل «المجاهدين

الأفغان» (1). بالمال والسلاح
وتفغفروا بعد ذلك في الحياة السياسية
لباكستان. وتحولت منطقة الحدود التي
تقعد نحو ٢٤٠٠ كيلو متر وتقيم
فيها قبائل مشتركة إلى منطقة
خارج دائرة نفوذ أي سلطة ومركز
للتخريب ونجارة السلاح والمخدرات.
وأصبح اللاتين الأفغان طامعا للبلدان وغنيا
تقيا على باكستان.

ورغم مرور سنوات طويلة على انسحاب
الجيش السوفيتي من أفغانستان.. فإن الحرب
لم تتوقف بين الفصائل الأفغانية المتصارعة،
وما زالت باكستان، حتى كتابة هذه السطور

ويطالب هؤلاء المهاجرون بمزيد
من الحقوق أو على الأقل بمعاملتهم
على قدم المساواة مع بقية مواطني
باكستان. غير أن بنظير بوتو كانت ترى
أن الصراع مع المهاجرين هو صراع الدولة
ضد الارهابيين، ولم تعتبر أن هناك أزمة
سياسية بالدرجة الأولى ترجع أصلاً إلى
حرمان حركة المهاجرين من المشاركة السياسية
والاقتصادية، مما أدى إلى هروب زعيمها
«الطاف حسين» إلى لندن وطلب اللجوء
السياسي.

وانتهمت حكومة بوتو حركة المهاجرين
أيضا بأنها تسعى إلى الانفصال، وتفاقم
الموقف مع ظهور جناح «حقيقي» المنشق
على حركة «مهاجر قومي» الذي يدعمه
جناح في الجيش الباكستاني بالعدة والعتاد
لضرب باقي الوحدات والتجمعات الأخرى.

فتاوى متطرفة

والتشرد في الحركات الدينية.. أصبح
ظاهرة في الحياة السياسية الباكستانية،
فهناك انقسام داخل التيار الإسلامي
واختلافات فكرية بين المسلمين
والصوفييين «والتليفيين»
«والحركيين». كما أن المتطرفين الدينيين
يشنون حربا ضد بنظير بوتو باعتبار أن
حزبها السياسي (حزب الشعب
الباكستاني) يريد «ثقافة غربية» بينما
هم يريدون «ثقافة إسلامية».

وقد أعلن أمام مسجد إباد- شاہي
قائلا: أقسم بالقرآن أن أي شخص
يبدلي بوضوئه لصالح بنظير بوتو

الروسية في طاجيكستان وكازاخستان وقيرغستان. كما أزدادت أمريكا إبعاد العناصر التي تعتبرها موالية للروس وللإيرانيين في كابول والذين كانوا يتقاسمون السلطة هناك.

وهذه السياسة الباكستانية التي تخدم المصالح الأمريكية في المنطقة، وتضع على استمرار الحرب في أفغانستان من أجل تحويل الأخيرة إلى منطقة نفوذ باكستانية - أمريكية ... لا تساعد على تحسين الأحوال داخل باكستان سواء من زاوية الاستقرار أو تحسين الأحوال المعيشية أو تقليص نفوذ العسكر أو إقرار أوضاع ديمقراطية.

ولا يمكن تصور كل هذا التنسيق الأمريكي الباكستاني... واستثناء المعونات الأمريكية لباكستان دون أن تكون هناك صفقة سرية بين واشنطن وإسلام آباد تتعلق باحتواء ومراقبة البرنامج النووي الباكستاني.

فالقنبلة «الاسلامية» - كما يسميها البعض - لن يكون لها وجود في ظل الرعاية الأمريكية لباكستان وفي ظل النشاط الضخم الذي بذلته واشنطن طوال السنوات الماضية لاختراق البرنامج النووي الباكستاني. وكان الرئيس الباكستاني السابق غلام اسحق خان قد صرح في يوم ٢٥ يوليو عام ١٩٩٣ بأن باكستان انتجت سلاحاً نووياً، وأن الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر طلب من الرئيس الباكستاني الأسبق محمد ضياء الحق وقف البرنامج النووي مقابل مساعدات قيمتها ٢٥٠ مليون دولاراً، ولوظ أن الولايات المتحدة فاجأت المراقبين بشروع قانون قدم إلى الكونغرس بشأن معونة الأمن الأمريكية في ميزانية عام ١٩٩٥ يتضمن نصاً يبيح للدلالة الأمريكية التخلي عن أي حظر. رأى الرئيس أن ذلك يتسبب في مصلحة الأمن القومي الأمريكي، وفهم الكثيرون أن المقصد هو باكستان.

الحزبان الرئيسيان

والحزبان الرئيسيان في باكستان هما «حزب الشعب الباكستاني» بزعامة بنظير بوتو، و«حزب «الرابطة الإسلامية» بزعامة نواز شريف. غير أن قيادات هذين الحزبين والأعضاء الذين يمثلونهما في البرلمان من أصحاب الأيدي «الضامة» والاستثمارات الهائلة، ويملك بعضهم أكثر من فيلا وقصر في «لاهور» و«كراتشي» و«اسلام آباد» ويحتفظون بمساكن وشقق وعصارات في أرقى أحياء لندن التي تحتل الجالية الباكستانية فيها المرتبة الثالثة أو الثانية من حيث تعداد

الجماليات الأجنبية.

والمتنج الباكستاني هو مجتمع النصف في الثالثة.

ورغم أن نواز شريف زعيم «الرابطة الإسلامية» يتحدث كثيراً عن الإصلاح إلا أن الرجل ينتمي لعائلة إقطاعية لها نفوذ اقتصادي كبير في إقليم البنجاب ويرتبط بمصالح مشتركة مع رجال الصناعة وأصحاب الأعمال بوجه عام.

وعلى أن حزب الشعب له جذور شعبية ووصيد سياسي منذ أيام الزعيم الوطني ذو الفقار علي بوتو، صاحب التوجهات الاجتماعية ووالد بنظير بوتو الذي أعدهم العسكريون... إلا أن المحسوبية والرشوة والفساد تنفض بين قيادات الحزب والحكومة التي شكلها هذا الحزب.

وكانت أمام بنظير بوتو فرصة ذهبية لتوحيد الجماهير الباكستانية وراها بالاستناد إلى التراث الوطني لعائلة بوتو، ونظراً لأنها تصدرت بجرأة وشجاعة للحكم العسكري وفرضت إجراء انتخابات في عام ١٩٨٨ أنهت لأول مرة فترة الحكم العسكري.

شعار جذاب

وقد كان شعار بنظير بوتو في انتخابات عام ١٩٩٣ هو «أكبر روثي» (مكان) أي منزل وطعام وملبس لكل مواطن. وهذا هو نفس شعار ذو الفقار علي بوتو في الماضي وما زال له سحر الخاص. وحصلت بنظير بوتو على تأييد الناخبين مرتين: الأولى في عام ١٩٨٨، والثانية في عام ١٩٩٣، ولكن بنظير بوتو أقيمت بواسطة رئيس الجمهورية في المرتين قبل أن تكمل فترتها الدستورية.

فقد قدم الرؤساء يتحينون فرصة انزعزال قيادات حزب الشعب الباكستاني عن الجماهير وتغفلوا قرار الاقالة.

وقد أطلق السيد الذي تنتمي إليه بنظير بوتو توجع إقطاعيات كبيرة وعائلات غنية يعتمد عليها السياسيون - ومنهم أعضاء في حزب الشعب - للفوز بالناصب، ويوجد أيضاً فقر شديد.

وقد تعهدت بوتو عند فوزها في أكتوبر ١٩٩٣ بشحن حملة قاسية ضد الفساد حتى دخل حزباها السياسي. وقالت إن الشعب يرغب في تغيير النظام وليس تغيير الوجهة. ومع ذلك، فإنها لم تفعل شيئاً، بل حدث أنها استندت منصب وزير الاستثمارات لزوجها «زاراداري» الذي - على ما مرصص في بوتو - شقيق بنظير - قبل (مفتلاً) مسؤولية الفساد في الإدارات الحكومية وأجهزة الدولة.

وتجالت «زاراداري» مع الجيش، بما يعني أن هناك قطاعات من العسكريين تفضل التعامل والتعاون مع الاستثمارات الطفيلية.

المشكلات المزمنة

وبقيت مشكلات باكستان المزمنة بلا حل.

* البطالة تصل إلى نسبة أربعين في المائة (بما يزيد من تقادم الأنشطة والحركات البطيئة).

* وضعت مؤسسات غربية.. باكستان في المرتبة الثانية بين دول العالم من حيث الفساد المالي والإداري.

* «الاتفاق العسكري» في قمة أولويات الحكومات الباكستانية (مع تشجيع استمرار الحزب في أفغانستان والتوترات مع الهند).

* سيتم تصنيف باكستان في فئة الدول الأكثر فقراً حيث يقل دخل الفرد فيها عن ٣٠٠ دولار في السنة.

* نسبة الأمية ٦٥ في المائة (٩٧ مليون من السكان).

* تدفق الأسلحة والمخدرات بطرق غير مشروعة.

* عجز مزمن في الميزان التجاري، انخفاض احتياطي البلاد من العملات الصعبة.

* معدل التضخم ١٤ في المائة.

* عجز يتجاوز ٦ في المائة في الناتج القومي الإجمالي ويهبط معدل النمو الاقتصادي.

آليات السوق

وزادادت الأوضاع سوءاً بعد الاطاحة بحكومة بوتو في ٦ أغسطس عام ١٩٩٠، وتولى نواز شريف رئاسة الحكومة في نوفمبر من نفس العام. فقد قام الأخير بتحويل الاقتصاد إلى ملكية القطاع الخاص وأزال القيود على تحويل النقد الأجنبي، ونقل ملكية الصناعات المؤتمنة إلى القطاع الخاص، وأسرب في منح التراخيص والأصناف الضريبية، وأدخل تغييرات في نظام التعريفات الجمركية وأتاح تسهيلات كبيرة لجذب رأس المال الأجنبي.

وكما هو متوقع في حالة تطبيق آليات السوق الحرة، والاندفاع في هذا الاتجاه بلا دراسة بحثة «التخلص من الروثين».. فقد ارتفعت أسعار السلع الاساسية بمتحون وبدأت الفئات محدودة الدخل تدفع الثمن قاتلاً.

وشرعت الشركات متعددة الجنسيات في الزحف على إسلام آباد، وبقت الصفقات مع مؤسسات «أريكسون» و«الكاتال» و«دايو» والاتصالات شركة هوكتا سيديني البريطانية متعددة الجنسيات، وبقت اقامة ٣٤٢ مشروعاً بمساهمة أجنبية (أمريكا

ويزيما في المقدمة ثم تأتي بعد ذلك ألمانيا واليابان. ويتم السماح للأجانب بالاستثمار في بورصة الأوراق المالية في باكستان.

وعندما عادت بوتو إلى الحكم بتأييد من أغلبية الناخبين في عام ١٩٩٣ أعلنت أنها سوف تستمر في سياسة الخصخصة التي بدأها خصمها السياسي اللدود نواز شريف، في محاولة لكسب ود رجال الأعمال.

ولم تكف بتظهير بوتو بذلك، بل إنها دعت الجيش عشية هذه الانتخابات إلى. الاضطلاع على الانتخابات في محاولة لموازنة المؤسسة الأولى (العسكرية) بعد أن تحالفت بتظهير بوتو مع الرئيس اسحق خان الذي سبق أن أقالها.

واستمرت حكومة بوتو الثانية في معاملة المهاجرين كنزائين من الدرجة الثانية وتصويرهم على أنهم برغبون في الهمجية على طائفة السنديين وواصلت رفضها معاملتهم على قدم المساواة مع سائر الأقليات (والتي هي سقطت عشرة آلاف قبيل خلال سنة أعوام في مدينة كراتشي وحدها).

بل إن حكومة الفت تراخيص اصدار ١٢٢ صحيفة حتى أن بتظهير والدته انتصرت بوتو قالت أن بتظهير تتصرف وكأنها ديكتاتور عسكري.

تفاقم الفساد

وزاد الفساد واستغلال النفوذ في الآونة الأخيرة.

فقد اقترض السياسيون مليارات الدولارات من البنوك التي تم خصخصة بعضها. ولم يسد هؤلاء الساسة هذه القروض، كما حصلوا على قطع أرض من الحكومات لإقامة منازل ومحال تجارية فوقها. وظهرت علاقات وصلات تربط بين بعض الساسة وبجار المخدرات.

وظهر أن نواز شريف رئيس الوزراء السابق وزعيم الرابطة الإسلامية، الذي يتهم بتظهير بوتو وخزنها بالفساد... اتخذ موقف المتفرج إزاء قادة في حزبه قاموا بعمليات مشبوهة (فضيحة التعاريف المرتبطة بوزير داخلية) كما ظهر أن بتظهير بوتو التي تنهم نواز شريف بالفساد وقعت هي نفسها تحت تأثير رجل (زوجها) يشتهى جميع المال وامتلاك النفوذ والانسداد والحياة الباذخة.. إلى جانب

تصرفات غير نظيفة لقادة في حزبيها. أما الرئيس السابق اسحق خان الذي اتهم كلا من بتظهير بوتو ونواز شريف بالفساد فقد اتضح أن اقاربه متورطون في الفساد.

وقد ادرك القادة الباكستانيون بوجه عام أن بلادهم فقدت دورها المميز على الساحة الدولية والاقليمية في أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي، وهم يحاولون استعادة هذا الدور عبر استغلالهم لورقة الاصولية (الافغان العرب) وتكريس دور باكستان في اطار الاستراتيجية الأمريكية.

ورغم أن سياسات الحكومة الباكستانية في الخصخصة أثارت انتقادات شديدة في أوساط الرأي العام، إلا أن الحكومة - قامت مع تعليمات صندوق النقد الدولي - قامت بتخفيض الاتفاق بمقدار ٢٧ مليار روبية (٦٧ مليون دولار) وتخفيض قيمة العملة بمقدار ٧٩ في المائة وفرض ضرائب جديدة لتحويل ١٣ مليار روبية لتخفيض العجز المالي إلى ٤ في المائة.

وفي تقرير لمنظمة حقوق الإنسان الباكستانية غير الحكومية أن آلاف المعتلات تعيش في حالة عبودية بسبب نظام العمل ومأساة الأطفال الذين يجبرون على العمل.

القطط السمان

وفي كراتشي توجد «القطط السمان» التي تستقر الأغلبية بانفاقها الجنون على الكماليات. وقد أصاب هذه القطط السمان على توافر الكافيار لديها. وعلى الناحية الأخرى يوجد هؤلاء الذين يفتشون عن الحيز وعن عدالة مفقودة بينما تعرّب الجريدة المنظمة ونجوم عالم المافيا.

ورغم أن مجرد وجود بتظهير بوتو في الساحة السياسية يبقى الأمل حيا في الحيار الديمقراطي، إلا أن زعينة حزب الشعب ارتكبت خطأ فادحا في مجال الدفاع عن الديمقراطية السياسية.

فالفرقة الثامنة من الدستور الباكستاني تشبه فرقة في دستور ١٩٧٣ في مصر، وهي الفرقة التي تعيد الحياة السياسية وتدمر الديمقراطية. وهذه الفرقة تخول الرئيس الجمهورية حق حل البرلمان وإقالة رئيس الوزراء وتعيين قائد الجيش.

تصفية الحسابات

ورغم أن السيدة بوتو كانت خصما شديدا للفرقة الثامنة التي فرضها الديكتاتورية السابق ضيها الحق على المستور، إلا أنها

أخذت تحت الرئيس السابق غلام اسحق خان على حل البرلمان ورمانات الولايات بعد أن أقالها غلام اسحق خان وتولى نواز شريف الحكم، وعندما جاء دور نواز شريف لكي يقيله الرئيس غلام اسحق خان... وافقت بتظهير بوتو على هذه الاقالة. وقد حمل نواز شريف قضيته إلى شوارع لاهور وكراتشي عندما أقاله رئيس الجمهورية في عام ١٩٩٣.

وكان أول رئيس وزراء يملك الجرة لاتهام الرئيس مباشرة بالتآمر للإطاحة بحكومته وبحرض الشارع ضده، ويقع دعوى أمام المحكمة الباكستانية العليا لالغاء قرار رئيس الدولة. وانتصر نواز شريف في المحكمة العليا التي ألغت قرارات رئيس الدولة بحل البرلمان وإقالة الحكومة. وخطأ الذي وقعت فيه بتظهير بوتو هو أنها تحالفت في تلك المحصلة مع رئيس الدولة ورفضت الوقوف مع نواز شريف. ولم يكن نواز شريف يملك الأغلبية الكافية في البرلمان لالغاء الفرقة الثامنة. كذلك لم تكن بتظهير بوتو وحدها تلك الأغلبية الكافية. غير أن وقوف الاثنين معا كان يوفر هذه الأغلبية.

ولم تتخذ بتظهير الموقف الذي كان سيضمن إلغاء هذه الفرقة الثامنة. والجماعة انها تخشى حدوث صفقة بين نواز شريف ورئيس الدولة ويحجم أن تركيز السلطات في أيدي رئيس الدولة- يمكن أن يجعله قويا إلا أن تركيز كل السلطة في أيدي رئيس الوزراء سيكون أمرا بالغ الخطورة. وماذا كانت النتيجة؟

إن عضو حزب الشعب فاروق ليجاري الذي قاده الحزب لمنصب رئيس الجمهورية، وتولى الرئاسة بالفعل. هو الذي قرر اقالة بتظهير بوتو.

وعندما لجأت بتظهير بوتو إلى المحكمة العليا... خلتها! وهكذا عاشت الفرقة الثامنة التي تلتقي إرادة الناخبين، ولم تبق بتظهير في الحكم رغم حصولها على ثقة الناخبين.

ولذلك قيل أن سياسة «تصفية الحسابات» هي التي تسود في باكستان. قيادات كل الأحزاب تتحمل المسؤولية عن استمرار الفقر والفساد والمغامرات العسكرية والاقتصاد والتهجير الاقتصادي والتكنكات التي تعرض لها الديمقراطية الباكستانية قبل الانهيار ككلية، ولا تقيّد من تقدم لإنزائهم أو الأقل لتصفية وقع انفجاراتها.

نحو رؤية جديدة لتاريخ وآليات التطور العلمي والسياسي

الافتراضات التي يتكفل العلماء باختبارها على وقائع متزايدة العدد، ومن وجهة النظر هذه نجد أن العلم القياسي أو المستقر هو علم تراكمي؛ إنه ينشر مجمل المعارف المتاحة بصفة منتظمة. إن الباراديم العلمي هو طريقة يتشارك فيها الباحثون لرؤية الأشياء في أحد المجالات ويمكن أن يصل إلى حد الهيمنة على عصر بأكمله. وكان هذا هو الشأن مثلاً بالنسبة للنسبية للنسبية خلال الفترة من القرن السابع عشر حتى بداية القرن العشرين.

الخروج عن القياس

يمثل الباراديم إطاراً للمرضعات الجديدة التي يمكن أن تثير اهتمام الباحثين، وبخاصة أنه يساعد على حل أنغاز نظرية على أساس تكنيات خاضعة للتجربة. وما دامت نتائج التجارب متوافقة مع التكهّنات، فإن فرع العلم المعني يحقق تقدماً. ولكن يحدث أن يواجه الباحثون نتائج مخالفة للتكهّنات. وفي غالبية الأحوال يتم امتصاص هذه الحالات الشاذة؛ هكذا تشتمل جميع «الباراديمات» على عدد معين من الأنغاز التي بلا حل، ولا يتسبب هذا الخروج عن القياس وحده في حدوث أزمة؛ إذ يتم تحيية اللغز الذي بلا حل جانبا، دون أن يؤدي ذلك إلى رفض النظريات السائدة.

ولكن يحدث أزمة لا يجب ظهور شذوذه رئيسي أو عدة شذوذ رئيسية فحسب، بل يجب استعراها في تقنية التناقض مع الباراديم المهيمن. كان هذا هو الشأن مثلاً في نهاية القرن التاسع عشر، فيما يتعلق بهذا الكيان اللامادي المسمى الأثير والذي بدونه لم يكن من الممكن إدراك التفاعلات



توماس كوهن (١٩٢٢-١٩٩٦)

«الباراديم»

ويرى توماس كوهن أن تاريخ العلوم يتكون من تتابع جاليتين، إحداها حالة استقرار (أو «علم قياسي»)، والأخرى حالة غير مالوفة (أو «ثورة»). وحين تكون حالة العلم مستقرة فإنه يكون مشمولاً داخل نطاق «باراديم» الذي هو إطار معتبره الجماعة العلمية صحيحاً. إن هذا الباراديم المكون من قوانين ومن فرضيات نظرية يؤسس نشاط العلماء ويتيح إجراء الأبحاث. وليس هذا الباراديم اعتقاداً كاملاً لكنه مجموعة من

لا تعتبر مؤلفات توماس كوهن Thomas Kuhn مؤرخ وفيلسوف العلوم الأمريكي منطلقاً لرؤية جديدة لتاريخ العلوم فحسب، بل وأيضاً لأليات تطوير النظريات العلمية ذاتها. فقد قام في كتابه «هيمنة الثورات العلمية» بتطوير وتوضيح فكرة مغايرة للمفهوم السائد القائل بأن تاريخ العلوم ليس إلا ارتقاء تدريجياً تراكمياً ينتج عن التجربة ويؤدي إلى نظريات أكثر صحة. يقول كوهن: إن العلم - مثله في ذلك مثل السياسة - ينشئ على طفرات؛ فبعد فترات من الهدوء والاستقرار يهيمن عليها «باراديمات» paradigm أي نموذج من القوانين والفرضيات النظرية، تظهر نوبات متوالية يمكن أن تتفتح على ثورات.

ويرى كوهن الأستاذ بالجامعات الأمريكية أن تقدم العلوم ليس مستمراً ولا عقلانياً تماماً. إذ يتخذ العهد الاجتماعي للمعارف مع أزمت الأفكار التي لا بد منها لصنع تاريخ يتكون من لترات تقليدية ومحافظة طويلة ثم ثورات مفاجئة. ويقول أيضاً: تبدأ الثورات السياسية بشعور متنام - قد يكون أحياناً مقصوراً على قسم من الجماعة السياسية - بأن المؤسسات القائمة قد توقفت عن الاستجابة بطريقة مناسبة للمشاكل المطروحة من جانب بيئة ساهمت هذه المؤسسات ذاتها في خلقها. وطريقة مماثلة تبدأ الثورات العلمية بالشعور المتنامي - الذي يكون في الأغلب مقصوراً على جزء صغير من الجماعة العلمية - بأن «باراديمات» قد توقفت عن العمل بطريقة مرضية لاستكشاف أحد أوجه الطبيعة، في حين أن نفس هذا الباراديم كان يقود هذه الأبحاث من

لطيف فرج

فكرة قيام النظريات والأدوات العلمية وأبي الباراديات بتشكيل عارضة الباحثين، وتحديد ما يمكن تصوره وما لا يمكن تصوره، ولهذا فهي تؤدي دوراً إيديولوجياً قوياً في تأكيد الحقائق العلمية. وينتج عن ذلك بخاصة أن الجماعة العلمية -وليس العقلانية الباطنة- هي التي تحكم بصحة إحدى النظريات.

الانتقادات

أثارت أعمال كون انتقادات عديدة. فقد عابوا عليه بخاصة استناده إلى مفهوم غامض هو «الباراديات». وذكرت مارجريت ماسمرمان إحدى تلميذاته أن كتاب «بنية الثورات العلمية» قد استخدم هذه الكلمة بثمان مختلفة بلغت أكثر من العشرين من بنيتها: «نظرية»، «نسق من القواعد»، «مجموعة رموز»، «روية للعالم»، «نظام علمي»، «مجموعة من الباحثين».. الخ.

وقد أجاب كون في عام ١٩٧٠ على هذا النقد بإضافة ملحق إلى كتابه حلل فيه مكونات هذه «الباراديات» فقال: الباراديم هو «قالب لأحد فروع العلم» (خاص بعلم معين) يتكون من أساليب محددة، زمن معتقدات وقيم ومعضلات وطولها التوضيحية التي تكون تقليداً، بمعنى تكون معرفة يمكن نقلها عن طريق التدريب. إن وظيفة هذه القوالب الاجتماعية والإدراكية معاً هي «بناء طريقة للأخصائيين والعلماء لصنع العلم ولروية الحقيقة». وعابوا على كون أيضاً المبالغة في طابع «تغيرات الباراديات» المفاجيء، وبإدخال جزء تعسفي في تاريخ العلوم. في الواقع أن كون يعتقد بأن الحيار بين باراديات متنافسة لا يتم مع أساس مبادئ عقلانية أو تجريبية محض، بل لا بد من إدخال العوامل الاجتماعية في الجسبان، ما يؤدي إلى شكل من التسيبة: إذ يبدو بأن حقائق العلوم تتوقف على قرار تتخذه جماعة. ومع ذلك فقد أكد كون بأنه يمكن قياس التحول العلمي بالقدرة المتنافسة للنظريات على حل المعضلات بما يكون معياراً موضوعياً وراثياً. وبالرغم من الخلاف بين فلاسفة العلوم حول أفكار توماس كون إلا أنها من المؤكد قد فتحت الطريق أمام أساليب جديدة لوصف عمليات الاكتشاف العلمي التي تسمونها اليوم «سيورولوجيا المعرفة العلمية».

المعاصرين لها. إن الوصف الذي يقدمه توماس كون ينطوي على أن التقدم العلمي ينبثق عن تصدعات وعن اضطرابات. وهو في هذا يختلف بعنق عن التاريخ الوضعي الذي يرى التقدم العلمي باعتباره نتاجاً لتراكم نتائج تجريبية.

ومع ذلك لا يجب أن يؤدي هذا التصور إلى الاستنتاج بأن «الثورات» وحدها هي التي تحقق التقدم العلمي. فمن رأي كون أن فترات العلم القياسي أو المستقر تقدم بوظيفة أساسية هي إثراء الواقع وتعميق النظريات. ولهذا فهو يرى أنه من المميت سيادة نوع من المثالية والتفكير بالأعراض داخل جماعة الباحثين، وبأنه لا يجب تعريض النظريات لثيران النقد بصفة دائمة. ولا تقتصر أعمال كون على الوصف التاريخي، فانه يقدم أيضاً

الكهرومغناطيسية من على بعد. ويمكن ظهور شواذ رئيسية أخرى عند استخدام العلم اجتماعياً: لقد أصبح علم الفلك الذي وضعه بطليموس (١٢٧-١٥١ ب.م.) مشكوكاً في صحته، حينما واجه شذو عند إصلاح التقويم -صعوبات لعله يتوافق مع حركات النجوم (في عصر عالم الفلك البولندي كوبرنيكوس (١٤٧٣-١٥٤٣)).

وتجمعت حينذاك الظروف لحدوث فترة أزمة تنسم بتقد المادي والأساليب السائدة. وفي ظل سياق اختلال الأمن العلمي هنا ينظر الباحثون في مناقشات فلسفية وتظهر «باراديات» جديدة متنافسة. ويمكن أن تفتح الأزمة على ثورة علمية حينما يتحول بعض أعضاء الجماعة العلمية نحو تبني باراديم جديد يستطيع إعادة البناء في مجال المعرفة. ويحل هذا التحول المفاجيء انقلاباً في رؤية العالم لأن الباراديم الجديد سيكون غير متوافق مع سابقه بل ومختلفاً عنه تماماً.

العلوم تتقدم وثناً

الثورات العلمية هي تغيرات جذائية ومتعارضة في الأفكار وفي الأساليب. وهي تستهدف -مثلاً في ذلك مثل الثورات السياسية- تغيير المؤسسات بأساليب تحطرها هذه المؤسسات ذاتها. كما أنها تستند إلى معايير تتناقض مع العلم السابق: إذ تظر الفيزياء النووية الحديثة فكرة إمكانية «تحويل» عنصر إلى عنصر آخر، الأمر الذي لم يكن مقبولاً لدى علماء الكيمياء في القرن التاسع عشر. وعلى هذا فالثورات العلمية هي أحداث متعارضة تعبر عن اتجاهات جدالات عنيفة بين عدة مدارس، وقد كتب كون يقول «لا توجد طريقة أخرى فعالة لتشجيع الاكتشاف العلمي».

وكما نرى في الثورات السياسية، تنم أيضاً متانة الباراديم السائد عن طريق تعبئة أساليب فكرية سابقة معتبرة بأنها بائدة. هكذا أمكن للفيزياء النووية (القرن الثامن عشر). معارضة الميكانيكا الديكارتية (القرن السابع عشر) باللجوء إلى خاصيات «خفية» (أو سحرية) تتوافق أكثر مع فيزياء أرسطو (القرن الرابع ق.م.). ومع المدارس الفلسفية الشهيرة في القرن الوسطي. ولهذا السبب واجهت الفيزياء النيوتونية مقاومة عديدة من العلماء

نبذة عن توماس كون

توماس كون Thomas Kuhn ولد في ١٩٢٢ في شيكاغو، إلينوي، الولايات المتحدة. حصل على دكتوراه في الفيزياء من جامعة هارفارد في عام ١٩٥٥. عمل في مختبر الفيزياء في جامعة هارفارد من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦١. ثم انتقل إلى جامعة MIT حيث عمل في مختبر الفيزياء من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧٧. في عام ١٩٧٧، نشر كتابه الشهير «بنية الثورات العلمية» الذي أحدث ثورة في فهمنا للعلوم. حصل على جائزة نوبل في الفيزياء في عام ١٩٧٧. توفي في عام ١٩٩٦.

الديمقراطية

والنشاط الخاص الصناعي والانتاجي

مصام الرعم

المختلفة ثقافياً (تكنولوجيا) وصناعياً واقتصادياً ومن باب أولى البلدان التي تصنف ضمن أقل البلدان نمواً، ومنها اليمن. أين يكمن مصدر الاختلاف الشديد بين الإشكالية في بلدان الرأسمالية المتطورة وتلك في البلدان المختلفة؟

إنه يكمن في اكتمال اقتصاد السوق وهيمنته هيمنة مطلقة على البنية الوطنية الاقتصادية الاجتماعية في البلدان والمجتمعات الأولى، وفي ضعف اقتصاد السوق وعدم اكتمال نموها وتعايشها مع أنماط اقتصادية أخرى جعلها سابقة لاقتصاد السوق في البلدان والمجتمعات الأخيرة واليمن (مرة أخرى) منها.

بعبارة أخرى فإن تحديد العلاقة المتبادلة بين الديمقراطية وبين النشاط الخاص الصناعي والانتاجي مدرجاً في النشاط الاقتصادي العام ومحدد بالتطوّر الاقتصادي الاجتماعي الثقافي السياسي السائد، يتم في إطار مرجعي هو القدر المحدود لاقتصاد السوق.

كيف تتحدد وتتطور العلاقة المتبادلة بين المسألة الديمقراطية وبين النشاط الخاص الصناعي والانتاجي؟

إن تبادل هذه الإشكالية يستدعي مجدياً لدى التعدد والتركز في إدارة النشاط الخاص الصناعي ثم إدراجاً لهذا النشاط في مجمل النشاط الاقتصادي محدداً بالتوزيع الاقتصادي والاجتماعي الثقافي السياسي السائد.

من ثم نعيد صياغة الإشكالية المطروحة على النحو التالي:

كيف تتحدد وتتطور العلاقة المتبادلة بين المسألة الديمقراطية وبين النموذج الإجمالي الاقتصادي السائد.

بيد أن هذا التحديد المعدل لا يكفي حيث أن إشكالية العلاقة المتبادلة بين المسألة الديمقراطية والنشاط الخاص الصناعي والانتاجي ومجمل النشاط الاقتصادي ونطاق إدارته وتطوره تختلف (وأي اختلاف) في البلدان والمجتمعات التي بلغ تطورها الثقافي (التكنولوجي) والاقتصادي مستويات رفيعة من الصناعة واخترت ميادين جديدة للتقنيات (التكنولوجيا) ما بعد الصناعية مثل الولايات المتحدة أو فرنسا أو ألمانيا أو السويد، عنها في البلدان والمجتمعات

الديمقراطية

الاقتصادية

أولاً..

الديمقراطية

دائماً

في العبد الماضي نشرت المسار الجزء الأول من هذا الدراسة التي كتبها د. عصام الرعم حول مقومات الديمقراطية نمو استراتيجة وطنية للتنمية. وقد تناول الجزء الأول العلاقة بين الثورة الاقتصادية والتجارية في أوروبا الغربية والولايات المتحدة غاليان، والثورة الفكرية والسياسية (الديمقراطية)، منتهياً إلى علم توافيقها وتطابقها بوقوع تناقضات حادة بين اقتصاد السوق وتوسيع الديمقراطية، حيث احتلت قضية توسيع السوق أولوية مطلقة تسبق الديمقراطية وتوسيعها وتعميقها. مؤكداً من نفس الوقت إمكانية تحقيق مؤازرة بينهما ونشرت على هذا المجتمعات الجزء الثاني من هذه الدراسة على أن يتسنى الجزء الثالث والأخير في العدد القادم.

تجارب استيراد وأرباب صناعة. ومستثمرين
وأسماليين في الزراعة وفي الخدمات، ومثقفين
وعمال صناعيين وموظفين لدى الدولة وغير،
وفى أن تنظم باضطراب إلى صفوف أعداد
منهم أن تتيبوا الصدارة في القطاعات والمدن
القيادية بالتحالف والتنافس مع بعضهم.
بالمقابل فإن بطء تحوّل المجتمع من الأمية
(رغم التقدم الباهر المحرز خلال ربع قرن في
تقليص نسبة الأمية بين الذكور وبين الإناث
على السواء) وتدهور القوة الشرائية بتوسع
الفقر واضمحلال الطبقة الوسطى أو انحدارها
الشديد، وتضخم الدور الاجتماعي
والإيديولوجي والصحي والتعليمي والخدمي
للقطاعات القبلية والظاهرة الإقليمية في
المجتمع بفعل غمّ التطلّبات الاجتماعية وتوسع
التحديات المعيشية والاقتصادية وقصور
الدولة في القيام بأعبائها، وتواصل الانكسار
المانوّة للحزبة وللعمل السياسي والثقافي
وضعف الاعلام الحزبي والنقابي المبر عن
حاجات المجتمع المدني والمستقل عن السلطات
المهنية على اختلافها، وعوامل أخرى أعاقّت
وتعيق بقرّة توسيع الممارسة الديمقراطية
وتأكيد الديمقراطية التعددية، وأثّرت في
عملية تداول السلطة السلمي كما جرت منذ
قيام الوحدة اليمنية وحتى الآن. وزيد القول
أن الظواهر المجتمعية البارزة الاجتماعية
والثقافية والإيديولوجية (القيمية) قُتل
باعتبارها ظواهر متفاعلة مع أطر التعددية
السياسية وتداول السلطة السلمي حيزاً غنياً
للبعث والتحليل والاستنتاج حول العلاقة
التبادلية بين الظواهر الاجتماعية والثقافية
المرتبطة بالبنى ومراكز القوة والقرار كما هي
مرتبطة أو متشكّلة منذ الثورة الجمهورية
والجلاء الأجنبي، مع الظواهر السياسية
البعثة ومن منظور تحقيق التعددية والتداول
السلمي للسلطة.

يبد أن التصدي للبحث والتحليل في
علاقة الظواهر البنيوية الاجتماعية الثقافية
القيمية مع المشروع الديمقراطي القائم على
التعددية السياسية وتداول السلطة السلمي لا
يعطينا ولا يغنينا على أهميته الواضحة عن

تجربة اليمن نموذج لإشكالية الديمقراطية والنشاط الاقتصادي الخاص في الميلاد الثاني

عن إطار نظري تحليلي واستنتاجي جملة
العوامل الداخلية المتصلة في البنى المجتمعية
(الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
والسلطوية) وفي السياسات العامة المقررة
والممارسات السائدة، فضلاً عن العوامل
الخارجية المؤثرة. لكن تحديد الاطار النظري
يستوجب بدوره واقع التشكيلة الاقتصادية
الاجتماعية السائدة في المجتمع والميزة له
وتحديد واقع السوق من حيث مدى غوها
 وانتشارها الوطني ودورها الفعلي في توجيه
 العملية الاقتصادية الوطنية وتنظيمها
 وتطويرها، وواقع القطاع الخاص الصناعي
 والانتاجي والتجاري ودوره الفعلي (في
 شموليته وفي تناقضاته) في النشاط
 الاقتصادي العام وفي رسم السياسات
 الاقتصادية وتحديد أهدافها الاستراتيجية
 البعيدة اتقضي، والنحمت خلالها والمؤسسة
 العسكرية في توليفة فعالة بسطت سيطرة
 الدولة وحقت الاستقرار السياسي بدرجات
 عالية، بل أن المؤسسة القبلية افلحت في أن
 تتجاوز بقرّة مع القوى الاجتماعية الجديدة من

وعدم هيمنة السوق في الاقتصاد الوطني
وتجزؤها عن تحريك عملية النمو الاقتصادي
وإدارتها وعن تعبئة القوى الاجتماعية.
التطلّقات الأساسية إلى تحديد علاقة
النشاط الاقتصادي إجمالاً بالديمقراطية
وعلاقة القطاع الخاص الصناعي والانتاجي
خصوصاً بها في المجتمعات المتخلفة اقتصادياً
الأخذة بالتحوّل إلى اقتصاد السوق.
مثل توحيد اليمن في مايو أيار سنة
١٩٩٠ للميلاد انعطافاً تاريخياً بالنظام
السياسي نحو الديمقراطية والديمقراطية
التعددية، كان إعلان التعددية السياسية
وتداول السلطة السلمي في دستور الدولة
الوحدة تحولاً تاريخياً عن مفاهيم مؤثر
الشعب كله (بكل فئاته الاجتماعية ومشاربها
الفكرية) وحزب الاشتراكية الواحد القائد
بالحزب التعددية السياسية، وتأييدها
سياسياً صريحاً للتخلي عن احتكار
السلطة والتعشيش التعسفي بها
والقبول الصريح بالانتخابات الحرة
وبهذا تداول السلطة السلمي.

وبقدر ما يبدو إعلان التابئين الاسمين
الأثنين المشار إليهما أي التعددية وتداول
السلطة السلمي، وإشهارها والتأكيد عليهما
في الخطاب السياسي والإيديولوجي حقائق
ساطعة لا يس فيها، فإن تجسيد هذين
الشابئين وتأسيسهما الوطني
والمجتمعي وتحقيقهما وممارستهما
الحقة تخضع لاعتبارات موضوعية
اقتصادية واجتماعية وثقافية
وايديولوجية وسياسية، تتحدد داخلياً
بالمعملة الاقتصادية وأهدافها البعيدة
وإدارتها كما تتحدد بالمعملة الاجتماعية
والتربوية والتعليمية والثقافية والاعلامية
وأهدافها وإدارتها فضلاً عن المعملة
السياسية بوصفها عملية تنظيم وإدارة
وتعبئة وصنع قرارات. كذلك تخضع
الاعتبارات الموضوعية المبيته هنا إلى عوامل
خارجية دولية وإقليمية سياسية واستراتيجية
وأمنية واقتصادية. إن الإشارة إلى عوامل
شئى داخلية وأخرى خارجية مؤثرة لا تغنيها

التصدى لاشكالية الهوية القائمة بين تبني دولة الوحدة انتصار السوق وتأكيدها المضطرب زيادة السوق وقيادة القطاع الخاص وانتاج الاقتصاد ، وبين تخلف السوق وقصور غوها وعوائق عملها -وضف القطاع الخاص الصناعي ودوره المحدد في العملية الاقتصادية، بعبارة أخرى كيف ترسم العلاقة الجدلية بين تطبيق الديمقراطية التعددية وتداول السلطة السلمي وبين بناء سوق وطنية موحدة وتطويرها والقريبة، وأناق التغيير الجذري الممكنة في حال السوق ودورها في الاقتصاد الوطني والعملية الانمائية الاقتصادية والاجتماعية وفي واقع القطاع الخاص وقدراته القيادية ودوره الريادي والقيادي في تفعيل العملية الاقتصادية وتوسيعها المضطرب وتمييزها وفي قيادتها عبر التفاعل الديمقراطي مع المؤسسات الرسمية أي المنبثقة بالارادة الحرة عن المجتمع المدني.

ذلك أن إشهار التعددية الديمقراطية وتداول السلطة السلمي على إيجابياتها التاريخية لا يتحقق بصورة مستقلة عن التركيب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والايدولوجي، ولا يتفرون بصورة منفردة عن التحول الاقتصادي من حيث أهدافه المقررة وسياساته وتدابيره ومرتباته الاجتماعية والثقافية والתרورية والاعلامية عوامل مترافقة أو متناقضة (وهي بالحقائق مترافقة ومتناقضة معاً) مع التوجه الجديد (منذ تحقيق الوحدة) إلى الديمقراطية التعددية وتداول السلطة السلمي. كيف يكون التوافق والتناقض معاً؟ يكونان في تدخل القبيلة في مفهومها الديمقراطي أو ممارستها السلطوية المناهية للديمقراطية، يكون التوافق والتناقض أيضاً في تدخل القبلة بوصفها سلطة للشعب فوق مراكز القرى أو السلطات الدنيا عندما تمنح هذه المراكز والسلطات إلى السلف وفي إجماع الدولة أو عجزها عن التدخل لصالح الديمقراطية إزاء عسف مراكز أو سلطات تابعة للدولة نفسها أو قائمة خارجها.

لقد أقر محفلو الشعب اليمني وقادته

دستوراً للدولة الوحيدة نصي صراحة على الديمقراطية التعددية وتداول السلطة السلمي. كما أقروا في الوقت نفسه تحولا بالاقتصاد الوطني من قيادة الدولة (وتدخلها المباشر أو بتوجيهها أي تدخلها غير المباشر) إلى اقتصاد السوق وريادة القطاع الخاص وقيادته التدريجية العملية الاقتصادية والتنموية. في هذا الاقرار المزدوج السياسي والاقتصادي يكمن التحدي الذي تصدى له معدهمك العتيد معهد تنمية الديمقراطية منذ تأسيسه، وتصدى له تصدياً جريئاً صريحاً اجتهدا بعبقه هذه الندوة.

يتلخص هذا التحدي باجتهادنا في صياغة العلاقة (الجدلية بالضرورة) بين تأكيد الديمقراطية وتوسيعها وتطويرها والتأسيس مجتمعياً لها على أساس الإرادة الحرة والتعددية معاً في مجتمع تخطضت فيه المؤسسة القبلية خلال عقدين ووضع نظام وآليات لتنظيمها وإدارتها والرقابة عليها وتوجيهها نحو التنمية الحقة الاقتصادية والاجتماعية بعيدة المدى بلاستناد إلى مبدأ رقابة الشعب على النشاط الاقتصادي والسياسي العام ومن خلال تفعيل مؤسسات المجتمع المدني تفعيل ديمقراطي مستقل الارادة بما فيها مؤسسات القطاع الخاص نفسه، وعبر تحقيق الحوار الديمقراطي بين هذه المؤسسات وسلطة الدولة؟.

تجاهه اليمين اذن مهتمان مترابطان جدلياً : مهمة سياسية فحواها تحقيق الديمقراطية التعددية، وتوسيعها في المجتمع وتمييزها وتطويرها بالتلازم مع تفعيل تداول السلطة السلمي. ومهمة اقتصادية فحواها استكمال بناء، التخلف الاقتصادي والاجتماعي والتوجه بقوة وثبات نحو التنمية البشرية والمجتمعية. في إطار المهمة الاقتصادية يندرج دور منشود للقطاع الخاص الصناعي والانتاجي يتحدد بضرورة ويستوجب منطقياً تحديداً صريحاً (ومطوئاً في مراحل التنمية المتلاحقة) لغرقه الاقتصادية والسياسية واجباته الاقتصادية والاجتماعية).

ولما كان القطاع الخاص عاجزاً عن تحقيق

غوره الذاتي وغو الاقتصاد الوطني برمته بمنزل عن الدولة ولأننا نحتاج القطاع إلى تدخل الدولة الاستشرافي والتخططي والتوجيهي والتنظيمي وأحياناً الانتاجي المشاريع، فإن تحديد دور القطاع الخاص الصناعي والانتاجي في تحقيق المهتين السياسية والاقتصادية المعرفتين أعلاه لابد وأن تقتزن بتحديد دور الدولة المركزية الوطنية ومؤسسات الحكم اللامركزي فيها أيضاً.

حتى انهيار الاتحاد السوفيتي ونظامه الاشتراكي الدولي، كنا نواجه إشكالية أخرى هي إشكالية العلاقة المتبادلة بين الديمقراطية والنموذج الاقتصادي القائم على ملكية الدولة والمارر من سلطتها، ويجدر الذكر هنا بأن هذه الاشكالية حلتلت التباسا مصدره اختلاف دور الدولة الفعلي الاقتصادي والسياسي والايدولوجي المحدود في البلدان حديثة الاستقلال التي أعلنت تبنيها الاشتراكية (وإن بصيغ مختلفة) عنه في البلدان التي هيئت فيها ملكية الدولة وسلطتها وراقبتها على النشاط الاقتصادي والمجتمعي كالاتحاد السوفيتي، هذا فضلاً عن إشكالية أخرى مكملة وشائعة المعالجة وهي إشكالية الفصام بين النظرية والتطبيق أو الانحراف في التطبيق، وهذه الاشكالية تتناحل والإشكالية السابقة فتجعل مهنة أصعب الممايزة بين إشكالية العلاقة بين الديمقراطية والممارسة الاقتصادية المسماة اشتركية في البلدان السوفياتية وبين الاشكالية نفسها في البلدان المتخلقة التابعة اقتصادياً.

لكن انهيئار الاتحاد السوفيتي والنظام الاشتراكي الدولي من حوله من جهة، واندماج شطري اليمين بتوحده التاريخي سنة ١٩٩٠ من جهة أخرى يعطينا هتتا في الأفق التاريخي المنظور على أقل تقدير) عن تناول هذه الاشكالية مما يساعدنا على التركيز على إشكالية العلاقة بين الديمقراطية واقتصاد السوق في بلد متخلف يتبين فلسفة اقتصاد السوق دون أن تكون سوقه الوطنية ثابتة موحدة ومهيمنة. على التنظيم والادارة

والكهرباء - والمياه والاتصالات الهاتفية بما زاد من تكاليف الإنتاج المحلي، كما جرى إلغاء القائمة المعروفة بالقائمة السلبية للاستيراد تحميراً للاستيراد مما عرض ويعرض الإنتاج الصناعي المحلي لمنافسة جديدة وجدية، وأما وعيق دافع التوسع في الاستثمار الصناعي، فضلاً عما تقدم جرى تبسيط رسوم الاستيراد بالجماء تخريه مما سمح بدخول منتجات نهائية أجنبية المصدر إلى الأسواق المحلية ومنافستها المنتجات المحلية من حيث الجودة والأسعار، كما جرى رفع أسعار الفائدة المصرفية مما زاد من أكلال الاستثمار وأعان فرصة الربحية، ومنع بشدة من. احصايات الاقتراض من المصارف لأغراض الاستثمار وقد أثارت هذه التدابير احتجاجاً على القطاع الخاص الصناعي واعتراضهم، كما طهرني المقالة المنشورة تحت عنوان البطالة قبل القفر في عدد من صحيفة الثورة، بقلم الصناعي البارز أحمد هائل سعيد لكن المغارقة اللافتة للاهتمام، هي اتجاه الحكومة أيضاً إلى فرض رسوم الاستهلاك من أجل زيادة دخل الميزانية العامة في إطار الإصلاح الاقتصادي من شأنها إعاقة الاستثمار حيث أن معظم السلع المستهلكة مستوردة بحكم ضعف الصناعة التحويلية وقطاعات الإنتاج السلي في الاقتصاد اليمني، الأمر الذي دفع اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة بدوره إلى توقيع مذكرة احتجاج إلى السلطات المعنية.

في العدد القادم:

الجزء الثالث

والأخير

من الدراسة

والهارة الانتاجية المحلية وتقليص فرص العمل ويحد من توليد الدخل من الاستثمار والتشغيل الصناعيين بالمقابل يؤدي تحرير الاستيراد وتوسيعه إلى نقل أنماط متزايدة ومتجددة من الثقافة (التكنولوجية) وقد يوسع من فرص العمل في زرع الخدمات المعتمدة على استيراد السلع والخدمات. بيد أن تحرير الاستيراد يعيق تراكم الاستثمار في الصناعة والإنتاج السلي ويفضي إلى تبعية ثقافية (تكنولوجية) واستهلاكية وإجمالية تنقل ميزاني التجارة الخارجية والمدفوعات وتطلق الننان للمدىونية الخارجية.

اتفاق المصالح المتناقضة والتقاؤها مطالب مشتركة

بالمقابل يتفق التجار المستوردون على المطالبة بحماية الفساد والتسبب والابتزاز من أجهزة الدولة ومطالبون بشارك ممثلين لهم في عملية صنع السياسات الاقتصادية في البلاد بضرورة الحكومة لهم حول القرارات والأنظمة التي تخص انشطتهم.

إن اختلاف المصالح والمطالب بين تجار الاستيراد وأرباب الصناعة أمر تقليدي ويتركز حول تحديد ماهية السياسات الاقتصادية وأهدافها ووسائلها، وحول فلسفة تنمية الاقتصاد الوطني وسياسات إدارته؟ ويعبر خلاف أساسي في هذا الصدد بين رعاة الحماية الجمركية والتجارية أداة لتعزير الصناعة الوطنية واستثماراتها الفنية ويزين رعاة الحرية التجارية وسيلة لخدمة المستهلكين وأداة لتحفيز الإنتاج المحلي المؤهل لمواجهة تحدي الاستيراد وحتى التصدير.

بيد أن اختلاف المواقف والمصالح بين الصناعيين وتجار الاستيراد اتخذ مؤخراً أهمية مستجدة وحمل دلالة خرافية بفعل اقرار الحكومة برنامجاً للإصلاحات الاقتصادية تقوم فلسفته الأساسية على تثبيت الميزانية العامة والتفد الوطني وميزاني التجارة الخارجية والمدفوعات. حيث جرى رفع أسعار المشتقات البترولية

بشقيهما الاقتصادي والاجتماعي، بل ويك يتبين الديمقراطية التعددية دون أن يتاح لهذه الديمقراطية أن تشكل نداءً فعالاً للسلطوية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وذلك بحكم نشوء هذه الديمقراطية الجديدة وعهدها القصير، ونظراً لضعف مؤسساتها التشريعية والقضائية وإزاء المغارقة بين ضور الحياة المزنية وضور مؤسسات المجتمع المدني المستقلة والسياسية وبين توسعية الجوانب السلطوية من الدولة والمجتمع.

اختلاف المصالح باختلاف المواقف واختلاف المطالب باختلاف المصالح

تشكل الصناعة خاصة والإنتاج السلي عامة موضوعاً للفتار في المواقف ومن ثم في المصالح ومن ثم في المطالب بين رجال الأعمال الذين يستثمرون في الصناعة ونشودون الربح من استثمارهم فيها وأولئك الذين يستثمرون في نشاط الاستيراد ونشودون الربح من خلال الاستيراد والاستهلاك. وفي ظروف اليمن الراهنة يطالب تجار الاستيراد من موافقهم في تجارة الاستيراد (واستيراد السلع المجاهزة خاصة) بتحرير هذه التجارة وتقليص رسومها إن لم يكن إلغائها تماماً، كما يطالبون بإزالة معوقاتها ألقانونية والمالية والضريبية والاجرائية والمؤسسية وتدودون بمعوقات غير القانونية كالإتاوات والرشاوى والمحسوبية والتأخير الاجرائي التعسفي).

أما الصناعيون على نقض التجار المستوردين يتمسكون بالحماية الجمركية والصناعية ويسعون لتقليص رسوم استيراد المواد الأولية والوسطية والمخلات الانتاجية الأخرى اللازمة للصناعة وتحفظ استيراد السلع المنتجة المنافسة لمنتجاتهم المحلية أو لفرض رسوم جمركية على مستوردها، وتقدم الدعم التمويلي والترويجي لنشاط التصدير.

من الناحية الموضوعية يعيق تحرير الاستيراد نمو الاستثمار المحلي في الصناعة والإنتاج السلي إجمالاً وبالتالي فهو يعيق أيضاً تطوير القدرة الثقافية (التكنولوجية)

التبعية (٢)

التبعية

المعاصرة

د. خليل حسن خليل

بعد الحرب العالمية الثانية، تأصل نوع جديد آخر من التبعية، أسس على «الشركات العابرة للقوميات»، والتي بدأت تستثمر في صناعات وضعت في السوق المحلية للدول التابعة ولم يشكل هذا النمط من التبعية، ولم يخلص من العلاقات الدولية، لهذه الدول الأخيرة، فحسب ولكن مع هيكلها الداخلية، كذلك فقد وجهت هذه الانماط الانتاج وشكلت صور التراكم الرأسمالي وبوذلك التركيب الاجتماعي والسياسي لتلك الدول.

التبعية الجديدة، وتعريق التصنيع

لكي يمكن تصور ملامح التبعية الجديدة بدور الشركات العابرة للقوميات في تكوينها نجد بنا أن تلقى ضوءاً على الفيرد التي تواجه التنمية الصناعية في البلاد المتخلفة:

أ- تعتمد التنمية الصناعية في الدول المتخلفة على قطاع تصدير من أجل الحصول على العملة الأجنبية لشراء المدخلات اللازمة لقطاع الصناعة- وينتج عن ذلك أن تظل الحاجة للإبقاء على قطاع التصدير التقليدي، الذي يحدد اقتصادياً من تطوير أو تنمية السوق الداخلية،

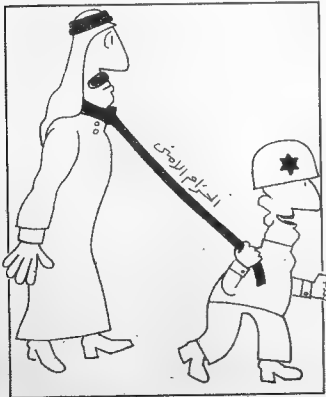
وذلك بالإبقاء على علاقات متأخرة، ويعني سياسياً تدعيم قوة القلة من الملاك التقليديين وفي البلاد التي يسيطر فيها رأس المال الأجنبي على تلك القطاعات، فأنها تعنى تحويل أرباح كبيرة للخارج، وتبعية سياسية لهذه المصالح، فـرأس المال الأجنبي غالباً ما يحكم تسويق تلك السلع.

ب- وينتج على ذلك، أن التنمية الصناعية محكومة بالتقلبات في موازين المدفوعات- ويؤدي ذلك إلى عجز في الميزان ناجم من علاقات التنمية نفسها- ونعرض هنا لثلاثة من أسباب العجز:

١- العلاقة التجارية بين البلد المتخلف (أو التابع) والمركز المهيمن تحدث في سوق دولية محتكرة يسودها ميل إلى تخفيض سعر المادة الأولية، ووقع أسعار السلع المصنوعة، وبصفة خاصة المدخلات، والميل لاستهلاك المواد الأولية «الاصطناعية» (الأياف)- بالمنتجات الأولية. والأرقام معطردة لبيان تدهور معدل تبادل الدولي، للدول التابعة بالنسبة للدول المتبوعة. ومن الأمثلة في هذا الصدد، الإرقام التي نشرتها اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية، التابعة للأمم المتحدة، وستندوق النقد الدولي عن أمريكا اللاتينية (عدا كوبا) - هذه الأرقام تقدر خسائر تلك القارة الناجمة من تدهور معدل تبادلها التجاري بين عامي (١٩٥١، ١٩٦٦، بنحو ٢٦٣٨٣ مليون دولار.

٢- للأسباب السالفة: يسيطر رأس المال الأجنبي على القطاعات الأكثر دينامية، ويحول قدراً كبيراً من الأرباح وعلى ذلك فحساب رأس المال ليس موازياً للبلاد التابعة، حيث وجد أن رأس المال المغادر للدول أكبر من الوارد إليها.

يضاف إلى ذلك العجز في بعض الخدمات التي تسيطر عليها الشركات الأجنبية، كالتأمين والتأمين والمساعدة الفنية وغيرها، فتؤدي من عجز ميزان المدفوعات، الأمر الذي يحد من استيراد المدخلات اللازمة للصناعة.



كما يلي:

أ- الحاجة إلى الإبقاء على هيكل التصدير الزراعي والمنجمي في البلاد التابعة يولد جمعا بين مراكز اقتصادية معتمدة تستخرج فائض قيمة من الأجزاء المتخلفة. فالحاجة غير الشكافة للتنمية الرأسمالية على المستوى الدولي يعاد إنتاجها داخليا بشكل دقيق.

ب- الهيكل الصناعي والتقني والاقتصادي والمالي للاقتصاديات المهينة، يحول الشركات العابرة للقوميات أكثر مما يستجيب حاجات التنمية الداخلية. منظور إليها ليس فقط من وجهة نظر مصالح الجماهير، ولكن أيضا من وجهة نظر التنمية الرأسمالية الوطنية.

ج- التركيز التقني والاقتصادي والمالي للاقتصاديات المهينة، يحول دون تغيير كبير في اقتصاديات ومجتمعات مختلفة تماما، مما يؤدي إلى هيكل إنتاجي غير متكافئ بدرجة كبيرة، وإلى تركيز كبير في الدخل، واستخدام أقل للطاقة الانتاجية، واستغلال كثيف للأسواق الموجودة التي تتركز في المدن الكبرى.

وينطبق تراكم رأس المال في هذه الظروف بخصائص منها:

- يوجد بين شاحس بين مستوى أجور محلية في إطار سوق عمل محلي رخيص، وتكنولوجيا كثيفة رأس المال. والنتيجة من وجهة نظر فائض القيمة النسبي، درجة كبيرة من الاستغلال لقوة العمل، ويحتمد هذا الاستغلال بواسطة الأسعار العالمية للسلع الصناعية، التي فرضت بالحاجة والاعفاءات، والاعانات المطاة من الحكومة الوطنية، والمساعدة من المراكز المهينة. وأكثر من ذلك إذا كان التراكم التابع مرتبطا بالاقتصاد الدولي، فانه يشكل بغاية عدم التكافؤ في العلاقات الاقتصادية الدولية، والسيطرة التكنولوجية للمراكز الرأسمالية المتقدمة، وبحاقن موازين المدفوعات، وبالساسة الاقتصادية للدولة إلى غير ذلك.

ومن الممكن فهم القيود التي فرضها هذا الهيكل الانتاجي على نمو الاسواق المحلية في البلاد المتخلفة، فبقاء العلاقات التقليدية في الريف يعتبر قيما جذبا على حجم السوق، نظريا لأن التصنيع لا يقدم أملا للمستقبل ذلك لأن الهيكل الانتاجي الذي خلق بواسطة التصنيع يحد من نمو السوق الداخلية. للأسباب التالية:

١- تعرض القوى العاملة إلى علاقات استغلال تحد من قوتهم الشرائية.

٢- حينما يؤخذ بتكنولوجيا كثيفة رأس المال، وتخلق وظائف قليلة بالمقارنة بنمو السكان، ويحد من خلق مصادر جديدة للدخل.

٣- تحويل الأرباح للخارج ينقل جزءا هاما من الفائض الاقتصادي الذي ولد في الدول المتخلفة.

من كل هذا تقوم عقبات أمام القيام المتوقع لصناعات وطنية أساسية، يمكن أن تقدم سوقا للسلع الرأسمالية التي يمكن لهذا الفائض أن يجعلها ممكنة، إذا لم ينقل للخارج.

من هذا نرى أن تخلف الدول لا يرجع إلى أنها لم تندمج مع الرأسمالية العالمية، بل على العكس لأن العقبات الكاداة، لنموها تأتي من الطريقة التي انضمت بها إلى هذا النظام الدولي ولقوائمه في التنمية.

كان لزاما علينا أن نلجأ إلى هذه النظرية للعلاقة بين الاقتصاد الرأسمالي المتقدم، وبهو الاقتصاد المتنوع، وبين الاقتصاد المتخلف والتابع، وكيف تستنزف هذه العلاقة: الفائض الاقتصادي للدول التابعة وكيف تؤدي العلاقة إلى تعويق التصنيع، ومن ثم إبقاء الاقتصاد التابع متخلفا. وسوف نعرض في المقالات القادمة لأنواع التبعية الاقتصادية، وأهمها التبعية التجارية، وتبعية رأس المال، ثم التبعية التكنولوجية ثم نحاول أن نرسم طريقا للخلاص منها.

٤- ويتجيم عن ذلك، خلق حاجة للتحويل الأجنبي لقرضين: العجز القائم، ولتحويل التنمية بقروض لدفع الاستثمار. هذا وقد تفتت الفائض الاقتصادي الذي كونه محليا، عن طريق تحويل الأرباح إلى الخارج، وهذا فان رأس المال الأجنبي، يملأ الخروق التي أهدتها.

٥- الاحتكار التكنولوجي: التنمية الصناعية محكومة بالاحتكار التكنولوجي الذي يباشر بواسطة المراكز الصناعية الرأسمالية المتقدمة والدول المتخلفة تعتمد في تصميمها على استيراد الآلات أو المواد الأولية غير المتوافرة لديها، وهذه ليست متاحة بحرية في الأسواق الدولية، بل هي محترقة، وعلوكة بواسطة الشركات العابرة للقوميات، لا تبقيها كسبل عادية، بل تطالب بدفع **Royalties** وغيرها نظير استخدامها أو أنها تحول هذه السلع في معظم الأحوال إلى أسمايل، وتقدمه في شكل استثمارات قلقها، وهذا يوضح أن الآلات التي تبدل في المراكز المهينة بواسطة تكنولوجيا أكثر تقدما، ترسل إلى الدول التابعة كإسمايل لاقامة شركات تابعة، ونقص هذه العلاقة بين ما بها من قهر واستغلال.

الدول المتخلفة ليس لديها عملات أجنبية كافية، للأسباب السابقة، ورجال الأعمال المحليون تواجههم مصاعب مالية، ويجب أن يدفعوا مقابل نظير فنون مسجلة، هذه العوامل تجبر الحكومات البرجوازية الوطنية، على تسهيل دخول رأس المال الأجنبي، وذلك لد السرق المحلية المحدودة، بغرض تشجيع التصنيع. لهذا فرأس المال الأجنبي، يدخل بكل الامتيازات التي تقدم له طوعية الآن، بعد أن كان ينتزعه قسرا إبان الاستعمار: إعفاء من الرقابة على الصرف لاستيراد الآلات، تقدم له الموانع لإنشاء المشروعات، أو تعطى له الأرض بأثمان إسمية.. الوكالات الحكومية المالية تسهل له التصنيع، القروض متاحة من البنوك الأجنبية والمحلية، إعفاء من الضرائب، وحظي بعمل وطني رخيص، إلى غير ذلك، وبعد الانتهاء من الأرباح العالية، تنقل غالبا إلى الخارج.

٦- أثر التبعية على الهيكل الانتاجي:

النظام الانتاجي في البلاد المتخلفة بواسطة تلك العلاقات الدولية





فخري لببيب

مدرس وجيولوجي.. وأشياء أخرى

د. رفعت السعيد

بهذه غالب يستعيدها دوماً، ويستعيد بأسى صورة خاله الذي شقته الإنجليزية في أحداث الثورة.. ومفتش التاريخ بمحس هو أيضاً وشاهدهم أن يكون من بينهم.. أحمد عرابي آخر أو مصطفى كامل آخر.

أدمن القراءة.. وفي الثالثة الثانوية كان طالباً في القيوم (الأب انتقل إلى هناك).. وهناك التقى بصديق العمر عهد الله كامل وكزنوا جمعية للقراءة.. كل عضو يدفع خمسة مليمات ليشترتوا رواية يتبادلون قراءتها.. لكن مدرس الإنجليزية (وكان الإنجليزي) حاول أن يترفع على الجميع، فقررهم عليه مشهورين في وجهه ما كان يرتجف كراهية له.. الاشتراكية.. وكان يستفهمه : الاشتراكية تعني أن تأكل في طبق واحد مع خادمك، ويستفهمه.. نحن قراء لا خدم لنا.

وفخري هو الابن الثاني بين سبعة أخوة.. تنقل مع الأب من مدينة لأخرى فأصبح له في كل مدينة صديقة ذكريات وأصدقاء.. طما.. أبو قرقاص.. جرجا.. القيوم-أسوان الخ. حفظ تعلم في المدرسة الإلزامية.. حفظ القرآن كثيراً كغيره من التلاميذ دون حساسية، فقط كانت الوحدة الوطنية أيامها راسخة، وكان المدرسون يعلمون التلاميذ أن الدين لله والوطن للجميع. المدارس زمان كانت تفتك مكتبات قرأ فيها المتكطف والرسالة وكتب التفلوطي، والمدرسون أيامها كانوا مدرسين حقاً.. أوقعه حظه في مدرس للتاريخ حتى لهم بحماس أحداث الثورة الفرنسية من فرط حماسه أسموه «ميرابو».. ودعاهم إلى أن يتعلموا كيف يكونون ثواراً.. ومدرس اللغة العربية كان يستحشهم أن يستعيدوا ذكريات ثورة ١٩١٩ (ذكرياتها عالة

الاسم: فخري لببيب
حنا.

تاريخ الميلاد: ٧ فبراير ١٩٢٨.

محل الميلاد : سنورس - القيوم.

المهنة: مدرس - محترف - جيولوجي -

مترجم - مسئول الإعلام بمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا.

الاسم الحركي: أنور.

الجد عامل، خراط في السكة الحديد، يشقى ليعلم أبناءه (معاون تلفراف، ناظر محطة.. إلخ) والأب معاون

المحطة أفنى حياته كي يعلم أبناءه كي يكونوا أحسن مني

هكذا كان يعلم، ويحقق الحلم.. ضابط، طبيب، محاسب، جيولوجي.. إلخ.

«من ممارسة

الانقسامية

تعلمت ورأيت

مدى خطورتها»

.. وفي السجن

خاض مع

الآخرين

معركة التوحيد

باعتبارها

مسالة

حياة أو موت

وعالم آخر هو عالم «المحطة» حيث الأب يدبر الكون النادر بطبيعته . هو يرتدى جلبابه يتمشى إلى المحطة حيث عالم متجدد . مترفون في عربات الدرجة الأولى . قراء . باع . جنود احتلال . وآهم من هذا ان القطار يأتي مصطحبا معه . الصحف .

.. انتقل أبوة مرة أخرى إلى المعاميد (أسوان) .. أخذ أوراقه إلى ناظر المدرسة الثانية . الرجل رفض لأن الطالب قادم من مدرسة أهلية ، ويخشى أن يربس في امتحان «الثقافة» فيفسد نتيجة المدرسة . كان رده على رفض الناظر .. هادئا وعينيا . بقي واقفا أمام باب المدرسة . من الصباح حتى نهاية اليوم للمدرسي ، في اليوم الرابع وضع الناظر استعداده .

عام ١٩٤٦ .. عام الصخب الوطني المرتفع . اللجنة الوطنية للطبيب والمعلم والمطاهرات الصاخبة .. هذا العام وحده في الجامعة . كان جاهزا ومستعدا للاشتراكية ، ففي اسرار الثانوية التي يجموعه اقتعت نفسها أنها اشتراكية ، هناك علق صورة ستالين على حائط غرفته . ثم على هذا الفكر المذيق الذي احاط به ، راسل صديقه عهد الله كامل متحدثا عن الفكر والاشتراكية وستالين .

أيام الجامعة كان يسكن في حجره فوق السطح في شبرا . جنود الاحتلال آثاروا اعضاءه . قرر ان الحل الوحيد هو قتله . دعاه زميل له في الكلية إلى اجتماع . ذهب .. هكذا ببساطة ذهب وجلس واستمع حكوا اشياء غريبة . ليتين ه ماركسية ، ماددية ، جدلية ولم يفهم شيئا احتمل بأمل أن يحددوا له موعدا لقتل الانجليز . انتقل إلى خلية أخرى في منظمة ايسكرا شرحوا له الأمر بوضوح . المسألة ليست أن تقتل انجليزيا ، وإنما أن تحرك الشعب لنظره الاحتلال .

الفتى الآن أصبح ماركسيا . انغمس بكتيبته في النضال السياسي شارك رفاقه في تأسيس النادي المصري السوداني . وزع . بحريدة الجماهير . اسهم في تشكيل لجان مقاومة الكوليرا .. وفجأة التهمت شبرا بتكونها السكاني ذي الكثرة المسيحية . احترقت في الزقاقين كنيسة ، وصمم شباب مسيحيون على أن يحرقوا مسجدا مقابلها . من يمكن أن يقتنعهم سوى مسيحي مثلهم لكنه مشتح بروشاق الماركسية . داخل الكنيسة خاض نقاشا طويلا . انها مؤامرة استعمارية ، علينا الا نشعل نيران التعصب المتبادل . كسب الأغلبية إلى صفه . أما الأقلية فقد هددها بمنعها بالقوة .

كمادة الأعضاء القاعدين لم يعرف دهايزر الانقذات العلوية لكنه ببساطة سمع ان هناك وحدة . وأن النقطة الجديدة اسمها «الحركة الديمقراطية للشعور» الوطني . حدثه . وفي الدهايزر العلوية حدثت خلافات حادة انتهت بأن أعلن شهدي عطيه وأتوز عهد الملك تكتلها الشهير «التكتل الثوري» أو ما أسمى تكتل : سوف (أنور) وسليمان (شهدي) ووجد نفسه مع رفاقه في قسم شبرا ضمن التكتل .

لكن التكتل انفرط بالقبض على شهدي ، وتشرذم . فوجد نفسه وحيدا مع مجموعة صغيرة . لديهم كتب ماركسية كثيرة وأجهزة فنية . كانوا مخزنا حزيا . ارتفع شعار التحصيل بصورة محقا .. وانبهروا به . كان يعود من الجامعة ليلبس ملابس عمالية لتعرفه المقاهي العمالية في شبرا الخيمة باسم «الأسطي» مختاره . ومقاهي اميايه باسم «الأسطي عفيفي» وتعلم أن مقابلات المقاهي «ودرشات الغريبة» لا يمكنها أن تشرع فعلا ثوريا . ويرغم كل الاحباطات والصعاب كان يمتلك إصرارا على التواصل ..

التقت شطبا مع بعضها ، وتفرقت . كل ثلاثة أو أربعة كونوا مجموعة . التقى جماعة «العصبة» الماركسية . لكن انضموا معا . لكن الماكر مؤسس العصبة «فوزي جرجس» لم يكن ليليل ببؤلاء الشبان الشافيين في صفوف مجموعة . أخذ ما لديهم من كتب وآله كاتبة وسجها طباعة . ثم تركهم ببساطة وجدا أنفسهم خارج التنظيم .

رغم المائة والاحباط كان يمتلك إصرارا على التواصل . لست أعرف من أين أتى هذا الجليل بكل هذا القدر من الاصرار .

لكنه تعلم درسا مريرا يقول في حواره معي : «من ممارسة الانقسامية تعلمت خطورتها» وهكذا تلقى درس الوحدة ، وضرورة التوحيد الشيوعيين .

هو ورفيق دربه القديم عهد الله كامل مع عدد شديد اسسوا تنظيم «طلعية الشيوعيين» ضموا إلى صفوفهم منصور زكي ، بقروش قليلة استطاع الاسطي منصور زكي أن يؤسس «طلعية» وأن يطبع نشرات أنيقة . نشرة خارجية «الصراع» . ونشرة داخلية «الطلعية» . وأتت لهم من الخارج مجموعة من كتب الزينين ماو فترجعوا بعضها وقام «الأسطي منصور» بطباعتها . لكن ضربة أمنية تأتي سريعا . ليقبض على القيادة ما عدا هو .

كان قد تخرج . أخيرا حقق حلم الأب حصل على بكالوريوس علوم شعبة جيولوجيا . كانت أعلامه كبيرة لكنها سرعان ما تهاوت . فالتحق الوحيد مدرسو أحياء . وضعة في مدرسة جرجس الابتدائية الحرة بكنز الزيات . تلاعبه الفقراء . كانوا يمشون طوال المشوار إلى المدرسة خلة وعندما يقتربون من المدرسة يلبسون الحذاء . حفاظا عليه

لأطول فترة) علموه حقيقة الفقر وشغلهم للتعليم دفعه دفعا إلى أن يتخلص من إحيائه.. قال نفسه بدلا من اكتشاف الحاميات الطبيعية كجولوجي، سأحاول اكتشاف الحاميات البشرية.. وطوى أساه، فبعد كل ما درس مطلوب منه أن يدرس لتلاميذه أن النمر حيوان مركزش اللون حتى يجيد الاختفاء في الغابة.

.. وفيما كان منهمكا في بناء العمل التنظيمي ومواصلة نشاطه الحزبي حيث بدأت المنظمة في الاتساع وضمت عناصر عمالية قيادية.. قبض عليه في مايو ١٩٥٤ . عليه بالسجن ثلاث سنوات مع الشغل. وفي السجن شاهد مأساة الانقسامية مجسدة أمام عينيه. وخاض مع الآخرين معركة التوحيد واتحدت عدة منظمات (حدود - الفراء - الثمار الثورية - الشيوعيين - النجم الأحمر) وتأسس الحزب الشيوعي الموحد وكان فخرى عضوا في لجنته المركزية.

في السجن حاول أن يستعيد تجاربه وهو طالب في كتابة القصة، وكتب رواية عنوانها ذكريات مدرسه.

وعندما يفجر عنه عام ١٩٥٧ يصبح مثيرا ثوريا، ويواصل أيضا معركة التوحيد مع غيره ممن اعتبروها مسألة «حياة أو موت».

وعندما تلتهم العلاقة مع عبد الناصر وتبدأ حملة الاعتقالات الشاملة في أول يوم من عام ١٩٥٩. يفلت ليحاول تجميع البناء التنظيمي. الضربة غادرة وموجعة واستعادة البناء صعبة وشيقة في آن واحد.

ويقبض عليه. والمعلم تجلوه وطأة الاحتكاك الموجع. والرجال الرجال تعرفهم خطات اللجنة، وكانت اللجنة الناصرية بشعة بكل المعايير معتقل العزوب القويم. وأوردى أبو الوحش.

وتقرأ بعضا عما كتب وافتتح الاردي في ٧ نوفمبر ١٩٥٩. لم يكن الاقتراح في هذا اليوم صنفه. فهو ذكرى الثورة للشيفية.. وكان القوى المعادية للشيوعية في مصر أرادت أن

تعلم.. أن هناك قوى راقية في وقت حركة التاريخ، ومنع القوى الاشتراكية من تحقيق الاشتراكية، باستخدام التصفية الجسدية، سبيلا للتصفية الفكرية.

(فخرى لبيب - الشيوعيون وعبد الناصر - ص ٢١٩). وهو يلخص كل مأساة التعذيب النازي في عبارة خسية «كان التعذيب البدني، أداة من أدوات التعذيب النفسي، كانت مرحلة حاول النظام فيها تنفيذ خطة التصفية أن يصل للمعتقلين إلى حالة من التفرد كل في ذاته، بحيث يسهل سجن هذه الفئات المفردة، والأجهزة عليها» (المرجع السابق - ص ١٥٨).

ويصمد .. ويصمد معه كل الرجال يجتازون المحنة كأشجع ما يكون الشجعان. وتنتهي فترة السجن. لتبدأ المحنة الكبرى.

*** عام ١٩٦٤ .. قرار الحل مطلوب .. الكل يضطرب .. أجله: عبد الناصر .. والاصداق والاعلاء وحتى السوفيت .. هو حاول أن يفلت بالحزب أو حتى ببعض منه اقترح تجميد النشاط الحزبي لعام أو أكثر حتى تستبين الأمور. لكن قرار الحل صدر .. فقد كان مطلوبا أن يصدر.

وبعد فترة من التعطل.. قطعها في مهنة قليلة الربح.. الترجمة. عين جيولوجيا. أي بهجة. ولكن أية حرج. هذا الرجل الأشيب الشعر يذهب إلى أسوان ضمن بعثة رئيسها أصغر منه سنا بكثير.. وفوق هذا يعرف ما يفسد. هو نسي كل شيء. الزمان والايام وتدرس الفلوق بين الفرقة والبطء، الاتهام في السياسة، معذاب السجن كل ذلك أنساه ما قرأ ومادرس عن الجيولوجيا. لكنه التحدى. وهو هنا تحد من نوع خاص.. شيوعي يريد أن يعيش جدارته بوأثيت جدارته. مسج الوادي من أسوان إلى حلوان. ويقول «أصبحت دون أن أدري

أهم خيرى فى الصخور الرسوبية». وأبعد رسالة الماجستير عن الأخبار الجيزية في النيا (كان قد أصبح رئيس بعثة المشروع الخاص باستخراج هذه الأختار - الثلاثة لمشروع الحديد والصلب).. عمل فى سيناء، بحثا عن خامات مكتملة لصناعة الألومنيوم.

وتوالى اكتشافاته وجهوده العلمية. وأعد رسالة الدكتوراة.. أنه التحدى السياسى الذى يدفع كهلا في الستين من عمره أن يذات رسالة دكتوراة.. ذات التحدى جعله واحداً من أشهر الجيولوجيين.

عندما أسس مركزا جيولوجيا في الفيوم سأل أحد زملائه ما الذى يعود عليك من هذا الجهد. وقبل أن يجيب هو، يتولى الاجابة مسئول الامن قائلا: (لأن الناس يتقربون لأسس هذا المركز فخرى لبيب الشيوعي) .. وقد كان . بصفة مناضل شيوعي غني يعرف كيف يكون التحدى.. وكيف يتحول التحدى إلى خير للوطن.. وخدمة للناس والمستقبل.

*** وبحين موعد التقاعد. لكن الدكتور فخرى لا يتقاعد يعمل في منطقة تضامن شوب آسيا وأفريقيا. يكتب قصصا. روايات . كتبها سياسة. ابعاها علمية. يترجم.. يضم مؤسسا لحزب التجمع وواحداً من قادته. باختصار هذا الفتى الصعدي الذى صمم على تحدى ناطر مدرسة أسوان فظل واقفا بباب المدرسة حتى أرغمه على قبوله: يصمم ذات التصفية يقف على باب الوطن.. يقول يفعل، يفعل، يفكر.. كي يكون كما يريد. مستحقا ما وطن نفسه على التسلم به من فكر ومعتقد.

افتتح الأوردي في ٧ نوفمبر ١٩٥٩

وكان القوى المعادية للشيوعية

في مصر أرادت أن تعلق عن رغبته في تحقيق الاشتراكية باستخدام التصفية الجسدية



صورة تاريخية لعبد الناصر

نفسى، وثبت خطأ قبول أن ٩٩٪ من أويراق اللعبة فى يد أمريكا، وثبت الضرر الفادح من فض التحالف العسكرى بيننا وبين سوريا الشقيقة، وثبت أهمية تكتل البلاد العربية ضد العدو المشترك، وثبت الأهمية العظمى للسيد العالى الذى طالبوا بهدمه.

وثبت ما هو أهم وأخطر من ذلك كله: ثبت أنه رغم الهواء المستمر لمدة ٢٥ سنة، فقد التف الشعب، حتى الشباب الذى ولد بعد وفاته، فى مظاهرة رائعة حوله فى دور عرض فيلم «ناصر ٥٦».

ولقد أصبح عوا هؤلاء السادة محسوبا على الحكومة، فإزروا ججورهم، أو التفتوا إلى توافه أخرى يكتبون عنها.

إننا نقدر أن ما ورثته الدولة بعد حكم أنور السادات أثقل عبئا عما ورثه عبد الناصر بعد حكم الملكية.

ولكن الطريق الوحيد أمانا فى الظروف الخطيرة المحيطة هو التخلص من الهيمنة الخارجية والتنمية الشاملة السريعة.

وهو بإختصار طريق عبد الناصر..

وهكذا ينبغي أن يكون طريق كل من يريد الخير لشعب من شعوب عالم الجنوب.

ولقد عرف شعب عبد الناصر المتحضر ذلك، فقام يوم التتحي تلقائيا- نعم ت ل ق ١٥ ي ١ يا أيها السادة المقترين على إرادة الشعب- قام الشعب تلقائيا بمظاهرة لم يحدث مثلها فى تاريخ العالم.

وقام العالم العربى أيضا بواجبه، فاستقبل عهد الناصر فى الخرطوم بعد ٥ يونيو استقبالا شعبيا مؤيدا وإنما لم يستقبل به زعيم خارج بلاده، بوقام الشعب أيضا تلقائيا- نعم تلقائيا يا أيها السادة الحاقدين- بدواعه فى سبتمبر الحزين، فخرجت الملايين من المصريين المتحضرين فى جنازة لم تحدث أيضا فى تاريخ العالم وشيعت شعوب العالم بأكمله جنازته وشهد له الجميع بالبطولة والشرف، ولا زالت صورته تزين المحال والمحافل فى أنحاء العالم العربى.

لقد مر الآن ربع قرن على وفاة عهد الناصر وثبت ووضح ووثقه: ثبت خطورة قرض أن الصراع بيننا وبين الصهيونية مرض

الناصر شعار طه حسين والتعليم كالماء والهواء حق لكل مواطن» ومده إلى جميع مراحل التعليم، وأبرز هذا النظام آلاف من خريجي الجامعات والمعاهد قاموا بالنهضة الشاملة فى جميع البلدان العربية وبعض البلدان الأفريقية. ووفر عبد الناصر لشعبه «سبل المعيشة الكريمة» من مسكن ملائم بسعر يقبله العقل وغذاء مدعوم لضمان حمايته من سوء التغذية، وعلاج مجاني لكافة المواطنين، وفرص عمل تحت شعار «العمل حق».

-وعلم عهد الناصر أن مصر لن تستطيع وحدها أن تقاوم قوى الشر فى آلة الرأسمالية الغربية الشريرة المتوحشة، فجمع الشعوب العربية حوله، وارتبط مع شعوب وحكومات العالم الثالث فى أفريقيا وآسيا بالحهاد الايجابى منذ باندونج، وجر نفسه من ريفه العداء للكتلة الاشتراكية، فكسب حليفا قويا ساند اقتصاديا وسياسيا وعسكريا فى كافة معاركه، دون أن يسلم شعرة من إرادة مصر. وهكذا كان طريق عبد الناصر.



الكرديين - شعبا وحكومة - أي فضيلة أو مؤهل يستحقون من أجله البقاء ، وهذه الرؤية العنصرية ، هي ما يتعرض عليه ، ويصفه بأنه رؤية استقطابية كالتى شاعت قبل وأثناء وبعد حرب الخليج .. ولأن كينخانة باب للتعريف بالكتاب ، لالعرضها أو تحليلها أو لتقديدها ، فقد اكتفى بالاطياع الذى خرج به من الكتاب ، وماكتبه ، وماكتبته أنت والكتاب نفسه بين يدى القراء ، الذين قد يخرجون بالاطياع ثالث .. واختلال الانطباعات لايفسد للرد قضية يادكتور عظاما

العلمانية هي الحل

تغلغل مفهوم الدولة الدينية المعادى للعلمانية والمجتمع المدني فى أوساط لاستطيع الاستهانة بها لا من ناحية العدد أو التأثير .. وذلك لقوة العاطفة الدينية ولرسوء الأحوال الاقتصادية والتى استغلها دعاة الدولة الدينية مصورين الدولة الدينية بالفردوس المفقود مما خلق نوعا من أنواع الخوسجايليا - السيطرة على الطبقات المهضمة بصفة خاصة - للعصور الأولى للإسلام. والدعوة إلى الدولة الدينية تعتمد فى الأساس على شذ العواطف لذلك فان منطقيتها واضحة أشد الضروخ ... فهاذا بعده الإسلام هو الحل ١٠٠ أجبره تطبيق الجانب العقابى من الشريعة تحمل كل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أشك فى ذلك.

إلى هذا الحد وطن أن ١٩٦١ هـ بين الحديثين ثلاثون عاما ..

فى أزمة ١٩٦١ عرضت لحجج الطرفين موضوعية وحيادية شديدة ، ولم أزيد طرفا ضد طرف ، ويكفى أن أشير إلى الصفحة ٢٥٤ من الكتاب والى ذكرت فيها كيف أن خلفاء عيد - الكريم قاسم قد قبلوا بأن يتلقوا (ترضيا) من الكويت قيمتها عشرين مليون دينار ليفضوا الطرف عن مطالبتهم بالكويت . وهى حادثة غير متداولة كثيرا ، وأظن أن عددا كبيرا من القراء لايعرفونها.

ومع ذلك ، فأتى أعتبر الأستاذ صلاح (صديقا عن بعد) منذ أكثر من عشرين عاما ، كان خلالها ومازال الكاتب والصحفى والأديب والمؤرخ صاحب القلم الرشيق الذى أغبطه عليه والذى كنت من المدمنين على قراءة ماكتبته يشفق.

عصام الطاهر

المحرة:

صلاح عيسى يشركك ، ويعتز بصداقتك على الجهد ، ويؤكد أنه قرأ كتابك مرتين ، مرة قبل أن يكتب عنه ، ومرة بعد وصوله الذى لم يغير من رأيه . وبصرف النظر عن تاريخ كتابتك للكتاب الذى لايسند إلا إلى روايتك أنت فكمب - فقد نشر الكتاب لأول مرة بالانجليزية بعد الغزو العراقي للكويت . ونشر بالعربية هذا العام ، وقد كتب بروح استعلاكية لاترى فى

الحط الذى حرصت عليه بدقة والتزام حين قلت .. مع على بأن هناك تقيرا أكيدا قد حصل فى مجالات مختلفة بحيث تغيرت معها بعض الصور التى رسمتها لها فى هذه المذكرات . إلا أتى أثرت الاحتفاظ بها - كما هى وكما سجلتها فى حينها .. حتى يشركن القارئ الاطلاع عليها كما كانت دون إضافة أو تغيير . ذلك أتى انتهيت من كتابتها فى آخر سنة ١٩٦٧ ، ولم أأشأ أن أبذل فيها أو أن أنضيف إليها أية عبارة بل تركتها كما هى كى يحكم التاريخ عليها .

ويبدو أن الأستاذ صلاح لم يجد الوقت الكافى لقراءة هذا القول الواضح الأصيح . كما أنه لم يلاحظ دقة الوثائق لكل ماذكرته من وقائع بالأسماء والتواريخ والشواهد ، فانه يصف أرائى بأنها أراء - استقطابية حادة كالتى شاعت أثناء حرب الخليج الثانية .. فأتى لم أت على حرب الخليج لا الأولى ولا الثانية ، لأن أحداث الكتاب قد توقفت وانتهت سنة ١٩٦٧ ، ولم أتطرق إلى موضوع العراق والكويت بعد ذلك لا بشكل مباشر ولاغير مباشر.

أما الأمر الثانى الذى لايدى لى من عدم قوله ، هو قوله أن الكتاب يعرض بتعاطف الحجج التى استند اليها العراق فى ضمه للكويت أثناء - حرب الخليج .. وهذا دليل قاطع آخر بأن الأستاذ صلاح عيسى لم يقرأ الكتاب بالعناية اللازمة . ولم فعل ذلك لاحظ بدون عنا . أن هناك فصلا كاملا ، وهو الفصل الثامن ، من صفحة ٢٢٩ - ٢٥٤ ، كان للحديث عن أزمة الكويت مع العراق عام ١٩٦١ ، ولأظن أن الأمر التيسر عليه

تنويه لايد منه

ترحب مين × شمال بكل رسائل القراء وتمتد بها ، لكنها ترد أن تلفت نظر الأصدقاء أن هذه الزاوية باب للرأى ، على صاحبه أن يتحمل المسئولية عنه ، ولذلك يصح من المنطقى عدم الالتفات إلى الخطابات التى لايرتفع أصحابها

المحرة

عقاب غاضب

اطلعت على التعليق السريع الذى سطره قلم الأستاذ صلاح عيسى حول كتابى " الكويت .. الحقيقة " فى عدد سبتمبر من مجلة " اليسار " . ومنذ اللحظة الأولى تأكد لى بأن الأستاذ صلاح لم يقرأ الكتاب وإنما على الأكثر اكتفى بالمرور العابر خلال الصفحات وهو ماأوقعه فى أخطاء . أرجو أن تكون غير مقصودة ، فليت المحقق رأسا على عقب ، مما أساء إلى الكتاب وقبل ذلك إلى أسس النقد أو التحليل الموضوعى.

فهر بينما يؤكد للقارئ حقيقة أن الكتاب تدارل وصفا للكويت ما بين ١٩٦٠ - ١٩٦٥ ، وهى الفترة التى تدور حولها مذكراتى ، فانه يصحح إلى القول بأن الأراء حادة كالتى شاعت أثناء حرب الخليج الثانية .. يقول ذلك بينما أن الكتاب يجب أية استقطابات أو إعجابات أو إعطاء أمثلة أو إيراد وقائع أو استشهادات بأى شكل كان لأموه ووقت بعد تاريخ ١٩٦٧ ، مع معرفتى لها واطلاعى عليها .. لقد كنت فى المقدمة على هذا



عبد السلام الزيات



أبو العز الحريري



د. نصر حامد أبو زيد

ماتة عضو .. وتلك التركية .. المعاصرة .. مثلما نرى في تعليمنا المصري تتحرك بالتلفين والحفظ .. والغاية هي النجاح آخر العام .. فصحافة أحزاب المعارضة ترصد بعض حالات الفساد في الشارع المصري .. وإذا عمت ظاهرتا الفساد والبطالة في أي مجتمع ماذا يبقى له ؟؟ فالفساد ليس كظاهرة الأرواح يمل من الخارج .. والتدوير المغلقة داخل مقار الأحزاب لا تتحقق منها الجماهيرية والوعي يتحرك العمل الحرى إلى الأفضل .. ومجلس الشعب .. أو النواب في أي مجتمع إن تحرك بنجاح ولقمة يهدأ عن التشليل ومواكب التفات لحق بهذا إنسانيا في نهضة قطاعات المجتمع المختلفة .. ومازلنا نكرر أن العقل المصري بحاجة إلى منظومة جادة في آليات البناء والتكامل والحرية والمساواة .. ومجلس الشعب المصري هل يستطيع حقا التحرك في معاور الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية في أجل بناء مجتمع إنسانى متكامل يهتف بصفاته وبأبائاته أم ستنطل بآفان بالروح بالدم تفديك بآفان .. والقلان موجود في كل عصر ..

يحيى السيد النجار

دمياط

لينا مجتمع مظهره وشكله الخارجي هو الدين ومحتواه هو التبعية المفرطة للغرب. إن نصر أبو زيد والكوكبة من مفكرينا وعلماينا هم زادنا المجتمع القد وأى مخلص لوطن وللإسلام يجب أن يضع نصر أبو زيد وزملاءه في قرعة عينه لأن حالة الجمود والتخلف التي نحن بصدها نحتاج لمفكرين عظام يمتلكون الوعي والمعرفة والمجرأة لاقتحام أعشاش الدبابير وأساطير الجهل والتخلف وعدم كل مابعرقنا عن بلوغ أماننا.

إن هذه الكوكبة من مفكرينا هم صامتو مستقيلنا الذى نتيغيه في إطار عصرى يهضم أحدث مافى عصرنا من أنساق فكرية وأعظم مافى تراثنا وحضارتنا العربية الإسلامية من قيم استنارة .
عبد الحميد القديح
المقصود

الاكتفاء بالهتاف !

يبرز دشا التساؤل ؟؟ متى يشهد مجلس الشعب المصري الجلطات السالخة .. واثنتي عامه الأول .. بدون سخونة الاستجابات .. بل الجملوات .. برغم أنه يضم ممثلين عن المجتمع والرفد والتأصير .. فمازلت أذكر السادة محمد عبد السلام الزيات ومحمود القاضي وحماد نصار وقيارى عبد الله وأبو العز الحريري وكمال خالد وضياء دارو .. الخ .. وكانت لهم صولات وجولات .. لكن هل ضعف الجلطات قام من أجل المجلس الحالي أصبح يمتلك بطلان عضوية أكثر من

والعلمانية - أخيرا - ماضى إلا التفسير العلمى للواقع للوصول به إلى أرقى حالاته .. العلمانية هي أن يدفع كل إنسان إلى مجاله بعيدا عن أي قيد أو تحكم .. هي ليست إلهادا أو كفرا كما يزعمون وإنما هي سعادة وخير للمجتمع .. كل المجتمع ..

محمد أحمد فرحات

المنوفية

أبو زيد ومنطق

القبائل وزعمائها ينتفضون صياحا وثورة ضد نصر أبو زيد وزوجته ليس لأن كتيبه بها انحرافات في العقيدة كما يدعون ولكن لأنه تجاوز الخطوط الحمراء وخطى في المصالح الشخصية لرؤساء القبائل والعشائر وقضى السراديب السرية والتفصيص لهؤلاء الزعماء فكان الرد على نصر أبو زيد وكتيبه ومساجلاته على مآذن الجوامع لتكثيره وفي ساحات القضاء لتفريقه عن زوجته واعطاء الفتاوى الشرعية للمتطرفين ليقتصروا منه على قارة الطريق وهكذا أصبح الحرام مع أساتذة الجامعة الذى تتحضر أسلحته في القلم وكل قوته هي أساتيده التى تتضمنها كتيبه أصبح الحوار معه بالصياح بدون علم وتكثيره بدون دراية وبدون قراءة حتى أعماله أنهم بدلا من أن يرسوا الحوار كسمة صغرى للوصول للحق والحقيقة يتخذون الفوضى منهاجها والهمجية دربا ويسعون

والتاريخ يثبت أن الدولة الدينية انتهت بوفاة الرسول(ص) وماستبقه بنى ساعدة إلا حدث سياسى فى الأصل والنتائج لأحاديثها والحوارات التى دارت بها سوف يعلم أن الحجة المغلقة لا التبغلية هي التى جاءت بأبى بكر خليفة للمسلمين .

وجئنا جاء عصر .. استخدم عقله فى بناء الدولة فأنشأ الدواوين ونظم الأبحار بل وإجهده مع وجود النص القرآنى الصريح ففتح المؤلفه لقرهيم الزكاء .

والفتنة التى حدثت فيما بعد بين على ومعاوية أساسها اختلاف الرضى في كيفية بناء الدولة .. أخلاقه قائمة على الشورى أم تلك القائمة على السيف .

بأن كل من جاء بعد الرسول استخدم عقله ورأيه وهذا ليس مخالفا أبدا لسنة الرسول .. ألم يقل " أنتم أدري بشئون دنياكم " ؟ .. من هنا نصل إلى أن عنشة المجتمع هي الأساس .. فنحن في أخرج حالة للعلمانية في ظل محاولة الكهنوت السيطرة على كل شئون المجتمع .. والعلمانية ليست إلغاء الدين وإنما هي محاولة لإفادته من أن يستغل لتحقيق مكسب سياسى مؤقت فالدين نور وهداية للأفراد ولن يتحول أبدا إلى إطار سياسى أو إيديولوجى .. فالسياسة مثلا أمر نسى يتغير بتغير المصالح والدين أمر مطلق لا يتغير أبدا كيف يسيطر المطلق على النسبى .. أليس في هذا إفساد لكل من السياسة والدين معا ..

فيلم

«ناصر ٥٦»

لمحمد فاضل

أحمد يوسف



أخرى، أو حدية المخرج محمد فاضل في أن يخطف أو يضيق، أو أن يقوم على تنفيذ المشاهد المكتوبة باستخدام كل الإمكانيات المتاحة لديه للغة السينما الروائية؟

الموضوع والمضمون والشكل

من الغريب أيضاً أن يكون فيلم «ناصر ٥٦» هو الفيلم العربي الأول الذي تمتع السيناريو التفصيلي له بالوصول إلى أيدي القراء مطبوعاً في كتاب قبل العرض السينمائي على الجماهير، ومع ذلك فإننا نكاد لا نجد دراسة نقدية واحدة تتناول العلاقة بين مشروع السيناريو والفيلم الذي تم عرضه على الشاشة، ليس لأغراض تنحرف إلى النزعة الأكاديمية في مقارنتها تفصيلية قد لا تهتم القارئ أو المتفرج، وإنما من أجل تقييم متأمل لمصادر هذه التجربة الفنية، ودراسة الأساليب الإبداعية المختلفة في تناول «موضوع» واحد، ومن ثم العلاقة الجدلية الحميمية بين «الشكل» و«المضمون».

إن الانطباع العام الذي تخرج به بعد مشاهدتك الفيلم، أو تبهيك الكتابات النقدية حوله، هو أن «الموضوع» وحده قد احتل فيها المكان الأثير، حتى أنك تشعر أحياناً أن الأغلب الأعم من المشاهدين والنقاد قد تركوا أنفسهم حالة من استعسا، اللحظة التاريخية التي يجسدها «ناصر ٥٦»، بين

مستفيضة بين الأحداث التي عاصروها والطريقة التي تم تجميعها بها على الشاشة، وفي هذين المجالين جاءت معظم الكتابات «الصحفية» وكأنها تدور «حول» الفيلم وليس عن الفيلم، وهذا لا يعني بالطبع أن نضع «الموضوع» التاريخي شديد الأهمية جانباً، لكن نناقش الأمور التقنية السينمائية، ولكنه يعني أن نتذكر أنه حتى في مجال إعداد الأفلام التسجيلية - بالمعنى الحرفي للكلمة - من شرائط ووثائق سينمائية، حول موضوع أو حدث سياسي ما، فانه بقي دائماً أمام الفنان فرصة للإبداع الفني، بين اختيار بعض الشرائط والوثائق دون الأخرى، أو اختيار «شكل» فني محدد لترتيب هذه الشرائط وقصاصاتها، للخروج من ذلك كله برؤية أو «مضمون» خاص، وقد تنتهي أحياناً بعض الأفلام التسجيلية التي تستخدم نفس الوثائق - على أيدي الفنانين المختلفين - إلى أشكال ومضامين ربما تصل إلى درجة التناقض، فهل لا يبدو ذلك الأمر أقرب إلى الاحتمال مع فيلم «روائي مثل» ناصر ٥٦، الذي لا يعتمد على المادة التسجيلية، وإنما يختار أن يعيد إحياءها وتجميعها، من خلال سيناريو محفوظ عهد الرحمن الذي لا يخلو من إضافة شخصيات هي من بنات الخيال، أو «توشخيص» ممثلين يعرّفهم المتفرج باسمائهم وشخصياتهم - من خلال أعمال فنية

لم يتمتع فيلم عربي معاصر بالضجة الإعلامية، الإيجابية أو السلبية على السواء، على النحو الذي قيل به فيلم «ناصر ٥٦»، منذ بداية التفكير في إنتاجه قبل أربع سنوات، وغير مراحل الانتاج بشمول من التلفزيون المصري، حين واجهه مشكلات عديدة متوالية، وحتى عرضه مؤخرًا بعد أن أثيرت شكوك عديدة في أنه قد ينتهي حبيساً في العلب، لأسباب سياسية ليست بعيدة عن التخمين، وها هو أخيراً يجد فرصة للعرض، في فترة الصيف التي تواجه في العادة ركوداً جماهيرياً، فإذا به يجد رواجاً يقول البعض أنه كان متوقعاً على خلفية السياق السياسي المعاصر، بينما عزا البعض الآخر هذا الراج إلى أسباب الدعاية والإعلام وحدهما. وبين هذا الفريق وذاك يكاد فيلم «ناصر ٥٦» - كعمل فني - أن يمضي بعد أن تنتهي كل تلك الضجة إلى زوايا النسيان، دون أن يوضع في مكانه الصحيح من تاريخ السينما العربية.

فيلم «ناصر ٥٦» هو الفيلم العربي الأول الذي يتناول بأسلوب أقرب إلى التسجيلية أو الوثائقية لحظة تاريخية من حياة زعيم سياسي معاصر، يتمتع بالتأثير «الكاريزمي» الهائل الذي كان لـ «ناصر» كما أنه الفيلم الذي يمكن للمعدي من مشاهديه أن يجروا مقارنات



عبد الناصر على الشاشة: بطل تراجيدى فى سجن الصورة الإعلامية

التياب، أنته «كلمة الله» فى صورة ملاك شاب يبدو كما لو كان قد هبط من السماء ، ليملى عليه الانجيل، فإذا بالقدس العجوز يسك بالقلم فى صموة، وأنعتقد حاجباه من الجهد الذى يبذله، ففقداسته الحقيقية-كما رأها كارافاجيو-تنبع من كونه رجلاً عادياً ألقيت على كتفيه مسئولية هائلة، وبالطبع فإن الكنيسة آنذاك رفضت لوحته الثورية، وأجبرته على الهجاز لوحة تقليدية أخرى، لقدس أنيق متأمل هادئ ، يكتب فى صفاء روحى كامل ما يمليه عليه الملك الجميل، ومع ذلك فإن القدس «متى» العجوز الغتير هو الذى ظل قريباً إلى قلوب المؤمنين.

الصورة المصقولة المسطحة

ليس هناك من شك فى أن عبد الناصر- كزعيم سياسى- كان ثورياً حقيقياً، ومع ذلك فإن صناع فيلم «ناصر ٥٦» اختاروا الشكل والمضمون التقليديين لتجسيد

أبداً من أهمية موضوعه ، فإذا كانت هناك مشات أو آلاف اللوحات عن المسيح ، فإن ما يبقى منها فى تاريخ الفن لا يتجاوز عدداً محدوداً من المعالجات الفنية التى حققت الأصالة فى الشكل والمضمون، كما أن معالجة شكلية تقليدية ومصقولة لمثل هذه الشخصية قد تعتمد إلى أن تضفى على المسيح رونق الاغنياء الذين يرفلون فى النعيم، فلا تترك فى النفس أثراً عميقاً مثلما تركه تلك اللوحات التى جسدت آلامه أو ثورته على الظلم وصراعه مع الشر. لذلك فإن الشكل الفنى الذى يختاره الفنان ينبع من رؤيته الخاصة لمضمون موضوعه الذى يتناول. وليس بعيد عنا قصة الفنان الإيطالى كارافاجيو فى السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر، حين طلبت منه الكنيسة أن ينجز لوحة عن القدس «متى» وهو يكتب الانجيل، لتوضع فوق مذبح إحدى كنائس روما. فاختار الفنان أن يكون القدس رجلاً عجوزاً من عامة الناس، أصلع الرأس، حافى القدمين، رث

الحنين إلى الماضى هرباً من الحاضر القاسى، أو الرغبة فى البحث عن أسباب كل سلبيات الحاضر فى الماضى الذى ينظر له البعض على أنه «عهد بائد» ! ونحن لا نشكر على هذا الفريق أو ذلك الحالة الوجدانية-المتشعبة أو الراضية- لما يورنه على الشاشة ، فهذا على أية حال جانب مهم من تجربة التذوق الفنى، وإن كان الأهم هو أن يجعلنا العمل الفنى- أياً كانت الاستجابة له- أقدر على فهم الحاضر، وصنع المستقبل، أو رعا كنا أكثر تواضعاً فى طموحاتنا لننتظر من العمل الفنى أن يكون مجرد خطوة فى الاتجاه الصحيح على طريق صنع أفلام تتناول تاريخنا، القريب أو البعيد، فهل استطاع فيلمه ناصر ٥٦ ، أن يحقق أياً من هذين الهدفين؟

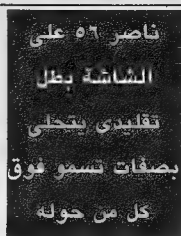
جوهر القضية فى رأى هو أن ندرك الفرق بين «الموضوع» و«الشكل» و«المضمون» فى العمل الفنى، بقدر إدراكنا للعلاقة الوثيقة بينهم جميعاً، فالعمل الفنى لا يستمد قيمته



جمال عبد الناصر



أحمد زكي



هذه الثورة على نحو يذكره -على سبيل المثال- بأفلام الواقعية الاشتراكية عن لينين، وهو الاختيار الذي يميل إلى تجميعه البطل التاريخي باسقاء العبد من ملاح النقاء على شخصيته، وبما كان الدافع إلى ذلك لدى كاتب السيناريو محفوظ عبد الرحمن والمخرج محمد قاضل هو الدافع عن شخصية زعيم معاصر يتجسم عبد الناصر، ثم تستطع أن تتجاوز ما عاين

الهدم من قوى معادية له ولسياسته طوال ربع القرن الأخير، حتى أن جيلاً كاملاً لم يعد يعرف الحقيقة عن هذه الشخصية التي أصبحت بالنسبة له تتمتع بنوع من الغموض، فهل هو الزعيم الذي جعل العالم العربي يحتل مكاناً ومكانة مهيمن في السياسة والتاريخ المعاصرين، أم أنه الديكتاتور الذي دفع بالوطن إلى هاوية مظلمة يقولون أننا ما زلنا نعانى من آثارها حتى اليوم؟.

ومن الحق القول أن اختيار اللحظة التاريخية التي يتناولها الفيلم، بين يوم جلاء الاحتلال البريطاني عن مصر في يونيو ١٩٥٦ والعدوان الثلاثي الذي بلغ ذروته في الأيام الأولى من نوفمبر من نفس العام، هو اختيار يجسد دراما وطن يسعى إلى الاستقلال، بينما يجد نفسه -في بطولة تراجيدية- مضطراً لمواجهة قوى غائبة تريد إعادته إلى أغلال العبودية، ولا يستطيع إنسان منصف أبداً كانت انتماءاته السياسية أن يتجاهل أن الوطن كان عليه أن يخوض هذا الصراع إلى نهايته وفي مثل هذه السباق لا بد أن عهد الناصر نفسه كان بطلاً تراجيدياً على نحو ما، نقطة ضعفه التراجيدية -إن جاز أن نسميها كذلك- هي الحلم باسئال الإرادة الوطنية وإقامة وطن حر، بكل ما تحمله كلمة «وطن» من معنى. (لم يفت صناع الفيلم - أو بالأحرى مخرجه في مشهد غير موجود في السيناريو- التأكيد على هذا المعنى في لقطات تسجيلية لشوارع القاهرة في تلك الفترة، وعلى شريط الصوت نسمع أغنية عبد الحليم حافظ «يا بكرة وطننا فيصيح جنة وأنت معانا...» ولك أن تتحد مشاعر تجاه ما آل إليه هذا الحلم الجميل النبيل).

للأسف الشديد فإن «ناصر ٥٦» الذي رأيناه على الشاشة لم يكن بطلاً تراجيدياً،

كان كاثورية شديدة التبسيط؛ عبد الحكيم - عامر (طارق الدسوقي) برعوثته وخلفه ظله وحسين الشافعي بالتسايات المتكررة في حواره عن القرآن والأحداث، وأنور السادات (محمود النبراوي) في إرضائه المتزك لعبد الناصر بكلمات ناعمة، وصلاح سالم وجمال سالم تصرفاتها العصبية التي لا تثير إلا ضحك وسخرية الأطفال.

الأخيار والأشوار

عشرات الشخصيات التي تحمل أسماء تاريخية حقيقية يستخدمها الفيلم على نحو آلي رتيب، دورها الوحيد في «ناصر ٥٦» هو أن تؤكد على بقائها في ظل البطل الزعيم، وهو ما يقلل كثيراً من التأثير الدرامي لهذه الشخصيات على المتفرج، بل ربما كان هذا التناول يوحي أيضاً -دون زعم- بانفراد ناصر وحده بالقرارات المصرية، وأنت لا تدري -على سبيل المثال- لماذا يريد الفيلم أن يجعل من شخصية المفكر والكاتب فتحي رضوان شخصية مترددة متناقضة مع نفسه! للأسف فقد اهتزت الصورة أكثر مع اختيار مثل متناقض، مزيتة الوحيدة هي التشابه الشكلي مع فتحي رضوان، رغم أن المثل كان ينظر بين لحظة وأخرى خارج الكادر ليقرأ سطور حوار علي لوجة مكتوبة: «كما أنك لن تدري أيها لماذا تراجع العالم السياسي مصطفى الخفاوي (مخلص البحيري) عن آرائه التي كانت تتادى دائماً بتأييم القناة، عندما بدأ أن

بل لم يكن بطلاً درامياً، وإنما كان بطلاً بالمعنى التقليدي للكلمة، يتحلى بأخلاق تتسامى فوق كل أخلاق الآخرين (لا حاجة بنا للقول أن أجمل الأعمال الفنية حول أكثر الشخصيات قداسة هي التي جعلتهم بشراً عاديين، فيطوئهم الحقيقة هي الصراع الذي يحتمل بداخلهم بين الحرف أو الشجاعة، أو بين الركون للمصالحة أو قبول المخاطرة، أو بين الرضا بالحياة القاترة أو الذهاب لأقصى الطرفين الساخن والبارد). إن «ناصر ٥٦» يبدو في حياته شديد التواضع والبساطة والنزاهة والتشفق والترفع عن الصغار، كما أنه في حياته العامة يعرف دائماً ما لا يعرفه أقرانه، نجد لديه دائماً الاجابة الجاهزة عن كل الاستئلة، يكاد أن يعرف هدفه قبل أن يبدأ طريقه، هادئ، وسط الصخب، وزيين وسط الجموح، ثابت القلب في مواجهة الخطر، لا يعرف الغضب أو القلق أو التردد. وقد يكون ذلك في جانب منه حقياً، لكن تصويره على الشاشة لا ينبغي أن يميل إلى المبالغة حتى لا يبدو مثل الصور المصقولة عن قديسين تخلو ملامحهم من الصفات الانسانية.

من جانب آخر، فقد وقع الفيلم في السيناريو والأخراج في التصريح الكامل لعشرات الشخصيات من حول عبد الناصر، يظهر بعضهم ويختفي قبل أن يعرف المتفرج العادي شيئاً عنهم. الحقيقة أن كلاً منهم -إذا أتبع له التصوير الدرامي الناضج- يجسد ملحقاً مهماً لصورة بطله الشعب العربي، التي لا تكتمل بطولة عبد الناصر بدونها، بينما يظهر البعض الآخر في صورة



فردوس عبد الحميد في دور زوجة الزعيم

حلوه قد أصبح قريباً على يد **عبد الناصر** ، إلا أن يكون ذلك جميعه مضي في طريق استكمال كل الملامح البطولية لشخصية «ناصر ٥٦».

على الجانب الآخر، فإن معسكر «الأشوار» يتجسد في «الباشاوات» الذين تراهم دائماً في كل المشاهد مجتمعين في قصر متيف، ليكرروا نفس الكلمات، حول انتظارهم لسقوط عبد الناصر على أيدي **الانجليز** ، حتى أنهم يوزعون على بعضهم البعض المناصب الوزارية لحكومتهم الوهمية القادمة بأسلوب لا يخلو من البلاءه (١)، بينما يعبر الفيلم عبوراً خاطفاً على شخصية **مينوتس (حسن كاشي)** الذي يصوره الفيلم رجلاً مفزوراً سخيلاً ثقيلاً الطفل، على الرغم من أنه يجسد -في الواقع التاريخي- ومن خلال المراجع التاريخية المحايدة- أكثر النزعات الرجعية التي تعادي التحرر، حتى أنه لم يترن بسبب ولائه المشوه للغرب عن أن يقوم بنشاط محموم لتحقيق التطفل الأمريكي داخل بلاده استراتيجياً.

إن تلك المعالجة المتعجلة لأحداث مائة يوم حاسمة من تاريخ مصر والأمة العربية- بل في تاريخ العالم كله- بدت كأنها إعادة «تشخيص» لتاريخ كان من الممكن تحقيقه على نحو أفضل وأكثر اتقانا من خلال الوثائق والشرائط السينمائية التسجيلية وحدها، لأنها المعالجة التي اقتنعت صدق المادة التسجيلية كما اقتنعت رفاقة تناول الروائي المتخيل، ولأنها لم تخرج في إطارها العام عن ترديد المفاهيم «الرسمية» عن تلك الفترة، وربما كان إعادة أحياء هذه المفاهيم في السياق المعاصر الذي يحمل بعض سمات التردى يمثل ضرورة سياسة على نحو ما، لكن الفيلم -كعمل فني- افتقد الكثير من التأثير، كما أن المشكن أن يجعل هذه المفاهيم ذاتها ضرراً بفضح الواقع الذي نعيش فيه، حتى أن الفيلم يبدو في التحليل الأخير نوعاً من «الحل الوسط» بين الرضا عن التفسير لإيجاز مثل هذا العمل «والجريء» والرغبة في عدم المضي إلى آخر الشروط دروا للصادق مع الأفكار السياسية السائدة، فكان الجرأة التي يتحلى بها ليست إلا جرأة متدعة.

دعمية في زاوية العين

وإنك إذا قارنت أعمالاً فنية، تاريخية أخرى للكاتب **معروف عبد الرحمن** ، لأدركت كيف أن «ناصر ٥٦» لم يستطع أن يحقق الرقة الدرامية وعمق التحليل كما

في مسلسل «ليلة سقوط غرناطة» الذي يتناول في حلقاته الثلاث عشرة وقائع ليلة واحدة تسقط فيها غرناطة، التي لن ترى فيها الاندلس الغابرة بقدر ما ترى أوطاناً معاصرة تضيق على أيدي حكام متخاذلين ، أو في مسلسل «أيام من حياة المرشدي عفر» الذي يحل فيه على نحو يخلو من التقريرية والمباشرة آليات لمحل الكيان الاجتماعي للوطن خلال فترة السبعينات وربما كان من الأنفصل لمعروف عبد الرحمن أن يترك العنان الإبداعى لتصوير حقبة «ناصر ٥٦» ، هذا الخيال الذي لم يظهر إلا على نحو خاطف مختور في شخصية حامد الجميل (حسن حسنى) الموظف المفصول من شركة القنات، والذي كان لقائه- المتخيل- درامياً- **بعبد الناصر** يمثل لحظة تنوير للزعيم السياسى بضرورة أن تعود القنات إلى الوطن، كما أنه الخيال الإبداعى الذي تجسد في شخصية المرأة المعجزة غنيمية الكمال (أمينة رؤف) التي تقابل عبد الناصر بعد تأميم القنات، ليتبادا العزاء في عمال السخرة الذين ماتوا أثناء حفرها، لأن العزاء لا يصبح له معنى إلا بعد الفأر (وإن كان التنفيذ على الشاشة قد مال إلى التزعة المسرحية) وهو أيضاً الخيال الإبداعى في مشهد مكتوب في السيناريو لم يتم تنفيذه على الشاشة، لعبد الناصر وهو يطوف في قارب -بخارى صغير قريباً من شمال ديليسيس «سمسار» حفر القنات- كأنه يرى فيه رمزاً لمصير من القهر أن لها أن

تنتهى.

كانت تلك هي اللحظات المتوجهة من سيناريو «ناصر ٥٦» ، التي تجسد الأفكار من خلال إطلاق الحرية الإبداعية ، وهو ما استطاع المخرج **محمد قاضى** تجسيده ، في مشاهد غير موجودة في السيناريو، لذلك التلق الذي استبد بعبد الناصر عندما أعلنت أمريكا عن رفضها تمويل مشروع السد العالي، في محاولة لإذلال الشعب العربى وإجباره على التبعة. إن «الرجل» لا يستطيع أن ينام، تصوره الكاميرا في أرقه من زوايا وأحجام متعددة متلاحقة، يده المتوترة تهتز الأوراق ، وعضى إلى البحر كأنه يسأل عن الطريق الصحيح، بينما تتصاعد الموسيقى الأوركسترالية في قوة عاصفة، تنتهى بانفراد آلة القانون بنغماته الشرقية المشجية. كل اللحظات التي أجاد فيها **أحمد زكى** «تقليد» عبد الناصر- ولا نقول تجسيده أو تشيله لأنه لم يجد لديه شخصية درامية مكتملة- ربما تكون قد أثارت إعجاباً أو انبهاراً عابراً عند المتفرجين، لكن اللحظة الأكثر تأثيراً هي تلك التي بدأ بعدها أن المعركة الدامية قد باتت أمراً محتوماً، ففي عين المشعل المهروب تلتمع دموعه وليدة تترقق ولا تتسائل، عندها فقط ندرك كم كان عبد الناصر بطلاً تراجمياً، أو إنساناً حقيقياً يعرف قيمة الثمن الباهظ لتحقيق كرامة الوطن، ويجعل مواجهة قدر الإنسان.

فنون

سعد الله ونوس

رحلة
في مجاهل
موت
عابر

الحكاية ..

أقوى من الحياة ومن الموت

عملة الزينى

عندما سمع الشاهد عبارة سعد الله ونوس « أشعر أن موتى لن يكتمل إلا إذا رويت حكايتنا » قال هذا بحريف ففى إحدى اللقاءات النادرة وكنا نسترجع أيام الدراسة الثانوية وحياتنا فى طرطوس ، أذكر جيدا أنه قال لى « أشعر أن جياتى لن تكتمل إذا لم أرو حكايتى مع ... »

لم يكذب الشاهد ، ولم يخرف سعد الله شيئا ، فلا شئ يكتمل ، كانت الحياة أو كان الموت .. ينتهى فقط أن نستخلص من زوال الأشياء اكتمالها ، ينتهى فقط أن تكتمل الحكاية وأن يواصل الحكاء رواياتها.

هنا درس سعد الله ونوس وسيرته اللاتية التى حاول كتابتها فى تصه الجديد « رحلة فى مجاهل موت عابر ».

تجربة مثيرة ، يختلط فيها الأموات بالأحياء ، تتوارى ملامح الأمكنة ويختفى الزمن فى زمينة ممدودة.

بين الصور الغارب بالحلم والتاريخ والجسد يتابع سعد الله ونوس موارجه المتقطع وغوصه الأسمى فى دخيلة نفسه .. هل هو الواقع المتفسخ يواصل انهياراته ويقزقه فوق أرض تدور حول نفسها بالدم والصفيد :

أم هو السرطان والموت المترص من كل ناحية ؟ أم هى محاجة الله تلك التى قدر عليها أبواب النسي ، ولم يمتلك سعد الله طاقتها الروحية فظل سؤالا أعزل من الأمل والأيمان بفترسه عذاب متجدد وعدميه ساكنة. ثمة ظلم يلتصق دائما بكل عذاب ..

ثمة نقصان متواصل ، وليس لسعد الله من أحد يحاجبه ليس سوى الكتابة طمأنينه الوعيدة .. ليس سوى المسرح إمكانية لإعادة تشكيل الحلق واكتساب ذاته شريتها ..

رحلها الكتابة هى الفضاء الذى يعلم فيه شتاته ، يجمع شقيه المتنافرين ، وتقنعه القدرة على مواجهة وضعه الفانى فى اكتمال الحكاية.

فى الغرفة ٢٠٨ بالعناية المركزة بمستشفى الشامى يدمق يقيق سعد الله على صنوت المرأة المعجوز تتابع مسيرة حبة الدواء فى جوفها فى تكرار موجه « ذابت .. ذابت » بينما صراخ مريض القلب بالفرقة المجاورة

يواصل أيضا تكراره « ذابت فاسكتي وناسي .. يكف سعد الله عن الطعام تواصل المدة تشنجاتها والحلق جفافه ولادارة على ابتلاع حتى الريق.

بلاحقه السرطان يسؤال المصير ، ذلك القلق المتنامي منذ الطفولة منذ أن واجه بغياب الشمس .. فعند المائة الأولى قبل الميلاد ، كانت عائلته تواصل مسيرتها الرتيبة بدون سؤال .. قتل الأخ أخاه وبقي الجد الأكبر غائبا في حمة طينية عميقة .. وبقي رأسه طافيا فوق الوحل .. عيناها جاحظتان .. ولونه مرده ولسانه يتخلل بكميات وأنات غامضة.

منذ ذلك التاريخ كان السرداب يقضي إلى سرداب آخر .. والعممة تقضي إلى عممة أخرى ينما تستيطر على الجميع فكرة واحدة تدلت وراثيا من الجد الأكبر إلى باقي أفراد العائلة .. فيصميمهم يعتقدون بأن السرداب سيقدومهم إلى الشمس ويورلي خضراء ازدهارها مسكر وخضرتها أبدية . لكن مارآه الطفل كان مختلفا .. قال لأبيه لا توجد شمس ولا توجد براري .. أما الأمل الذي التى نسير في جونه ، أما الأمل الذي يعدونا فانه كاذب وأما عزائنا فان رخاوة موروثة تبطئها .

ولعله صراع سعد الله الأول ضد الخرافة .. والمؤسسة التي تسقط في الكراهية النافذة والحضرة العاجز .. مسيرة رتيبة مازالت الأسرة تتعثر في سردابها الممتدة من دون شمس ولعاندلة بومية ... مسيرة تقاطع الانسان الهى في حركتها الآلية وسأمتها التي تنعكس في صميم الروح تفسد صفحا .

لم يتعلق سعد الله ونوس منذ طفولته بوهم الشمس ، ولم يمتلك قدرة أبوب على الانتظار ومحاجبة .. كان ثمة يقين يكبر داخله وهو يطالع ارتعاشات الخافئ ويلع عليه بانه ينبغي أن نتجاع العالم ونعاجي أنفسنا أولا وقبل أى شئ ..

يتقاطع السرطان .. صورة الدم ، جرعات الدواء ، أصوات المرضى .. وذلك العرى الذى يبدو هتكا وفيضحية في كل مرة يجرده الطبيب من ثيابه .. وبقرة مضاعفة يواجه سعد الله وضحة الفانى بالحكاية ..

كل شئ يعاود البداية ويرد إلى أصله الأول .. هكذا تتغافز الحكايات في الذاكرة : أسطورة الخلق ، تواريخ الأسرة ، مدرس الجغرافيا بالمدرسة الثانوية ، حصين البحر تلك القرية الصغيرة من طرطوس

في الشمال السوري ، ثم تلك الحكاية التي لن تكتمل الحياة أو الموت إلا بروايتها .. أنها أقصى اللفظة وأقصى الحكاية أيضا .

في طرطوس وفي بواكير الصبا ، ضار أسرها تلك المتعردة الشقاء التي لم تسبقها صبية من القرية إلى ارتباء البطون وقصة الشعر الغلامية .. خلال ستين أعما حيا شبيها بالعفاة في كل مرة يراها يشعر بأنه يتمغظ وأنه لا يستطيع الابتعاد عنها .. وفي القرية العلوية حين بدأ بلفتيان خلصة يكشف وسط الذهول أنها فتاة أخرى ، أنها وجه آخر وجسد آخر وتفصيل أخرى .. وجد شعرها خشنا كالليف وفهما كبيرا تترابط فيه الأسنان بعضها فوق بعض ، وحول حلمتي ثديها شعر ، وجسدها كله يغطيه زغب فلاما الفير .. كان مناخ القرية محاصرا بالقيود والتقاليد البالية .. وكان سعد الله في ذلك السن يتلمس الوجودة وماتنعم به البلاد الأخرى من حرية وجمال فكان يكتب بيانات عن التحرر والحرية ويلصقها بعد منتصف الليل على أبواب الدكاكين .

منذ تلك الوقت أدرك عذابه الدائم ، وسعيه المتواصل نحو الحرية ولعله في تلك اللحظة عرف أن الحب (كما كتب لى يوما) هو بالضيظ الحكاية التي لم تعش أو التي لا تعاش ، وأنه ذلك المستحيل الذي تضيق به الحياة اليومية .. فما يعاش هو استهلاك مخيب لا يورث إلا الاحساس بالضرر والخواء .. نوع من الاستهلاك هو نقيض الحياة ذاتها .

هذا بالضيظ مارآته البداية في غرفة نوم الزوجين في قصة سعد الله القصيرة (بعد ظهر دمشق) ففرت هاربة من تلك الأكلة وذلك الاستهلاك المخيب .

يتقاطع السرطان .. ويتقاطع الذباب في حكايات عديدة (البداية المتفاعلة) (البداية المحبوسة) (فهاية الحساء) وذبابات أخرى فكر سعد الله في أن يضم حكاياتها في كتاب يحمل عنوان (فهايات) خاصة وقد أدرك أن الانسان يفتقر كثيرا إلى المحاسبة والحياة اللتين يتحارب بهما الذباب .

منذ الطفولة وهو يتابع تلاحم الذباب في الحب ، يقترب الذكر من الأنثى يغطي فيها لفة ، يتخلو من غطرسة الديك وعنف التيس . يلتحم الذكر والأنثى ، صحيح أنه يعلوها قليلا ولكن يبدو أن ذلك

لا يعوق حركة الأثنى ولا يقيد جناحيها حين يلتحم ذكر الذباب بآثاء يبدو كأنهما دخلا في حالة من الوجد الغامض ، وقررا ألا يتفصلا ماذاشت فيها قوة أو حياة .

وهذا حاول سعد الله أن يعرف كم يمكن أن يستمر هذا الالتحام ، فأصابه الملل قبل أن يبدو عليهما أنها سيفكان التهامهما ، فأصرع بهسهما من دون أن تطرف له عين .

الحكاية نفسها

ميراث الحبيبة وغرف الاقتراب نفسه . لكن المرأة التي لم تكتمل حكايتها تصعد إلى خشية المسرح في مشهد جنازى ، لم يعلم سعد الله يوما يسرح معلق ، لكنه جاء به ليكمل الحكاية .

كان الفضاء مسرحا أو خشبة مربوطة من أطرافها الأربعة بحبال ممتدة وغلظتة تلتقي فوق مركز الخشبة ملتفا الواحد على الآخر ، ومشكلا رباعا ثمينا ومتينا يرتفع ويغشى في الفضاء .

لم تعاتبه ، فقد أصيحت وراء العتاب والحزن والغضب .. إنها في الموت بينما هو لا يزال يحاول أن يشرح نفسه . لم يعرف كيف يجب يوما .. ولم يكسب حريته تماما .

هذا أيضا ارث الحبيبة .

ارث الرجل العريض ، الهش ، الخائف ، لا يجد ما يوازن به هشاشته إلا العنف أو السلطة والتبديد المتواصل .

ارث المرأة العفوية المعنوية من دون عدالة ، وماؤها المنهمر حتى الانفجار والغرق .

لم تكن أنفسنا يوما .. الرجل الذي لم يبدأ والمرأة التي لم تنته الرجل الذي وضع الحصة والفرقة التي تستنفثها .. كلاهما هزم من دون اكتمال ، هزم حتى التنازع حتى الحفيد الخامس أو السادس هزم في موضع القلب ، في اختلال المسافة بين الحب والحرة هل تغضب سعد الله تلك الفقرة لسيرة الذاتية أم تغضبه تلك النتيجة التي تختم بأصابعها على أجساد الجميع وأرواحهم .

(رحلة في مجهال موت عابر) ليست سيرة شخصية لسعد الله ونوس ولكنها سيرتنا الحافية التعبي وحكايتنا المنقوصة .



لطيفة الزيات

النضال الصوفي

ماسة زكي

خطر في بالي وأنا أسترخي في جلستي على طرف السرير أنى أستطيع الآن أن أنظم أوراقى التى رقدت محفوظة فى مخابئها السرية

أقسى ما تعانته النفس فى قراءة ما أنضت بدلفيطفة الزهيات. فى أوراق منشورة، أنك معها لا تقلك تلك الرفاهية التى تتيحها لك الأعمال الأدبية عادة من حيادية المعادل الموضوعى التى الذى درسته وذريته. ٥. **لطفية الزهيات.** تعلنى ما تنطوى عليه مجمل أعمالها من تقنيات فنية راقية ومنوعة، إلا أنك فى نهاية الأمر تقرأ فى سيرة ذاتية متعددة متلوثة الأداء النثرى.

أنت أمام من تحاول أن تفهم ذاتها أولاً قبل أن تنقلها لك، وأن تنقد نفسها فى أحيان أخرى غير الكتابة متمسكة فى غناء سبل التجاوز والانتقال من مرحلة إلى مرحلة. وتتحول الكتابة فى بعض الأعمال إلى كتابة عن الكتابة ذاتها والتى لا تنفصل عن محاولة أبدية للخروج، للتواصل وللإكمال. ومن خلال هذا المنظور، منظور الممارسة الوجودية للكتابة نستطيع أن نفهم موقع العمل السياسى والإسهام الأكاديمى اللذين ينطلقان من مسئولية عن تغيير الواقع ووعى بحركة التاريخ من حيث علاقتهما بوجدانهما الذاتى وتغييرها الإبداعى:

«...على طيلة سنتين وهى تهدم فى يسار الدفتر الرملى اللون ما تبنيه فى اليمين وخطر المشروع لا تكمل. تعليقاتنا على السياسى فيها، حياً لم يزل ... ترفض محاولة تصوير... تجربة فشل فردية كتجربة الانسان ترفض الخروج على الناس برسالة يأس من الحياة» (١١). وربما وجد ذلك الصوت وجوده الخالص فى ثلاثية الوعى السياسى **الرجل الذى عرف تهمة** ١٩٩٥ والتى يختلط فيها التوقيع الشعرى بالسخرية اللاذعة.

ومن خلال كتابات **لطفية الزهيات** نشبك أكثر مع فترات صمتها وعزوفها عن الإفضاء، وكأنها فى إسماكنها عن الكتابة كانت تسك عن الحياة «فى غياب الوله الخالص بالحياة الذى هو مادة الفن» (٢) فى محاولة مضنية للفهم أو وفق تعبيرها «تلف فى أرجاء المشهد وتدور، تجرئه وتعيد تركيبه» (٣).

ويصعب تجاهل تلك العلاقة بين تاريخ حياتها والكتابة باعتبارها فعل وجود وأمازات تلك العلاقة على امتداد إنتاجها. فعلى مستوى الصورة الأدبية البحث يتكرر مشهد الأوراق. فى مواقف: محبوسة من

أعمالها. ففى رواية **صاحبه البيت**، وفى موقف محورى حيث اللقاء بزوجها بعد أكثر من عام قضاء فى السجن: «وتشيت سامية بالأوراق، تنفرط وتعاود جمعها، وكأن كيانها بأكملها، يتوقف على إعادة ترتيب الأوراق واستقامت وهى تنتهد، ووضع الأوراق على المائدة تسويها. يديها ويدنول السباع يزحف جيئة وذهاباً والأوراق لا تنظم» (٤).

وعند شبه نهاية القصة الطويلة **(الشيخوخة)** تعلق على حلم محورى جاء فى ثنايا القصة: «ويخطر ببالي وأنا أعيد سماعه التليفون أن حزم الأوراق فى حلى لم تكن ملفوفة بورق أزرق زرقاء ورق الخطابات، وإنما كانت مجرد أوراق بيضاء معدة للكتابة. ويخطر فى بالى فى ذات الوقت، أنه يتعين على لكى أملاً الأوراق البيضاء أن أستعيد مفردات لى» (٥)، وهو التعبير الذى اختارته كعادل لاستعادة الذات حيث تكرر فى موقع آخر وفى عمل آخر أن **الجريرة** التى اقترفتها فى مرحلة من مراحل حياتها وهى جريمة وأه الذات هى أفقد الجرائم قاطبة.

وتنهى أوراقها الشخصية المنشورة عام ١٩٩٢ بالسطور التالية بعد انتهائ، حملة التفتيش فى سجن القطار بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٨٩: «ويخطر فى بالى وأنا أسترخى فى جلستى على طرف السرير أنى أستطيع الآن أن أنظم أوراقى التى رقدت مخلوطة فى مخابئها السرية» (٦).

إن صفحة **اليوميات** التى تنتهجها الكاتبة فى أحيان كثيرة لتعطى على قدر من الإنهاك والمغالاة فى القسوة على الذات من أجل الإمساك بتلابيب الأمل وأول أمل، ما غاب وهاد يدق تلافيف الذاكرة، المعنى الكامن فى الهروب والمراوغة، حتى أنها فى **(بدايات)** كما فى **(الشيخوخة)** تعتد البناء بحيث تضيف قصة «جها الأول» كما كتبها فى تاريخ سابق بلقائنها التالية المتلاحقة بذات الرجل فى **(بدايات)**، بينما تضيف يوميات سابقة عن علاقة صاحبة القصة بزوجها الراحل إلى يوميات لاحقة تفصل بينها وبين الأولى عشر سنوات عن علاقاتها بابتنتها فى **(الشيخوخة)** فى محاولة لفهم التأثير الذى طرأ، أو ربما البنية

المحكّمة. في إغفائها و«تعتراها» المتكررة، أو كبا جاء في حلم بالقصة: الطيور السوداء التي تلاحقها وتعترض طريقها وتعلم كيف تسير بها.

ويحضرني هنا وصف رائع لتلك الرغبة المحمومة في المعرفة والتواصل جاءت به في قصتها (على ضوء الشموع) : «حاولت أن تعرف على النبات الأخضر في الحقل. بدا لها من الضروري أن تفعل . ومدت يداً مرعقة وقطعت ورقة من أوراق النبات وقرنتها إلى أنفها. وتركزت كل حواسها في حاسة الشم. ولم تسترف على النبات. قطعت الورقة نصفين وذاتقتها، مضغت جزءاً منها واستجلبته وهي تتنشق لتعرف ولم تزد علماً بصَبَّ الرحيق ومضت تتفجر في الحقل(٧)».

وتكرر الصور ومفردات الجمل من عمل إلى عمل وتلح وتجد معظم أصولها في (حملة تفتيش): البئر العميقة في البيت القديم الذي تلجأ إليه عندما تنقلها الجراح حيث «كمال اللاني» وعشقا للسلح، وهي صورة الحركة المحورية عند الكتابة في (الهاب المفتوح) حيث الانزلاق للوئ أو التحليل. وفي (الهشيم) التي كتبتها عام ١٩٩٩ تقول: «أنا أعرف أن الكتابة هنا تعرضني للموت وعلى أحسن تقدير لنفي في الطابق المسور في جوف الأرض» (٨) حيث غطورة الكتابة هنا في كونها فعلاً سياسياً يستحق التجريم في نظام يقوم على القهر ويدفع إلى البئر دفعا.

وتجسد عين المحقق التي هي عين الله في الصوت الذي يصدر من كوة في أعلى البرج إلى (الهشيم) ،برج الحمام الذي يتحول إلى برج مراقبة وعين صاحب البيت الذي لا يغفل ولا ينام في (صاحب البيت) .وتكرر صور الأطفال ذوي العيون خضر وزرق وعسيلية ، والألم المتدثرة خلف النافذة تنهيبها من جمع البرد في طبق من صاج ، والشماعات يسير بأخوية مطاطية في الممرات لا يعيدن صرنا، والملاكمة متعاقبين في سرير أمها القضي وحساب الملاكين على اليمن واليسار والحصا المفروش في الأرض. وحتى تلك المنطقة التي سكنتها في المتصورة في فطرتها وعانت من الجور الطبقي أعادت إنتاجها وتطورها مع الاحتفاظ بالصورة

المحورية فيها: صورة المجنون الذي يصمم رأسه في السور ومائل حركة القطار، وذلك في قصة (المر الضيق) تعليقا على سياسة الانفتاح ومعارضة «مضرة بين» مجتمعي الثلاثينات والثمانينات.

وهنا نصل إلى أعظم أنواع الحوار بين أفعالها فيما بينها من جهة وبين حياتها ورويتها لتلك الحياة من جهة أخرى. فنظل نحمل رعب الجري اللاهث عند منطقة الخان في طريقها من مدرستها حتى بيتها القديم في دمياط تقاديا لرؤية المرضى : مرضى زهري الدم ومرض القيل القابعين تحت ظلال غواميد الخان الضخمة، وتخرج في (على ضوء الشموع) تتجول في المدينة هروبا من منظر الطفل نحلث ساءه ،وانتفضت بطنه والطبيرة تكشف عليه داخل البيت الرفيقي فتعود لتفحص ضعفها الانساني في الرواية التي بدأت تكتبها عام ١٩٩٢. وطلت تكتبها حتى نشرتها عام ١٩٩٤ تحت عنوان «صاحب البيت» . تفحص تعلقها بالبيت القديم على أنه كما اكتشفت في (حملة تفتيش) كان نصبا تذكاريا لا بيتا تلزم العودة إليه بطش طاسة الحضة كما جاء في (صاحب البيت) حيث تنظم إلى مجموع الفتيات الثابتات يرتدين السواد ،وهو ذات الاكتشاف الذي وصلت إليه في تأملها لبيت زوجها الثاني في قصة(على ضوء الشموع) . فهي تفحص في كل الأحوال زوجها إلى «ظفيرة» التقاليد القديمة والأسر الطريفي.

وفي (الهاب المفتوح) تعيد لطيفة الزيات إنتاج دورها في عام ١٩٤٦ في عام ١٩٥٦ ،وكانها بتلك المعالجة الزمنية الابداعية تتعامل بحيث تعيش الزمنين وتشارك فيهما. ويقدر ما نطابق بين واقعة حريق القاهرة وانهايار علاقة البطلة ليلى بعصام ابن خالتها بعق شعوري ووصفي أخاذ ، فانها تعيش انهارا داخليا ونكوصا إلى أصول البيت وتقاليد ،في عز ثورة ١٩٥٢- وباللمفارقة وهو العام الذي تزوجت فيه من زوجها الثاني -لتلتقي على أحداث ١٩٥٦ وباعتراهما في شخصيا أن الصحوة عادت إليها مع أحداث تأميم القناة والعدوان الثلاثي.

وإذا كانت الكتابة يمضي بها العمر قدر ما يمضي وتعيد كتابة (صاحب البيت) المرة ثلث المرة ،فانها تعود ما تزال إلى الفاتة

، في سن الخامسة والعشرين تفحص سر إغفاق مشروع حياتها وتعتبر في أعقاب عام ١٩٤٩. تعود مرة أخرى إلى والمستنفعات التي كانت تحول دون انطلاق النوع الذي تحول نهاية (الهاب المفتوح) عام ١٩٦٠ إلى شلال جارف منتهصر ، لتكتشف أن المستنفعات كانت ما تزال تشدها تسحبها إلى مخبأ البئر العميق.

ترد على المعمار الضخم لرواية (الهاب المفتوح) بأحداثها وشخصها والمحرص الدوب على كل فلة واختلاجة شعور وتعدد منظور الشخصيات مع غلبة منظور ليلى بهذا الصوت المفرط للصوت المتور والهبات المحموم الذي يدمن استخدام ووات العطف ويردف فعل قالت أوقال بعد القزل. تستبدل المشرح الضخم في البيت عن باب مفتوح بالتفتيش عن ثغرة مجرد ثغرة تسمح بالنفاذ وتطاردها صور متكررة في إبقاع حارزي خائق يضيق الحلقة، ويرقد كأنه البيت المتكرر في قصيدة تطاردها أو تطارد «سامية» الصورة المستمدة من مستنفعات الهيبت القديم: توأهي الأم وسلطة الأب «صاحب البيت» في كل أشكاله وصوره. ويختلط مشهد الملاكين على اليمن واليسار بحاسباتها بكل من رفيق زوجها المختل السياسي الهارب وصاحب البيت الذي يهددهم وجوده وتدخله والأول يساعد والثاني يهدد. ويتزايد الضغط الحارزوني فلا تكتمل لحظة لقاء ولا حتى لحظة ضياع. وتأتي إلى الرواية محملة بنمط علاقاتها التي تنفي في الآخر أكثر من تحديد للرجل المناضل الذي تزوجته ، زوجها الأول ، فتمستخدم ذات التعبيرات التي استخدمتها في تجربة زوجها الثاني: نظرة تحمي ونظرة تقيت، والوضعات الحاطقة أو اللطحات التي تشكل حياة كل منهما وما تليث أن تزول، هي تحصر على كل لحظة وتجمعهما في عقد منتظم.

يختلط عليها معنى الرقعة ومعنى البيت، وتختلط عليها مشاعر الحب والقناء في الآخر، لتلمس في نهاية الرواية معنى الرقعة الذي أرقها على المستوى الوجودي والسياسي، كما في (الهشيم) و (كلمة المر) حتى تضل في النهاية إلى وجه الشبه بينها وبين رفيق الذي بدأ يقضيها في بداية الرواية. وهي التي يستطيع في لحظة حوار خاطئة أن يسير أغوار ضعفها وتعلقها بالبيت

وتوجهت من دورة

المياه إلى باب

العنبر

وبدا الطريق ممراً

ضييقاً وعرأً معتماً

وتجاوزت ركام الممر

وحطامه وعتمته

وفتحت الباب على

اتساعه وانفلت إلى

فسحة الحوش وضى

الشمس

القديم، رغم أنه يريد أن يموت شخصاً إلى السماء، يصبر، بينما تود هي أن تنشق الأرض بهلاً دون ضجة، ويبدو الزوج القوي الواثق بعيداً وهو الذي يستمدان منه الوجود ومصدرهما في المرأة حتى أنها تقوم باستبدال جنسى رائع بينهما وبين رفيق غربتها:

«ورفيق متشياً يعتلى القمة التي ليست بعدها قمة وهو يواجه رجال الشرطة وينسال عرقه أصغر كعرق المحظرون وقد انقضت لحظة التحفز والتبرص للخطر ومحمد (زوجها) يقول لها بعد مشوار طوله أربع سنوات:

«- أنا أسف، يظهر سكنتنا مش واحدة» (٩).

وعلى قدر ما يبدو انتصار الزوجة على وهم صاحب البيت بانقضاضها عليه في نهاية الرواية، وكأنه الغاء المنتظر لا لقاء زوجها، مفاجئاً سهلاً ومثيراً للشك والريبة الواقعية والفنية، فإن انقضاض لطيفة الزيات على السجانة في سجن القناطر في ١٢ نوفمبر ١٩٨١ شديد الانتعاش فنياً، وهي التي ذكرتها: «هيا» صلاح أبو سيف بحسرة الصدر والأرداف والتي أرعبتها طفلة، وذلك على ما تتفتح به الأروان من صيغة مذكرات شخصية يبرته من ناحية الحكمة الفنية.

وتثير نهاية (حملة تفتش) ألبا وجودها نفاذاً في علاقتها بنهاية (الهاب المفتوح). فيبعد انتصارها على السجانة والمأمورة وتوجهت من دورة المياه إلى باب العنبر، وبدا الطريق ممراً ضيقاً وعرأً معتماً وتجاوزت ركام الممر وحطامه وعتمته، وفتحت الباب على اتساعه، وانفلتت إلى فسحة الحوش وضى الشمس» (١٠).

فأى جدل عميق بين صورية الحياة وعناء الكتابة على ما في (الهاب المفتوح) من جهد ابتداعي وعكوف على تصوير التجربة. لقد استغرق الوصول إلى الباب أو المشروع الذي قدمته الكاتبة عام ١٩٦٠ كل تلك السنين حتى تحصل المرأة في الثامنة والخمسين على حريتها غير مقروصة.

ما بين نشر الكتاتين أو اللطفتين أكثر من ثلاثين عاماً، تماماً كما لم تستطع المرأة في منتصف العمر أن تتخلص من مأزق زيجتها الثابتة فوراً كما تصورت في أعقاب الرواية وإنما تم الطلاق بعد خمس سنوات في عام ١٩٦٥، وليس كما تصورت المرأة في متقبل العمر أن شجرة الشمس الحليم دائية

قطرقها في أعقاب ١٩٤٩.

«إذاً تتبعنا ذلك الخيط الزمني والمعادلات الزمنية خطوة أخرى، فلتنوقف عند ثلاثية قصصية في نهاية مجموعة (الشيوخوخة). إن الكاتبة متفردة في إنتاجها القصصى ولذلك يصعب لتواريخ إنشاء تلك القصصى دلالة مثيرة على المستوى الفني. وتلك (الثلاثية) هي (الصورة) (الرسالة): (على ضوء الشموغ).

فتبدأ في (الرسالة) تخوفها وهي تقدم على علاقة عاطفية من الناس وتقول: «ولم أكن أعلم أتى صورة مخيفة لي، عيون الناس» (١١). أسروها في جميعها وذورها السياسى. وتخصص الكاتبة مفهوم الصورة في نونق معاكس فتكتب عام ١٩٦٤ وهي على مشارف طلاقها الثانى عام ١٩٦٥ قصة (الصورة) حيث تصر الزوجة التي تكاد تنهار وهي تكشف حقيقة زوجها الذي يشاغل امرأة أخرى سوية يجلس أمام مائدة مجاورة، «على أن تأخذ صورة للأسرة كاملة: الزوجة والزوج والابن». ويتدرج وصف الصورة في الصفحة الأخيرة من القصة حتى يلقبها في الرمل لتطس معالمها فلا يبق منها إلا «وجه الرجل وهو ينضج بالألم ويد المرأة وهي تقبض على ذراع الرجل» (١٢)، ذات الرصف الذي يخلص تصويرها لاستماتها في الاحتفاظ بعلاقتها الحميمة، ومحاولة لاستعادة ما كان أو ما توهمت أنه كان.

وتختم القصة بتلك السطور: «وعندما عاد عزت بالفكرة كانت الصورة قد تحولت إلى قطع صغيرة تائهة في الهواء. وكان الطيف قد اختفى. توسطت الشمس السماء. وبدأ الناس يهجون حتى لا تحرق الرمال الساخنة أقدامهم. وأدركت آمال أن أمامها مشواراً طويلاً» (١٣).

بعد بناء المشهد فالصورة تواجهنا بايعاء كلمات «فكة.. قطع.. تناثرت» ثمة تناثر وتقطع وتفكك. واختفت ألوان الطيف الجميل الذي ظلت عينها تداعبه وشاغلها طوال المشهد. وبينما جرى الناس تخوفاً من الرمال الساخنة كان عليها: «هي أن تقش مشواراً طويلاً رما على تلك الرمال الساخنة لتقشها والنور في عينها.

وفي عام ١٩٧٢ تكتب (الرسالة) التي تشيعها بصيغة أفعل: تفصيل: ما أكثر ما أقبح.. لتصف ذلك اللقاء الأسطوري برجل

أسطوري في رحلة قطار استغرقت ست ساعات إقبي مجاورة لضبط نغمة الرسالة التي تجدد بها القلب أو الأنفوس و «ما أجدح الرصيد حين يكن خافاً» (١٤).

وفي عام ١٩٨٥ تكتب رحلة أخرى إلى الرف في (على ضوء الشموع)، ويدعو الأمر إلى تأمل تلك الصفة الابدية: فقد استغرق زواجها الثاني ثلاثة عشر عاماً والمساقة الابدية بين قصتي (الرسالة) و(على ضوء الشموع) ثلاثة عشر عاماً كذلك وكأنها حقاً صديقة ترصد تبدد الأسطورة ودهانها على ضوء الشموع.

وتقدم لطيفة الزيات في هذه القصة حساسية بالمكان لا تفتقد أبداً، تحولها في حقيقة البيت الرفي الذي جفت أعشابه وأشجاره تعكس من ناحية تراجع الآمال التقدمية في رفع الفقر والمرضى عن البسطاء. بعد عشر سنوات من قانون الإصلاح الزراعي نتذكرها من ناحية أخرى بنضوب حياتها في القاهرة التي هربت منها. ولأول مرة يتساوى الصعود والهبوط في ثمرات تلك الحديثة حيث تتنازل عن جها للسطح واختيارها في البئر هرباً، وتواجه الواقع سافراً لتكتشف أن بيت الحولي ليس بيتاً على الإطلاق فهو دور مغلٍ بلا سور، مكتشف ومخترق، ولا باب له يصونه تماماً كالشقة الأنيقة التي تسكنها مع زوجها وتطل على النيل، وتسقط كما المرأة المربضة عارية أمام الطبيعة مدركة ألا عودة إلى البيت القديم الجديد).

وإذا كانت الكاتبة قد أرقتها علاقة المطلق بنسبية الزمان والمكان ورواغها الأمكنة والبيوت والحرمان والأبواب، فإن معالجتها الزمنية في (حملة تفتيش) وطلعاتها ووصلاتها تكتشف عن عمدة تقارب وتباع بين التجارب تراها من منظور تبعد فتراها من مسافة أخرى، ربما لتصل ما انقطع.

نتنقل من نهاية تسجيلها لسيرتها الذاتية في مارس ١٩٧٣ في الجزء الأول (١٩٧٣) حيث مشهد الطالبة على شط النيل فيشير عزى الشهيد عام ١٩٤٦ إلى استكمال للسيرة تحت عنوان (١٩٧٧) يبدأ بيوم من أيام يونيو ١٩٦٥ - وتختل إليك أنها تقول يونيو ١٩٦٧ - حيث نهاية مشروعه

الفردى للسعادة بالطلاق الثاني. وتوسط ذلك الجزء هزيمة ١٩٦٧ لتعلن مسئوليتها عن الهزيمة في اجتماع المجلس الأعلى للأدب وتتهيب يوم جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ وطبيب العين يسلط النور على عينها، وهي ترد: ما أفسى النور في العينين. تلطم الوعى إثر الوعى، الوعى الشخصي بما آلت إليه بالوعى الجمعى السياسى بما آلتا إليه وعلاقة الاثنين معاً.

ولكنها في الجزء الثاني من (حملة تفتيش) تحت عنوان (١٩٨١) تأمل جهاز العدسة على مسافة أبعد فتقرى أعماق وأضل وتكتشف أن الهزيمة لم تكن هزيمة ١٩٦٧ بقدر ما كانت هزيمة ١٩٤٩ حيث أدت بوابة سجن المحضرة الذي انهزمت داخله، وانطلقت رهاقتها والكربيساتية الطبقة في مواجهة قسوته، إلى بوابة الزيجة الثانية حيث الاختباء في البئر أو العودة إلى المحضرة حيث الأصول في رواية (الباب المفتوح) وإمكانية أن تقرى بمساندة الناس كل الناس، ولكن أى ناس؟.

وتكتشف عن ذلك الانشطار الذي تعانیه المرأة إذا ناضلت وإذا آتيت في مجتمع قاهر. ففي قصة (بوابات) مفتتح مجموعة (الشيخوخة) تقول تصف الفتاة الجامعية فيها كانت تغف إذ ذاك والملايين في نهاية الحرب العالمية الثانية على مشارف عالم جديد أو توهمت عالم يصالح كل التناقضات تتفتح فيه آمال التحرر الوطني، تسقط فيه كل الحواشي ويتساوى فيه التشوق إلى المعرفة مع التشوق إلى الحب (١٥).

وقد عاشت لطيفة الانشطار بين الانسان السياسى والوجودى، بدلاً من التصالح أو الاندماج، خلقت تقييد وتلك لفظتها الأثرية - امرأة عن امرأة فيها، ولكي تناضل عليها أن تتزوج من مناضل وتستغرقها لحظات التضال تماماً، ولكي تستمتع بالحب والجنس عليها أن تتخبط تماماً في عالم تغرب فيه، يتحول فيه الجنس يبرر الوقت إلى - قس مدح، لا طقس فناء في الآخر بل طقس وأد للأحر، ويتفتى فيه كذلك وقاما أى ملمع للندية الممتعة. تعود سلطة الأب تقرض نفسها سجداً في الزوج، في حين تساعدها

عمدة المسافة البعيدة في ١٩٨١ على أن تذكر أيام سجن المحضرة مرة أخرى وشجرة المشمش في حديقة منزل بيتها في صحراء سيدى بشر، وتلك الفتاة الجامعية المناضلة في متتالية غنائية لاهفة، تجرد المشهد من مستنقعات البيت القديم وذعر الهروب، تحولها إلى التبع الصافى السارى الذى روى شجرة عمرها: «لو لم تبق مزدهرة ما انفضت العتمة (١٥)» والبيت الوحيد الباقي.

وتتوقف في (حملة تفتيش) عند تاريخى كتابة الأوراق الشخصية عامى ١٩٧٣ و ١٩٨١ ولما هذان العمان تحديداً توكد الصور أن تكتمل وتكامل في محاولة لفهم تلك المرأة الكاتبة التي تجمع بين التناقضات، لا بل تجمع بين حدى الشئ، أى شئ. المرأة التي أسرها جمال الشاعر المهرى وتوحدت في طفولتها وهي تتأمل لساعات، بالحق والحير والجمال، المرأة المشدودة إلى الموت بهبوط وحيث لا حيل سوى. المرأة التي تميز بين المرات السلى والموت الجامع وهي التي تحفر لنفسها أخدوداً تحت الأرض. المرأة التي تجد الملاذ في الكل والى دور لا ترقف على القمة التي لا تتسع للقدم إنسان كالطود أقب، شامخة بوحدى ومتعذبة، رأسى تطاول السماء ويدى تشان القضا (١٦).

المرأة التي تتوحد مع الجمال والموت: «وقد توصلت إلى التوحد مع المطلق في مرحلتين مختلفتين من عمرى، وفي مكانين مختلفان عن بعضهما اختلاف النهار والليل، الجمال والقيح. توصلت إلى التوحد في ميدان سان ماركو ببغيتسا لحظة غروب وأنا أتوحد مع الجمال، في ظلمة بشر بيتنا القديم وأنا أتوحد مع الموت» (١٧).

ولا يتصل الجمال بالموت كما يتصل في العشق الصوفى، والوجه الآخر له على المستوى السياسى اتصال الأنا بالكل. تلك لحظات الحياة التي تلضمها الكاتبة وتقبض عليها كالفانوس على الجمر. وتكتشف سر سعادتها رغم أن الحركة التي أرادت لها أن تكون حراً تحريرية شاملة توكد أن تتجسد من جديد في المستنقعات المسمومة (١٨).

لقد أسيرتها قصة مجدى الذى اقترح بطارته مبنى التوجيه العسكرى الاسرائيلى، والى تختم بها الجزء الأول (١٩٧٣) من (حملة تفتيش) تتجاوز به موت أخيها عبد

مواجهة الموت عشقاً وأن يستكين الإنسان
للغري حتى الموت هواناً (٢١).

فهي تذوب خجلاً من عرى الهوان الذي
وصلت إليه في (على ضوء الشموع)
وهي تواجه هوان المرأة الريفية وهي تتعمر
مرضا وجهاً وفقراً . لكن من المؤكد أن غري
أجساد الرفقاء الذين سقطوا غرقى من
كوبرى عباس عام ١٩٤٦ اكتسبت جلالاً على
مر السنين ربما غاب عن الفتاة في مستقبل
العصر؛ وعلى شط النيل تجلس الفتاة التي
وجدت الملاذ في الكل تستر العري ، عريها ،
عريهم ، عريها . تجلس ليلاً وصباحاً وضعى
حتى ينتهي الغواصون من مهمة انشغال
الجثث ، تلف يعلم مصر الأنفجر جثة بعد
جثة ، تتساق بداهم وأبدى الآخرين ، الكثير
من الأبدى والجثث ترتفع كالأعلام عالية على
أبدى العاشقين ، وشجرة العشق حبة لا تموت
ولا النحن التي هي أنا والنحن (٢٢).

وتزه الأمور أو «صاحب البيت» في
سجن القناطر تطالبه باسترداد ثوبها الذي
تملكه وللخروج من هذا الجحيم (٢٣) أثناء
خلة التفتيش.

«وبدأت أفتشل من الركام عبات
البنات (الحبيبات) وأغطية الرأس والوجه
والبدن والحركة مستمرة في شراسة واستماتة
والبنات يعادون اللجوء إلى الدفوة، المرة بعد
المرة، مستترات وأنا أقطع العنبر ذهاباً
وراياباً إلى دورة المياه.... وأعود أستكمل
بعضى... وفي المرة الثالثة... وفي المرة الرابعة
شعرت وقطع الحجاب تتجعب قطعة بعد قطعة
«والبنات يسترن بعد عرى، والأشياء
تتكامل، أن حملة التفتيش لم تعد تعينني
في شيء وأن أحداً لم يعد يملك الدفوة على
تعريتي أو النفاذ إلى. دمعت عيني وأنا
أكمل مهيتي وأسأل العباءة الأخيرة على
صباح وأحتضنها في صدري. وقد انسابت
في عيني دموع تحجرب ملعاً في عيني فتاة
جلست على شط النيل عام ١٩٤٦ .. تنتظر
غريقاً بعد غريق (٢٤).

أذكر أنا ذلك المشهد الرائع الإيقاع
والنظم: مشهد إصابة المدنيين في حرب
المقاومة ١٩٥٦، وذلك الحزن الصرغى الذي
يجمع الميلاء والموت في انتصار صوفى
أخاذ، حيث تنفلت الأم التي قذفت بوليدها في
عقب البحيرة من قبضة الرجل الذي يمنعها
وغابت الأم في البحيرة وهي تصرخ صرخة
مزغردة ، فرحة ، منتصرة مجلولة (٢٥) وفى
موقع آخر تلد امرأة «وحاولت .. ببطاقة ..
تستطيعها إلا أن تركز أنفاسها في الطفل

الفتاح الذى افتتحت به الأوراق الشخصية
والآلام الوجودى لشعر كريستينا روزيتي:

الملاح يعود إلى البيت

إلى البيت يعود

من البحر الطويل الطويل يعود .
كان العشق الصرغى هو وسيلتها الوحيدة
للاحتصار على الموت المبني فيها وتذكر
زوجها الثاني الذى لم يفهم مجدى أبداً وما
فعله «ومن المستحيل أن يفهم من لم
يكن عاشقاً ولا صوفياً» إن الموت ليس
وأرداً في قاموس العشاق والصوفيين ، فشجرة
العشق هي العاشق والمعشوق معاً، وشجرة
العشق لا تموت . والموت ليس يطفو في
معركة ، العاشق يعيش في جلد الناس
وعيشون في جلده، ومن ثم فهو لا ينتصر
على الموت ولا يتهزم، وهو ينتهي إلى لحظة
التوحد، لحظة تستحيل ورقة الشجرة إلى
الشجرة وقد كان مجدى عاشقاً.

لقد كانوا يتقدمون موجات بعد موجات..
كنا نطلق النار عليهم ويتقدمون . كنا نحيل
ما حولهم جميعاً ويتقدمون.. كان لون الفتاة
قائماً بلون الدم وهم يتقدمون.
الجنرال جوين
القائد العام الاسرائيلى لجهة
سيناء (١٩٩٠).

تجمعت مرة أخرى صورها الأثرية
، شجرة العشق التي لا تموت وموجات
التدفق الجماهيرى ورفعتها إلى لحظة
سعادة من لحظاتها القليلة وهانكسرت
العزلة.

وفى عام ١٩٨١ عاودها ذلك التوحد مع
الجمال : «في ليلة قمرية وأنا أقرب الشجرة
من خلف باب من الأعمدة الحديدية القارية ،
أرهفت سمعى وكدت أقسم أنى أسمع على
مبعدة سريان النسخ من الجذور إلى الفصون
إلى الزهور المعراء، وإن لم أستطع أن أقطع
إن كان هذا الذى سمعته سريان النسخ في
الشجرة أم سريان الدم في عروقى. هزنتى
لللحظة وعلا وجيب قلبى على كل
صوت» (٢٠).

وتتكامل وتتلو ظلال صورة أخرى من
صور الكتابة الأثرية عام ١٩٨١ وتنمو في
بناء نهائى. فهي تقول : «المرأة في منتصف
العمر تلمس ما فيه الكفاية وتبلت لتتسنى
الحذ الفاصل بين أن يعمرى الإنسان بإرادته في

أذكر أنا ذلك المشهد

الرائع الإيقاع

والنظم: مشهد

إصابة المدنيين في

حرب المقاومة عام

١٩٥٦ وذلك الحس

الصوفى الذى يجمع

الميلاد والموت في

انتصار صوفى أخاذ

حيث تنفلت الأم

التي قذفت بوليدها

إلى البحيرة من

قبضة الرجل الذى

يمنعها

الذي يهدده الموت في بطنها.. وما لبثت الصرخة أن اتصلت واستطالت قوية ، سجلوة مزهوة مزعزعة .. صرخة الحياة(٢٦).

هل وصلنا إلى النهاية بعد أن تكاملت الصور واتحدت بناءً فنياً وحياتياً، إلى نهاية الأشياء التي كانت تخشاها لطيفة الزيات وتحجم نفسها حيث تتخذ الكلمات على الورق نهائية مخفية؟ هل وهي تنتشي بحريتها غير متوقفة وهي تدخل سجن القناطر عام ١٩٨١ لتصبح «شوسه وجسميلة» لا يهزمها أي سجن، كانت قد وصلت في ذات الوقت إلى نظرة نقال المرأة في متحف التاريخ الطبيعي ببلندن، ونظرة جذبتها وأبهرها ميتا، تلك النظرة التي أسرته وأخافتها في ذات الوقت وهي طفلة، ووصل التشويق إلى المعرفة إلى منتهاها، «نظرة من عروق كل شيء» وتقبل كل شيء ولم يتحى ما يود أن يعرفه ولا ما يخاف أن يعرفه(٢٧).. نظرة الموت.

أخيراً اقترنت الكاتبة بـ «المطلق قيرين الموت» (٢٨)، والمفارقة أن تلك المرأة التي ظلت تلقن نفسها وتواجه نفسها بخطئها في أملاء اليومعة على الواقع المتغير ونسبية الزمان والمكان ظلت مثالية التكوين، تقبض على زهر الشمس الأبيض بين الأفصان الخشبية النائفة، تصور حريق القاهرة بدخان أسود لعين ، يحيط بظرف جميلة ناصع البياض وتبحث عن «فصوص برد لا تلدوب» (٢٩) لقد تغير وعي المرأة عبر السنوات التي ألفت في النص عليها في أعمالها ولم تتغير الذات، وظلت تبحث عن اليوم الذي كنا رفاقاً فحسب يوم سألنا من أين أتى الانفجار العمد، يوم تجمعنا نعمل معاً ننزع أطنان الزجاج .. نزيل من حولنا أسباب الخطر(٣٠).

وغاب عنها في بحثها المضني العنصر الكوميدي(٣١)، وهي الضحكة التي تستفيض في وصف الضحكة المرادة: لا خشونة هناك في الضحكة التي كثيرا ما ترد في سمين، لا اختناق، لا افتعال، لا بلاهة، لا هيستيرية، لا غواية، ولا دعاية رعا كان الصفاء الخصب الذي أتى من حيث لا ندرى يهذه المجموعة من الأطفال(٣٢).. ويخندو بارزة ووردية يعيون سوداء وعسلي

خضراء.. وبنفسية زرقاء ورمادية» (٣٣) وذلك الطفل الخاص الذي قاتنتها لحظة أن تأتي ، به لحظة خاصة صوقيه نادرة واستقرتها رحلة الوصول إلى ذات صافية نقية تقاوم كل أساليب التدريب والتعجيم ، سواء تدريب اللياقة الاجتماعية في المجتمع البرجوازي، أو تدريب النضال السياسي إذا كان منطلقه «لعب يلعب فهو لاعب» (٣٤) والذي لقطته في (صاحب البيت).

تلك الرحلة المتفرقة التي تعترف في انسانية وشجاعة غير مسبوقة برواسب الماضي وقدرته على توجيه مسارات حياتنا وتلك المشقة في التحرر منه التي قد تستغرق العمر كله، وذلك الوجود الموزع وتلك الذات التي وعت مؤخرًا إنها ليست واحدة وليست بسيطة على الإطلاق ولها شروط في الوجود توفرها بالغ الصعوبة لذا رصدته الكاتبة بالخارج، وهي تجرى من زقاق مسدود إلى زقاق، تصل دون أن تهي أنها وصلت إلى الشارع الرئيسي»(٣٥).

الهوامش:

١ من أعمال لطيفة الزيات:

- (١) على ضوء الشموع ،
- الشيخوخة وقصص أخرى ، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦، ص ٩١.
- (٢) المرجع السابق ص ٩٨.
- (٣) بدايات، الشيخوخة وقصص أخرى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦ ص ١٠.
- (٤) صاحب البيت ، دار الهلال، روايات الهلال، ١٩٩٤ ص ٤٧.
- (٥) الشيخوخة، مجموعة : الشيخوخة وقصص أخرى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦ ص ٥٤.
- (٦) حملة تفتيش -أوراق شخصية، دار الهلال، كتاب الهلال، ١٩٩٢ ص ١٧٥.
- (٧) على ضوء الشموع، مرجع سابق ص ١٠.
- (٨) الهشيم، مجموعة الرجل الذي عرف تهمة دار ، للتوزيع والنشر، شرقيات ١٩٩٥ ص ١١.
- (٩) صاحب البيت ، مرجع سابق ص ٦١.
- (١٠) حملة تفتيش ، مرجع سابق ، ص ١٧٥.
- (١١) الرسالة، الشيخوخة وقصص أخرى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦، ص ٨٦.

- (١٢) الصورة، الشيخوخة وقصص أخرى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦ ص ٨٢.
- (١٣) الصورة، المرجع السابق ص ٨٢.
- (١٤) الرسالة، مرجع سابق، ص ٨٥.
- (١٥) بدايات، مرجع سابق، ص ٨.
- (١٥) حملة تفتيش ، مرجع سابق، ص ١٣٠.
- (١٦) الرسالة، مرجع سابق ، ص ٨٨.
- (١٧) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص ٥٥.
- (١٨) حملة تفتيش ، مرجع سابق ، ص ٩٦.
- (١٩) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص ١٠٩.
- (٢٠) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص ١١٧.
- (٢١) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص ٨.
- (٢٢) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص ٦٢.
- (٢٣) حملة تفتيش ، مرجع سابق ، ص ١٢٤.
- (٢٤) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص ٧٥.
- (٢٥) الباب المفتوح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٠، طبعة ١٩٨٩ ص ٣٣٣.
- (٢٦) الباب المفتوح، المرجع السابق، ص ٣٣٩.
- (٢٧) حملة تفتيش ، مرجع سابق ص ٢٠.
- (٢٨) مفهوم يتردد في قصة الشيخوخة وحملة تفتيش.
- (٢٩) الرسالة وحملة تفتيش وصاحب البيت.
- (٣٠) الهشيم، مجموعة : الرجل الذي عرف تهمة، مرجع سابق ص ١٥.
- (٣١) صاحب البيت، مرجع سابق ص ١٠٦.
- (٣٢) الهشيم، مجموعة الرجل الذي عرف تهمة، مرجع سابق، ص ١٨.
- (٣٣) الهشيم، مرجع سابق ص ١٧.
- (٣٣) هذا لا ينبغي أن تصوير علاقة الأم بالابنة في (الشيخوخة) من كل من (الباب) يمكن وكذلك مفهوم البلوغ في كل من (الباب المفتوح) و(المر الضيق) بما هو انفصال عن الأم والآب في اعتزال حقيقي مع الحياة. وفيما عدا ذلك تنحو الكاتبة إلى ذكر الطفولة بوصف أسطوري بهيج.
- (٣٤) تتردد كثيرا في صاحب البيت.
- (٣٥) صاحب البيت ، مرجع سابق ص ١٠٧.

التجارب المصرية .. ودعوة إلى العالمية

كيف تعاملت التجربة الغربية ولا أقصد الغربية الجغرافية ؟

كيف تعاملت تلك التجربة مع ما طرحته التجربة الغربية من فنانين عرب على مستوى عالمي والتي ذكرها الناقد سعد علي في محاضراته ولأريد تكرارها تصوراً منها أنها تطرحه في إطار من العالمية ؟ ..
فردية .. داخل سياق " اللغة الفنية الأصلية " ؟

لماذا لم تستطع " خصوصية " ما من تلك التجربة .. ؟

أذكر في هذا المقام حدثاً هاماً قد يؤكد على ما ذكرنا في لقاء مع الفنان الإيطالي آنزو كوكي بمصر .. بعد تجوالنا في متحف الفن المصري الحديث وبعد زيارة لاستديوهات بعض الفنانين المصريين كان تعلقي المختضب " فاطمة .. لا يوجد عندكم فن معاصر .. " تحولت " المعاصرة " إلى لغة تقيمية تحيز وترفض وأدركت تلك المسافة التي تضعها " لغة الفن " التي تنازلت " عن وجودها " التصنيقي.

إن الإعاقة التي سببتها لنا " اللغة الفنية " والتي وضعتنا في نطاق السلب من التجربة العالمية كانت أمراً في غاية الأهمية للحفاظ على حيوية تلك التجربة .. فقد حافظت على وجود قطبي الثنائية لإحداث دينامييتها .. فغير السلب كانت التجربة العالمية .. ثابتة هامة لذلك كان لابد من المبالغة في إحداث مسافة الإعاقة للحفاظ على قطبي الثنائية ، فكما زاد التناقض تزيد حالة النشاط في وعي الحركة

السؤال الآن .. ماذا يحدث حين تتحول تجارب السلب إلى نواة معركة داخل نطاق التجربة العالمية ؟

بطبيعة الحال لا يمكن أن يحدث تحريك للسلب حتى يصبح فاعلاً ويظل القطب الآخر على حاله ؟

ألا يعني ذلك بالضرورة تحملاً آخر يحدث في تجارب القطب الفاعل ؟
كيف يحدث ذلك وتجارب القطب الفاعل

فاطمة إسماعيل

التجربة الغربية قد أكمل أدوارها في تاريخ الفن وأطرت صورته واستقرت كذلك **الحال المصطنع** الذي ألهم العلم الحديث والتكنولوجيا استطاع أيضاً تاريخ الفن تفتين صورته التي تسبق الفانتازيا والحرفي وروصد لغته والاحتراف بها في محتواه ..

تختلف تلك البيئة بطبيعة الحال عن التجربة الغربية التي يقوم فيها **الحال الفني** بتشكيل الجزء الأكبر في بنية " الفكر " .. فالتجربة التي لم ينفصل فيها الدين عن الحياة - كما حدث لأوروبا في العصور الوسطى - والتي مازالت تعتمد في تصوراتها الخيالية على الوجدان العاطفي وتعتمد في فكرها على التبلهات ، أي على تصورات قبلية ليست مبنية كالرياضيات .. فهي تقف عند المستوى التصوري لا التصوري في جوهره تختلف كما ذكرنا عن تلك التجارب التي تعتمد على القبلات العلمية التي تحاكي التجربة الطبيعية وتحمل في ذاتها قبلات موضوعية اختلافاً جوهرياً في تسيع التركيبة العقلية ، مما يجعل كلاً من التجريتين خاص بالنسبة للأخر.

انقصر تاريخ الفن على رصد لغة الفن الغربي وأعطاها حق " الأصلي " وتحولت يقتضى هذا الأصلي إلى " لغة تقيمية معيارية " وبالتالي كان لها حق استبعاد اللهجات الفنية المشتقة قياساً للمعيار ، وكل ما يتبع برقم حسابياً بدرجات اقترابه وابتعاده عن الأصل الواحد .

يشل هذا التحول للغة الفن خطورة شديدة على مفهوم مصطلح " المعاصرة " إذ أن " لغة التقييم " تسقط تصور " الهوية " وتكتفي بها تقديم من خصائص وصفات .. وهنا تصادر لغات أخرى عن الدخول في المعاصرة . ونطرح سؤالاً هل يكفي التجديد المادى / المكان والزمان لتحديد هوية تجربة ما ؟ ..

في إطار من الدعوة الأوروبية التي تزايدت مؤخرًا حول ضرورة دخول فن دول العالم الثالث في القرية العالمية أقام " معهد العالم العربي " بباريس ندوة دولية حول هذا الموضوع شارك فيها اثنا عشر ناقداً من أنحاء العالم . وكان لنا رأي في هذا الموضوع إذ أن التجربة الفنية المصرية في هذا الإطار تمثل قضية محيرة وشديدة التعقيد خاصة حين تتعلق بها وبالأخر معاً ، وماثيره من تساؤلات يفوق قدرتنا على تأويل الإجابات . ولذلك فقد كانت مداخلتى طرح مزيد من التساؤلات وعدم رغبة في تأويل الإجابات ، فهي تجربة استفسارية ، ولذلك فهي تطرح مزيداً من الأسئلة بهدف إيجاد حوار حقيقي نسعى فيه لتجاوز مسافات الإعاقة عن الحلقا بركب العالمية .. تلك **اللجنة المتظرفة** .
تطرح في هذا المقام في البحث عن تلك المسائل سواء من خارج التجربة أو من داخلها ، نبهت في ضرورة تعييدها وبعرثتها حتى تقل بالتعددية .. فمن يجزم بصحة مقولة " الثبوت بالأصلي " دين الحاصل .. أو الخالص ؟ ..

إحدى تلك الإعاقات تركز " لغة الفن " الذي أدى إلى التعامل مع العمل الفني كمجموع أو كتص متجانس قادر على إصدار مقننات ومعصمات ، وبالتالي تجاهل غير المتجانس ، والمتوتر والذي يحمل متناقضات تجعله يقرأ من داخل نفسه بعيداً عن تلك اللغة التامة ..

فلو سلمنا أن هناك فروقاً جذرية في بنية اللغة الفنية بين الثقافتين الغربية والعربية فمن غير الجائز إذاً أن نقيم حواراً متكاملاً يسقط في نهاية الأمر في وحدة - حسابية - رقيمة تقوم أساساً على عتجانس الوحدة إذ أن التجانس والمتعثر يدعوا إلى اكتشاف الاختلاف والتعدد وإنكار الواحد لصالح الموجد .

أحد تلك الفروق الجذرية يقع في بنية اللغة حيث تقوم على اختلاف صورة " الحيات " ، فالحال التقليدي الذي اتجه نحو الفانتازيا وتعامل مع الفضاء المتجانس في بداية



(أبيض وأسود) لوحة للفران محمد جوي

قابضة على روح "الثانية"؟
لا أشير هنا من قريب أو بعيد عن "أزمة الغرب" أو خلافه وإنما أردت القول أن الغرب حين يفكر حسب غطر القرار التقليدي هو في واقع الأمر لا يقيم احتمالاً بسقوط النظام أمام واقع منظم له قوة الوجود الفعلي..

ماهى شروط الحصول على وجودنا فى فريدة جزئية دون أن تكون مغلقة أو مقاسه بواسطة الفضاءات المتاحة فى العالمية ؟ ..

الإجابة عن هذا التساؤل هى تسجيل جديد وإقرار بالتعامل مع القضية الخاصة بالعالمية تحت تأثير الآخر ، لأدعونا لإغفال تاريخ الفن أو تجاهله ، وإنما الخروج عن السياق ، فهذه التجارب السالبة يجب أن تسمى حسب علاقات جديدة تخص وجودها الذاتي ، فقد ثبت فشل النقاط جملة قديمة وإضافة لواقع جديدة لها وتطويعها من داخلها وتقديمها للعالم على أنها ابتكار جديد كما طرحه الـ Transauant - guada ..

لذاذاكرة التاريخية فى الفن التشكيلي جمل ثابتة ، واسعة لانتطور ولا تتأخر وإنما تتعاقب وتتوازي وتستبدل زمنياً بجمل جديدة.

تأتى حكمة الغرب اليوم لنا بالدخول فى العالمية من خلال التجذر فى الهوية مفردة رائعة تكفر عما جات به بداية القرن حين محبت هوية وثقافة شعوب عربية كاملة فاليروم وأنا أتحدث مع مغربي أو تونسي أو جزائري لا يستطيع التعبير عن نفسه وعن فكرته إلا إذا حدثني بالفرنسية ..

لأبكي على اللين المكروب .. إن مهنتنا غابة فى الصعوبة فلا بد أن تكون كما نحن ومفدرات أمورنا فى يد أنظمة أخرى تديرها .. فأمریکا تعلن اعترافها بحركة طالبان بأفغانستان ، وتعتمد النظام السوري والكويشي ، وتشاركها أربعون دولة من دول العالم فى ضرب العراق ليدمر مركز حضارى عريق ومنصف نبي عري مفتوح كان بمثابة منطقة ممتدة فى الوطن العربي. هل حقاً هناك دعوة صادقة لنا لأن نؤلف مزيجاً قابلاً للتماكب فيما يسمى " بالعالمية ؟ ..

مشاعبنا



الجنازة حارة

والميت

لامؤاخذه!

لم أسعد كثيراً بالموقف العربي، الذي نظر إلى معركة تحديد انتخاب الدكتور بطرس غالي أميناً عاماً للأمم المتحدة، باعتبارها معركة قومية ينبغي أن يوظف لها الغرب كل إمكانياتهم وأن يدعوا إلى ميثانها بكل اسلحتهم..

ومع أنني لا أؤيد الموقف الأمريكي الرافض لترشيح غالي، فأنني أرحب به، فهو موقف كاشف، يدل على مدى النفوذ الذي يصل إلى حد السيطرة الذي تملكه الولايات المتحدة على المنظمة الدولية، والذي بات واضحاً، وفاضحاً، أنها لا تستطيع أن تأخذ قراراً، أو تعين موظفاً إلا بموافقة واشنطن، التي تتفق عليها، وعلى نصف الدول الأعضاء بها، وتلك حق الفيتو على كل قرار.. كبر أو صغراً.

ما يدهشني هو أن يستجيب العرب، لدعوات تحدي أمريكا، لكي يحصلوا في النهاية على منصب تافه لا قيمة له، لينتخروا لرجل ليس لدى معظمهم قناعة بأن شغله قد أفادهم أو سوف يفيدهم أو يفيد غيرهم، بدلاً من أن يتحدوها، فيما يجب، وبما يفيد فيه، التحدي..

ما يدهشني هو هذا الحرص العربي المبالغ فيه، على التواجد الدولي الوهمي، وهذا التكالب على القشور.. وعلى الدعاية، فما يفيدنا-كأمة- ويفيد أمثالنا من الجنبيين الضعفاء، ليس أن يشغل أحداً منصباً بلا صلاحيات في الأمم المتحدة، ولكن أن يتغير نظام المنظمة الدولية، لتعبر عن شرعية دولية حقيقية، وتصبح منظمة للأمم المتحدة وليست للولايات المتحدة..

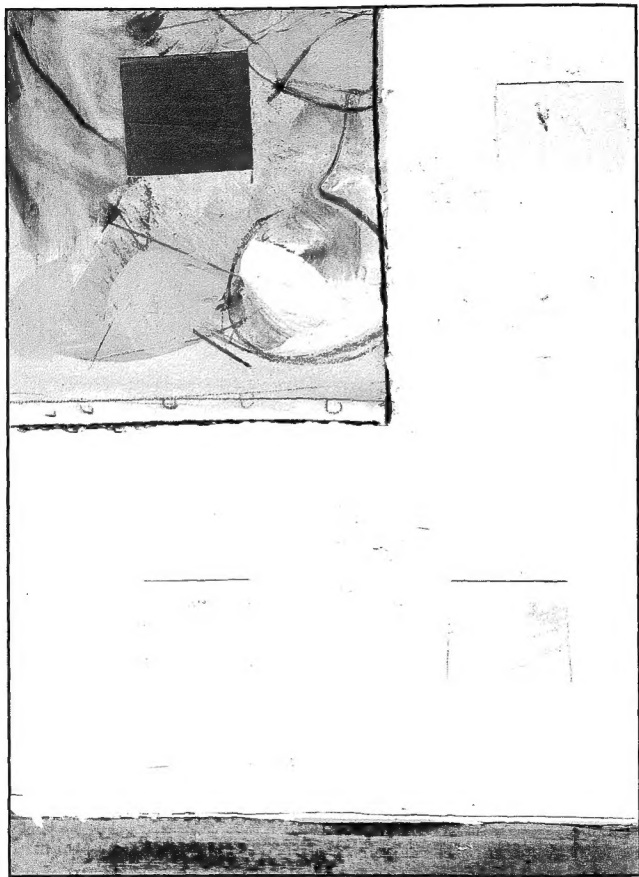
صلاح عيسى

غالي، احتجاجاً على سيطرة الولايات المتحدة على الأمم المتحدة، وإن كنت أرى في هذا القول مبالغة، إذ الحقيقة أن المعركة من النوع الذي ينطبق عليه المثل الشعبي المعروف «الجنازة حارة .. والميت -لامؤاخذه-»، وهذا الكلب هو منصب الأمين العام للأمم المتحدة، فهو منصب شرفي ولا قيمة له، ولا سلطات حقيقية لشاغله، فينبذ تأسيس الأمم المتحدة، ومراكز النفوذ فيها تتركز في الدول الخمس التي انتصرت في الحرب والتي تسيطر على مجلس الأمن وتلك حق الفيتو، والمجلس هو الجبهة الوحيدة التي لها حق إصدار «القرارات»، بينما الجمعية العامة، التي تضم بقية دول العالم، مجرد «مكلمة» لائق الحظ، ولا حق لها إلا إصدار «التوصيات» -وليس القرارات-. أما الأمين العام للأمم المتحدة، فهو مجرد موظف كحيان، يختار عادة من الدول الصغيرة أو الفقيرة لمجرد إيهامها بأنها تشارك في النظام الدولي، مع أن هذا الأمين العام لا يهش ولا ينش..

بصراحة فضيحة، فإن إصرار الولايات المتحدة على المعارضة في التجديد لغالي، الذي تؤيده الأغلبية، لا معنى له إلا أن الأمم المتحدة، يتكونها الزاهن، لا تعبر عن الشرعية الدولية ولا تمثلها، ولا يجوز لها أن تزعم ذلك..

بوضوح أكثر فإن الموقف الأمريكي، دليل على مدى كذب الشعارات التي تروج لها الولايات المتحدة. وتدعي بأنها أساس النظام الدولي الجديد وحيد القطب الذي يستلهم النموذج الديمقراطي الأمريكي، وإلا خفضت -باعتبارها أقلية- لراي الأغلبية، ولا تحترمت النتائج التي تسفر عنها الانتخابات، وللجأت للمفاوضات لحل النزاعات، بدلاً من أن تلجأ إلى أساليب النظام الدولي القديم، فترفع سلاح الفيتو في وجه الأغلبية، وهو سلاح إرهابي وغير ديمقراطي، يفرض رأى الأقلية على الأغلبية، بالقوة لا بالمنطق، وبالاكراه لا بالإقراء.. ١.

ولا اعتراض لدى على وجهة النظر التي ترى في المعركة حول إعادة ترشيح



استكش لدراسة علاقة العضوى بالهندسى على أحد منازل «كوم غراب»

الفنان: عادل السبوى



اسكتش لأحد منازل (كوم غراب)
 للفنان : محمد عبله غرب